محمود شلبي

حياة ابن عباس

حبر الأمة

دار الجيل
بيروت - لبنان

حياة ابن عبّاس
حَبر الأمّة

محمود شلبي

حياة ابن عباس

حبر الأمة

دار الجيل
بيروت - لبنان

الطبعة الاولى

١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

الإهداء

اللهم ... منك ... وإليـك

محمود شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله .. والصلاة والسلام .. على رسول الله .. وبعد ..

هذا الكتاب يتحدث عن صحابي جليل ، شهير .. عبد الله ابن عبّاس ..

قالوا عنه :

« كان يسمي البَحْر .. لسَعَةِ علمه !!

« ويسمى حَبْر الامّة » !!

وقال هو عن نفسه :

« ضَمّني رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. وقال : اللهم عَلِّمْه

الحكمة » !!

وقيل فيه :

« كان ابن عباس قد فات الناس بخصال :

« بِعلْمِ ما سَبَقَه !

« وفقهٍ فيما احتيج اليه من رأيه !

« وحِلْم .. ونَسَب .. وتاويل !

« وما رأيت أحداً كان أعلم بما سَبَقَه من حديث رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. منه !

« ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه !

« ولا أفقه في رأي منـه !

« ولا أعلم بشعر ، ولا عربية ، ولا بتفسير القرآن ، ولا بحساب ، ولا بفريضة منه !

« ولا أثقب رأياً فيما احتيج اليه منه !

« ولقد كان يجلس يوماً ، ولا يذكر فيه إلا الفقه !

« ويوماً التأويل !

« ويوماً المغازي !

« ويوماً الشعر ..

« ويوماً أيام العرب ..

« ولا رأيت عالماً قط جلس اليه إلا خضع له ..

« وما رأيت سائلاً قط إلا وجد عنده علماً » !!

قلتُ : ماذا بقي لي بعد ما قاله هؤلاء ؟!

١٤٠٩ هـ
١٩٨٩ م

محمود شلبي

الخطوط العريضة ..

من حياة ..

ابن عباس ؟!

نَسبه ؟!

قال صاحب «أسْد الغابة .. في معرفة الصحابة» :

« عبدُ اللهِ .. بن عبّاس .. بن عبد المُطّلِب .. بنِ هاشم .. بن عبدِ مَنَاف ..

« أبو العباس القُرَشِيّ ، الهاشمي ..

« ابنُ عمٍّ رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

« كني بأبيه العبّاس ..

« وهو اكبر ولده ..

« وأمه لُبَابة الكبرى .. بنت الحارِث ، بن حَزْن الهلاليّة ..

« وهو ابن خالة خالد بن الوليد ..

حبر الامة ؟!

• وكان يسمى البَحْر ، لسَعَةِ علمه .

• ويسمى حَبرَ الأُمّـة ..

متى وُلد ؟!

• وُلِد والنبي .. صلى الله عليه وسلم .. وأهل بيتـه بالشِّعْب من مكة ..

• فأُتِيَ به النبيّ .. صلى الله عليه وسلم ، فحنّكهُ بريقه ..

• وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ..

• وقيل غير ذلك ..

• ورأى جبريل عند النبي ، صلى الله عليه وسلم ..

اللهم علمه الحكمة ؟

« عن ابن عبّاس ..

« أنه رأى جبريل ، عليه السلام ، مرتين ..

« ودعا له النبي .. صلى الله عليه وسلم .. مرتين ..

« وعن ابن عباس قال :

« ضمّني رسولُ الله .. صلى الله عليه وسلم .. وقال : اللهم علّمه الحكمة .. »

مَعدن العلم ؟

« عن ابن عباس .. قـــال :

« نحن اهلَ البيت ، شجرةُ النبوة ..

« ومُختَلف الملائكة ..

• وأهل بيت الرسالة ..

• وأهل بيت الرحمة ..

• ومَعْدن العلم .

ُعمر .. يأخذ بقوله ..

• عن ُعبَيْد الله ، بن عبد الله .. بن ُعتبة ..

• أن ُعمَر كان إذا جاءَته الأقضية اُلمعْضِلة ..

• قال لابن عباس :

• إنها قد َطرَت

(فاجأتنا وجاءتنا من مكان بعيد) .

• علينا أقضية ، وُعضَل ..

• فانت لها ولأمثالها » ..

• ثم يأخذ بقوله !

• وما كان يدعو لذلك أحداً سواه ..

• قال عُبَيْدالله : • وعُمَـر .. عُمر •

• يعني في حذْقِه واجتهاده ، لله وللمسلمين .

لماذا سَبق ابن عباس ؟

• وقال عُبَيْد الله .. بن عبد الله .. بن عتبة :

• كان ابن عباس قد فـــات (سبق) الناس بخصال .

• بِعلْمٍ ما سَبَقَه ..

• وفقهٍ فيما احتيج اليه من رأيه ..

• وحِلْم .

• ونَسَب

• وتأويل

• وما رأيت أحداً كان اعلم بما سَبَقَه ، من حديث رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. منه ..

• ولا بقضاء أبي بكر ، وعمر ، وعثمان .. منه ..

• ولا افقه في رأي منه .

• ولا اعلم بشعر ، ولا عربية ، ولا بتفسير القرآن ، ولا بحساب ، ولا بفريضة منه ..

• ولا اثقب رأياً فيما احتيج اليه منه ..

• ولقد كان يجلس يوماً ، ولا يـذكر فيه إلا الفقه ..

• ويوماً التأويل ..

• ويوماً المغـــازي ..

• ويوماً الشعر .

• ويوماً أيام العرب ..

• ولا رأيت عالمـــاً قط جلس اليه إلا خضع له ..

• وما رأيت سائلاً قط سأله إلا وجد عنده علماً !

الصحابة .. يرجعون إلى رأيه !

• وقال ليث بن أبي سُليم :

قلت لطاوس : لزمتَ هذا الغلام (يعني ابن عباس) وتركتَ

الأكابر ، من أصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ؟

« قال : إني رأيت سبعين رجلاً من أصحـــاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. إذا تدارءُوا (اختلفوا) في أمر ، صاروا إلى قول ابن عبّـاس !

كثير البكاء !

« عن شُعيب بن دِرْهم قال :

« كان هذا المكان ـ وأوما إلى مجرى الدموع من خديه ـ

« من خَدّي إبن عبّاس ، مثل الشِّراكِ[1] البالي ..

« من كثرة البـكاء !!

---

(١) الشراك : أحد سيور النعل .. التي تكون على وجهها .

امير البصرة !

• واستعمله علي بن أبي طالب على البصرة ..

• فبقي عليها أميراً ..

• ثم فارقها قبل ان يُقتل عليّ بن أبي طالب ، وعاد إلى الحجاز .

• وشهد مع عليّ صِفّين ، وكان أحد الأمراء فيها ..

يروي عنه الرواة !

• وروى ابن عباس .. عن النبي .. صلى الله عليه وسلم .. وعن عمر .. وعليّ .. ومعاذ بن جبل .. وأبي ذرّ ..

• روى عنه عبد الله بن عُمر ..

• وأنس بن مالك .

• وأبو الطّفَيل

• وأبو امامة بن سهل بن حُنَيف ..

• وأخوه كثير بن عباس..

• وولده علي بن عبدالله بن عباس ..

• ومواليه : عِكْرِمة ، وكرَيب ، وأبو مَعبَد نافِذ ..

• وعطاء بن أبي رَبَاح .

• ومُجاهد

• وابن أبي مُلَيْكَة ..

• وعَمْـرو بن دينار ..

• وعُبَيد بن عُمَـير ..

• وسعيد بن المسَيَّب ..

• والقاسم بن محمد

• وعُبَيْد الله بن عبد الله بن عُتْبة ..

• وسليمان بن يَسَار ..

• وعُروَة بن الزبير ..

• وعلي بن الحُسَين ..

• وأبو الزُّبير

• ومحمد بن كعب

• وطاوس

• ووهب بن منبه ..

• وأبو الضحى

• وخلق كثير غير هؤلاء ..

يا غلام ؟

عن ابن عباس ، قال :

• كنت خلف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. فقال :

• يا غلام ..

• إني أعلمك كلمات :

• احفظ الله يحفظك ..

• احفظ الله تجده تجاهك ..

• إذا سألت فاسأل الله ..

« وإذا استعنت فاستعن بالله ..

« واعلم أن الأُمة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيءٍ ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ كتبه الله لك ..

« وإن اجتمعوا على أن يَضُرّوك بشيءٍ لم يَضُرّوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك ..

« رفعت الأقلام .. وجفّت الصحف » ..

عباس والفتنة ؟

« لما وقعت الفتنة بين عبدالله بن الزبير ، وعبد الملك بن مروان ..

« ارتحل عبد الله بن عباس ، ومحمد بن الحَنَفيّة بأولادهما ونسائهما ، حتى نزلوا مكة ..

« فبعث عبد الله بن الزبير اليهما : تبايعان ؟

« فأبيا .. وقالا : أنت وشأنك ، لا نعرض لك ولا لغيرك ..

« فأبى ، وألحّ عليهما إلحاحاً شديداً ..

« فقال لهما فيما يقول: لتبايُعن ، أو لأحرّقنّكم بالنار ..

« فبعثنا ابا الطُّفَيْل إلى شيعتهم بالكوفة .. وقالا : إنا لا نأمَنُ هذا الرجل ..

« فانتدب اربعةُ آلاف ، فدخلوا مكة ..

« فكبروا تكبيرةً سمعها اهل مكة وابن الزبير ..

« فانطلق هارباً حتى دخل دار النَّدْوة ..

« ويقال : تعلق باستار الكعبة ، وقال : انا عائذ بالبيت ..

« قال : ثم مِلْنَا إلى إبن عباس وابن الحنفية واصحابهما ، وُهمْ في دور قريب من المسجد ..

« قد ُجمع الحطبُ فاحاط بهم حتى بلغ رءوس الجُدُر ، لو ان ناراً تقع فيه ما رؤي منهم احد .

« فأخرناه عن الأبواب ، وقلنا لابن عباس : ذرنا ُنريحُ الناس منه ..

« فقال : لا .. هذا بلدٌ حرامٌ ، حرمه الله ، ما احلّه عز وجل لأحد إلا للنبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، ساعة ، فامنعونا واجيزونا ..

« فتحملوا ، وإن منادياً ينادي في الخيل : ما غنمت سَرِّية بعد نبيها ما َغنِمَتْ هذه السرية ، إن السرايا تغنم الذهب والفضة ، وإنما غنمتم دماءَنا .

« فخرجوا بهم حتى انزلوهم بِمنى ..

« فأقاموا ما شاءَ الله .

« ثم خرجوا بهم إلى الطائف ..

موت ابن عباس بالطائف ؟

« مرض عبدالله بن عباس ..

« فبينا نحن عنده إذ قال في مرضه :

« إني اموت في خير عصابة على وجه الأرض ، احبهم إلى الله ، وأكرمهم عليه ، واقربهم إلى الله زُلْفى ..

« فإن مت فيكم فانتم هم ..

« فما لبث إلا ثماني ليال بعد هذا القول ، حتى توفي رضي الله عنه ..

« فصلى عليه محمد بن الحَنَفيّة ..

« فاقبل طائر ابيض فدخل في اكفانه ، فما خرج منها حتى دفن معه ..

« فلما سُوِّيَ عليه التراب ، قال ابن الحنفيّة :

« مات والله اليوم حَبرُ هذه الأُمّة ..

ابن ثلاث عشرة سنة ؟

« وكان له لما تُوُفِيَ النبيّ ، صلى الله عليه وسلم .. ثلاثَ عشرةَ سنة ..

« وتوفي سنة ثمان وستين بالطائف ..

« وهو ابن سبعين سنة .

« وقيل : إحدى وسبعين سنة..

كان جميلاً وسيماً !

« وقيل : كان يَخضِبُ بالحِنّاء .

« وكان جميلا .. أبيض طويلا ، مُشرَباً صفرة ..

« جسيما ، وسيما ، صبيح الوجه .. فصيحاً ..

عَميَ في آخر عمره !

« وحج بالناس لما حُصر عثمان ..

« وكان قد عَميَ في آخر عمره.

« فقال في ذلك :

إنْ ياخذِ اللهُ مِنْ عَيْنيّ نورَهُما
فَفي لِسَاني وقلبي منهُما نورُ
قَلبيَ ذكيٌّ وعَقلي غيرُ ذي دَخَل
وفي فمي صارمٌ كالسيفِ مأثور »[1]

✶

(١) سيف مأثور : في متنه أثر الوشي والزينة .

اقول :

هذه هي الخطوط العريضة من حياة عبدالله بن عباس .. كما أثبتها صاحب « أسد الغابة .. في معرفة الصحابة » ..

فماذا قال غيره ؟!

قال الإمام العيني .. في شرحه على صحيح البخاري :

ابو العباس !

« عبد الله .. بن عبّاس .. بن عبد المطلب بن هـاشم .. بن عبد مناف ..

« ابو العباس .. الهاشمي

« ابن عم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ..

« وأمه ام الفضل .. لبابة الكبرى .. بنت الحرث .. أخت ميمونة أم المؤمنين ..

تَرْجمان القرآن ؟

• كان يقال له .. الحَبر والبحر .. لكثرة علمه ..

• و تَرْجمان القرآن ..

• وهو واحد الخلفاء[1].

• واحد العبادلة الأربعة .. وهم عبدالله بن عباس .. وعبد الله ابن عمر .. وعبد الله بن الزبير .. وعبد الله بن عمرو بن العاص ..

روي عن النبيّ .. ﷺ ــ ١٦٦٠ حديثاً ؟

• وقال احمد :

• ستة من الصحابة اكثروا الرواية عن رسول الله، صلى الله

---

(١) اي خلفاء بني العباس حيث كانوا ينتسبون اليه .. وسيأتي فيما بعد ..

عليه وسلم ..

• ابو هريرة ..

• وابن عبّـــاس ..

• وابن ُعمر ..

• وعائشة ..

• وجابر بن عبدالله ..

• وأنس .. رضي الله تعالى عنهم ..

• وأبو هريرة اكثرهم حديثاً ..

• روى ابن عباس .. عن النبي .. صلى الله عليه وسلم .. الف حديث وستمائة وستين حديثاً ..

• اتفقا منها على خمسة وتسعين حديثاً ..

• وانفرد البخاريّ بمائة وعشرين ..

• ومسلم بتسعة واربعين ..

مات وهو ابن احدى وسبعين سنة ؟

« ولد بالشِّعْب ، قبل الهجرة بثلاث سنين ..

« وتوفي النبيّ .. صلى الله عليـــه وسلم .. وهو ابن ثلاث عشرة سنة ..

« مات بالطائف سنة ثمان وستين .. وهو ابن إحدى وسبعين سنة – على الصحيح –

« في أيام ابن الزبير ..

« وصلى عليه محمد بن الحنفية ..

« وقد عمي في آخر عمره ، رضي الله تعالى عنه . » !!

★

اقول :

ماذا نستخلص من تلك الروايات عن حياة ابن عباس ؟!

نستخلص ان الرجل وُلد في العواصف ، ومات في العواصف !

وُلِدَ بالشِّعْب .. اي والمسلمون محاصرون في شعب أبي طالب .

وهي اشق فترة في تاريخ الدعوة في مكة ..

في جو الاضطهاد والتعذيب والتجويع والحصار والمقاطعة .. ولدَ ابن عباس .. لتتفتح عيناه على حقائق الحياة الُمرّة .. ومظالم الناس للناس !

وتُوفي في أثناء فتنة عبد الله بن الزبير ..

تُوفي وقد ألجأته ظروف قاهرة ان يخرج من مكة ، حيث هَدّده ابن الزبير .. إما ان يبايع .. وإما ان يُحرّقَنّ عليه !

فاستنجد ابن عباس شيعته .. فجاءوه في اربعة آلاف .. واستخرجوه من مكة إلى مِنى ..

ثم ذهب إلى الطائف حيث مات بعد ايام !

وهكذا مات في العواصف كما وُلِد في العواصف !

والعلماء كلما ازدادت العواصف من حولهم عصْفاً .. ازدادوا بحقائق الحياة عِلْماً !

العباس ...

ساقي الحرمين ...

ووالد ابن عباس ؟!

كي

نصل إلى أعماق حياة ابن عباس ..

يتحتم أن ناخذ فكرة عن والده .. وعن حياة والده ، وصفاته ..

فإن الولد سرّ أبيه ..

فماذا عن والد ابن عباس ؟!

قال صاحب « أسد الغابة .. في معرفة الصحابة » :

« عَبّاسُ بنُ عبد المُطّلب .. بن هــــاشم .. بن عبد مناف .. ابن قُصَيّ .. بن كِلاب .. بن مُرّة ..

« عَمّ رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

« وصِنْو[1] أبيه ..

---

(١) الصنو : المثل . وأصله أن تطلع نخلتان من عرق واحد . يريد أن أصل العباس ، وأصل والد الرسول واحد ، وهو مثله ..

• يكنى أبا الفضل ، بابنه ..

• وكان اسنّ من رسول الله .. صلى الله عليـه وسلم ، بسنتين ..

• وكان العباس في الجاهلية رئيساً في قريش ..

• واليه كانت عِمارة المسجد الحرام ، والسقاية في الجاهلية ..

• وشَهِدَ مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. بيعة العقبة .. لما بايعه الأنصار ، ليشدِّدَ له العقد ، وكان حينئذ مشركاً ..

أسره يوم بَدْر ؟

• وكان ممن خرج مع المشركين إلى بدر مُكْرَهاً ..

• وأسر يومئذ فيمن أسر ..

• وكان قد شُدّ وَثَاقُه ..

• فسهر النبيّ .. صلى الله عليه وسلم ، تلك الليلة ولم ينم ..

• فقال له بعضُ اصحابه : ما يسهرك يا نبيّ الله ؟.

• فقال : أسهر لأنين العباس ..

• فقام رجل من القوم فأرخى وثاقه ..

• فقال له رسول الله ، صلى عليه وسلم : ما لي لا أسمع انين العباس .؟

• فقال الرجل : أنا ارخيت من وثاقه ..

• فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : فافعل ذلك بالأسرى كلّهم ..

• وفَدَى يوم بدر نفسه .. وابني اخويه : عَقيل بن أبي طالب .. ونوفل بن الحارث ، واسلم عقيب ذلك ..

انتَ آخر المهاجرين !

• وقيل : إنه أسلم قبل الهجرة ..

• وكان يكتم إسلامه ..

• وكان بمكة يكتب إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. اخبار المشركين ..

• وكان مَن بمكة من المسلمين يتقوّونَ به .

• وكان لهم عوناً على إسلامهم ..

• وأراد الهجرة إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم ..

• فقال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : مُقامكَ بمكة خير ..

• فلذلك قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. يوم بدر : من لقي العباس فلا يقتله ، فإنه أخرج كرهاً ..

• وقال له النبي .. صلى الله عليه وسلم:

« أنت آخر المهاجرين .. كما انني آخر الأنبياء » ..

• عن سهل بن سعد الساعدي قال : استأذن العباسُ بن عبد المطلب النبي .. ﷺ .. في الهجرة ..

فقال له :

« يا عم .. أقم مكانك الذي أنت به .. فان الله تعالى يختم بك الهجرة .. كما ختم بي النبوة .. » ..

شهد حنيناً .. وثبت بها ؟

• ثم هاجر إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ..

• وشهد معه فتح مكة .

• وانقطعت الهجرة ..

• وشهد حُنيناً ، وثبت مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لما انهزم الناس بحُنَين ..

هذا بقية آبائي !

• وكان رسول الله ، ﷺ .. يُعَظمه ويكرمه بعد إسلامه ..

• وكان وصولاً لأرحام قريش ، محسناً اليهم .

• ذا رأي سديد ، وعقل غزير ..

وقال النبي ، ﷺ .. له :

« هذا العباس بن عبد المطلب .. أجود قريش كفّــاً .. وأوصلها . » ..

وقال : « هذا بقية آبائي » ..

مَن آذى عمي فقد آذاني ؟

انّ العباس دخل على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مُغضَباً ، وأنا عنده ..

« فقال : ما أغضبك ؟

« فقال : يا رسول الله ، ما لنـا ولِقُرَيش ؟. إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مُبشَرَة ، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك ..

« قال : فغضِب رسول الله ، صلى الله عليـه وسلم .. حتى احمر وجهـه ..

ثم قال . « والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يُحبكم لله ولرسوله ..

ثم قال : « ايها الناس .. من آذى عَمّي فقد آذاني .. فانما عمّ الرجل صنو أبيه » ..

مؤمن بين خليلين ؟

« عن عبدالله بن عُمر قال :

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« إن الله اتخذني خليلا ، كما اتخذ إبراهيم خليلا .. ومنزلي ومنزل إبراهيم تُجاهَيْنِ في الجنّة .. ومنزل العباس بن عبد المطلب بيننا .. مؤمنٌ بين خليلين » .

يا عباس .. يا عمّ رسول الله ؟

« روى عنه عبدالله بن الحارث ..

« وعامر بن سعد ..

« والأحنف بن قيس ، وغيرهم ، وله أحاديث منها :

« عن العباس قال:

« اتيت رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ، فقلت : علمني – يا رسول الله – شيئاً أدعو به ..

« قال : فقال :

« سل اللهَ العافيةَ » ..

« ثم اتيته مرة أخرى ..

« فقلت : يا رسول الله علمني شيئاً أدعو به .

فقال : « يا عباس .. يا عمّ رسول الله .. سل الله العافية في الدنيا والآخرة . » ..

« عن العباس بن عبد المطلب قال :

« قال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم:

« ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربّاً .. وبالأسلام ديناً .. وبمحمد رسولاً . » ..

« عن سعد قال : كنا مع النبيّ ، صلى الله عليه وسلم .. ببقيع الخيل .

« فاقبل العباس ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« هذا العبّاس .. عمُّ نبيكم .. أجودُ قريش كفّاً وأوصلها » ..

هنيئاً لكَ .. ساقي الحرَمينِ ؟

• واستسقى عُمرُ بن الخطاب بالعباس رضي الله عنهما ، عام الرمادة ، لما اشتد القحط ..

• فسقاهم الله تعالى به !

• واخصبت الأرض !

• فقال عمر : هذا والله الوسيلة إلى الله ، والمكان منه .

• وقـــال حسان بن ثابت :

سأل الإمامُ وقد تتابع جَدْبنا

فسَقى الغمام بغرَّةِ العباسِ

عمّ النبيّ وصنْو والده الذي

ورَثَ النبيَّ بـذاك دُون الناس

أحيا الإلهُ به البلادَ فأصبحت

مُخضَرَّةَ الأجنابِ بعد الياسِ

• ولما سقى الناس طفقوا يتمسحون بالعباس، ويقولون
« هنيئاً لك .. ساقي الحرمين !! »

الصحابة يعرفون فضله ؟

• وكان الصحابة يعرفون للعباس فضله ..
• ويقدمونه، ويشاورونه، ويأخذون برأيه.
• وكفاه شرفاً وفضلا أنه كان يُعزّى بالنبي، ﷺ .. لما مات، ولم يَخلُفْ من عَصَباتِه أقربَ منه.

له عشرة ذكور ؟

• وكان له من الولد عشرة ذكور، سوى الإناث.
منهم: الفضل، وعبدالله، وعبيد الله، وقُثَمٍ، وعبد الرحمن، ومَعبَد، والحارث، وكَثِير، وعَوْن، وتَمّام، وكان اصغر ولد أبيه ..

توفي بالمدينة ؟

« وأَضرّ العباسُ في آخر عمره ..

« وتوفي بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب ..

« سنة اثنتين وثلاثين ..

« قبل قتـــل عثمان بسنتين ..

« وَصلى عليه عثمان ..

« ودفن بالبقيـع

« وهو ابن ثمان وثمـانين سنة ..

كان طويلاً .. جميلاً ؟

« وكان طويلا ، جميلا ، أبيض ، بَضيّاً ..

« ولما أُسِر يوم بدر لم يجدوا قميصاً يصلح عليه إلا قميص

عبدالله بن أُبيّ بن سلول ، فألبسوه إياه ..

« ولهذا لما مات عبدالله بن أُبيّ ، كفّنه رسول الله ، ﷺ .. في قميصه ..

« وأعتق العباس سبعين عبداً .. »

*

اقول :

هذا هو العباس ، عمّ رسول الله ، ﷺ ..

ووالد ابن عباس ، موضوع هذا الكتاب .

وهذا الشبل من ذاك الأسد !!

الإلهام ...

علم الحكمة ...

وتأويل الكتاب ؟!

عن

ابن عباس ، قـــال :

« ضمَّني رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم .. اليه .. وقال :

« اللهم عَلِّمْهُ الحِكمةَ ..

« وتأويلَ الكتاب . »

[اخرجه ابن ماجة]

قالوا :

• قوله : (َعلمْه الحكمة) ، قيل : المراد بالحكمة معرفة حقائق الأشياء ، والعمل بما ينبغي ، وهو المذكور في كتاب الله تعالى ..

• وقيل : الظاهر أن يراد بها السُّنَّة .. لأنها قرنت بالكتاب ..

قال تعالى :

﴿ ويعلمُهم الكتابَ والحكمةَ ﴾ . »

اللهمَّ فقِّهه ؟

« سمعتُ عُبَيْدَ اللهِ بنَ أبي يَزيدَ ، يُحدِّثُ عن ابن عباسٍ ..

« أنَّ النبيَّ .. صلى الله عليه وسلم .. أتى الخلاءَ ..

« فوَضعتُ لهُ وَضوءاً ..

« فلما خرجَ قالَ :

« مَن وَضعَ هذا ؟.

« قُلتُ : ابنُ عبّاسٍ ..

« قالَ : اللهمَّ فقّهْهُ . »

[أخرجه مسلم]

*

قالوا :

« قوله ﷺ في ابن عباس (اللهم فَقِّهْهُ) ..

« فيه فضيلة الفقه ..

« واستحباب الدعاء بظهر الغيب ..

« واستحباب الدعاء لمن عمل عملاً خيراً مع الانسان ..

« وفيه إجابة دعـاء النبي ، ﷺ .. له .

« فكان من الفقه بالمحل الأعلى . »

وأخذَ بأذُني اليُمنى .. يَفتلها ؟

« عنْ كُرَيبٍ ..

« أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عباس اخبرَهُ .

« أنه باتَ عِندَ مَيمونَةَ ، أمّ المؤمنينَ .

« وهِيَ خـالَتهُ ..

« فاضطجَعَ في عَرْضِ الوسادَةِ ..

• واضطَجَعَ رسولُ اللهِ ، صلى الله عليه وسلم.. وأهلهُ في طولهـا ..

• فنَامَ رسول اللهِ ، ﷺ ..

• حتى إذا انتصَفَ الليْلُ ..

• أوْ قبله قليلا ..

• أوْ بَعْدَه قليلاً ..

• استَيْقَظَ رسول اللهِ ، ﷺ .

• فجَلَسَ يَمسَحُ النوْمَ عن وَجهِهِ بيَدِهِ ..

• ثُمَّ قَرَأَ العَشرَ الآياتِ .. الخواتِيمَ مِنْ سُورةِ آلِ عِمرانَ ..

• ثمّ قامَ إلى شَنٍّ مُعَلقَةٍ ..

• فتوضأ مِنها فأحسَنَ وُضوءَهُ ..

• ثمّ قـامَ يُصلِّي ..

• قالَ عبدُ اللهِ بنُ عبّاس :

• فقُمْت ، فصَنعْت مِثْلَ مـا صَنَعَ ..

• ثمّ ذهبتُ ، فقُمْت إلى جَنبهِ ..

« فَوَضَعَ رسول اللهِ ، ﷺ .. يَدَهُ اليمْنى على رَأسي ..

« وأَخذَ باذُني اليمْنى يَفْتِلُها ..

« فصَلى ركعتينِ ..

« ثمَّ ركعتينِ ..

« ثمَّ ركعتينِ ..

« ثمَّ ركعتَينِ ..

« ثمَّ ركعتينِ ..

« ثمّ ركعتَينِ ..

« ثم أوْتَرَ ..

« ثُمَّ اضطجَعَ حتى جاءَه المؤَذّن ..

« فصَلى ركعتَينِ خفيفَتَينِ . »

[أخرجه النسائي]

*

اقول :

هذا الحديث نموذج واحد ، من فقه ابن عباس ..

كان غلاماً ، ولكن ايّ غلام ؟!

غلام يقوم الليل عن يمين رسول الله ، ﷺ .

ثم ها هو يصنع مثل ما صنع ، ﷺ .

ثم يصلي ، مثل ما يصلي ، ﷺ !!

ويلاطفه ارحم الناس بالناس ، ﷺ .

يقول ابن عباس :

« فوَضَع رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. يدَهُ اليُمْنى على رأسي ..

« واخَذَ بأذُني اليُمْنى ..

« يفتِلُها .. » !!

هنيئاً لك ، ابا العباس ، صنيع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم !!

وهكذا تربى ابن عباس .

ومن هنا تسلسلت سلسبيلات الأنوار القدسية إلى قلبه .

كان فقهه رأساً

من النبيّ ، ﷺ ..

وما ظنك بغلامٍ يقوم الليل ، عن يمين النبيّ ، ﷺ ..

كيف يكون ؟!

ابن عباس ...

يواكب بداية ...

التاريخ الهجري .؟!

اذا

اخذنا في الاعتبار أنّ ابن عباس وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين ..

وأنه مات سنة ثمان وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة ..

وضحت أمامنا حقيقة جديرة بالتسجيل ..

أنّ حياة ابن عباس من أولها إلى آخرها ، تواكب الاسلام من أوله إلى آخره ، حتى عام ثمان وستين هجرية .

اي أنّ ابن عباس عاش الاسلام ، وعاصر أحداثه ووقائعه في عصر النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ..

ثم عاش عصر الخلفاء الأربعة .

ثم عاش عصر معاوية .

ثم عاش عصر يزيد بن معاوية .

ثم عاش عصر معاوية بن يزيد بن معاوية ..

ثم عاش عصر مروان بن الحَكَم ..

ثم عاش عصر عبد الملك بن مروان .

إلى أن مات في عهده سنة ثمان وستين هجرية ..

فما معنى هذا ؟

معناه ان ابن عباس عاش تجربة الإسلام ، في اوسع صور التطبيق العملي للاسلام ..

وشارك في هذه التجربة ، مشاركة عملية .

فهو لم يكن مجرد عالم علوماً اسلامية نظرية ، يحفظ ويدرس ويُفتي ، وينتهي الأمر عند ذلك ..

كلا إنما هو قائد من قادة الاسلام ، وزعيم من زعماء الدولة الاسلامية ، له رأيه ، ويُحسب لموقفه الف حساب !!

وسوف نرى في الصفحات الآتية مَن هو ابن عباس ، ومدى المساحة التي كان يشغلها من الأحداث ؟

واليك بياناً بسن ابن عباس عند كل واقعة هامة من وقائع التاريخ الاسلامي التي عاصرها .

تاريخ الواقعـة	سن ابن عباس وقتها
عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم	١٣ سنة
عند وفاة ابي بكر في جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة هجرية	١٦ سنة
عند وفاة عمر في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين هجرية	٢٦ سنة
عند مقتل عثمان في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين هجرية	٣٨ سنة
عند مقتل عليّ في رمضان سنة اربعين هجرية	٤٣ سنة
عند وفاة معاوية في رجب سنة ستين هجرية	٦٣ سنة
عند وفاة يزيد بن معاوية في ربيـع الأول سنة اربع وستين هجرية	٦٧ سنة
عندما بويـع مروان بن الحكم بالشام سنة اربـع وستين هجرية	٦٧ سنة
عند موت مروان بن الحكم وولاية ابنه عبد الملك بن مروان في سنة خمس وستين هجرية	٦٨ سنة

ثم مات ابن عباس سنة ثمان وستين هجرية في عهـد عبد الملك ابن مروان ، وكان له من العمر إحدى وسبعين سنة ..

فهو بهذا يتوازى مع التاريخ الهجري باضافة ثلاث سنين إلى ذلك التاريخ ، وهي المدة التي عاشها بمكة قبل الهجرة ..

مثال ذلك : توفي النبي صلى الله عليه وسلم .. في العام العاشر من الهجرة ..

إذن يكون عمر ابن عباس :

١٠ + ٣ = ١٣ سنة

اي عشرة هجري + ثلاث قبل الهجرة ، وهكذا !!

ابن عباس ..

في عهد النبي ..

صلى الله عليه وسلم ؟!

ولد ..

قبل الهجرة بثلاث سنين ..

وكان له لما توفي النبي ، ﷺ .. ثلاث عشرة سنة ..

أي أنه عاش قبل الهجرة النبوية في مكة ثلاث سنين ، كان فيها رضيعاً ، ثم فطيماً .

ونعني بذلك أنه كان قريباً من رسول الله .. صلى الله عليه وسلم . في تلك الثلاث .

إلا أنه لا يعقل شيئاً بعد ، فماذا يعقل مَن كان في المهد صبيّاً ؟

ثم هاجر رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. إلى المدينة ..

وكان الصبيّ ابن عباس بمكة مع والده العباس ، حيث لم يهاجر العباس بعد .

. واكبر الظنّ ان الطفل عبد الله بن عباس البالغ من العمر ثلاث سنين .. مكث مع والده العباس بمكة حين هاجر رسول الله ..

ﷺ .. إلى المدينة ..

إذ لا ُيعقل أن الوالد ما زال بمكة لم يهاجر ، بينما طفله الصغير ذهب مهاجراً إلى المدينة !!

بل المعقول أن الطفل لازم أباه بمكة ..

إلا ان ذلك الطفل وفي حدود ادراك الطفولة المحدود ، يسمع ويرى ما يجري حوله نحو هجرة النبيَ ، ﷺ .. إلى المدينة ..

ولعله جعل يسال نفسه البريئة :

لماذا ُيخرجون ابن عمّـه .. محمداً .. ﷺ ، من مكة ؟!

متى قدم ابن عباس الى المدينة ؟

كان ُغلاماً لا ُيلتفت اليه في الأحداث ..

وإنما بالتامل في روايات إسلام والده العبـــاس نلمس شيئاً ..

هذا الشيء أنهم قالوا :

« استأذن العباس بن عبد المطلب النبي .. صلى الله عليه وسلم .. في الهجرة .. فقال له :

« يا عمّ .. أقم مكانك الذي انت به .. فان الله تعالى يختم بك الهجرة .. كما ختم بي النبوة .. »

« ثم هاجر إلى النبي .. ﷺ .

« وشهد معه فتح مكة ..

« وانقطعت الهجرة (حيث لا هجرة بعد فتح مكة) ..

« وشهد حنيناً .. وثبت مع رسولُ الله .. صلى الله عليه وسلم لما انهزم الناس بحنين .. »

فما معنى هذا ؟

معناه ان العباس استأخرت هجرته إلى المدينـــة بتوجيه من الرسول ، ﷺ ..

وأنه هاجر بعد ذلك اثناء فتح مكة ..

وشهد مع رسول الله ، ﷺ ، فتح مكة .

واكبر الظن ان الغلام عبدالله بن عباس ، كان مع ابيه العباس بمكة ، ثم هاجر مع أبيه إلى المدينة اثناء فتح مكة ..

ومن حيث ان فتح مكة كان في سنة ثمان ..

وأنه رُوي ان العباس قدم ومعه اهله إلى المدينة ، والمسلمون

متوجهون في طريقهم إلى فتح مكة ، والتقى بهم وهم في طريقهم إلى مكة .

فإن ابن عباس قدم المدينة آنذاك مع ابيه ..

اي انه قدم المدينة وهو في نحو العاشرة ، غلاماً زكيّاً .. والله اعلم ..

ويمكن ان نقول ان ابن عباس بَدَأ من تلك اللحظة الوعي والادراك لما يجري حوله من أحداث خطيرة غيرت مجرى التاريخ .

يا غُلام ؟

« عن ابن عبّاس .. قال :

« كُنت خلف رسول اللهِ .. صلى الله عليه وسلم .. فقال :

« يا غُلام ..

« إني أعلمك كلمات ..

« احفظ الله يحفظك ..

« احفظ الله تجده تُجَاهك ..

« إذا سألت فاسأل الله ..

« وإذا استعنت فاستعن بالله ..

« واعلم أن الامـــة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء .. لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك ..

« وإن اجتمعوا على ان يَضُرّوك بشيء .. لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ..

« رفعت الاقلام .. وجفّت الصحف . »

وها هنا ينبغي ان نقول .. إن التاريخ الخـالد لابن عباس يبدأ من هنا .

من اللحظة التي انتقل فيها إلى المدينة المنورة ..

يشهد رسول الله ، ﷺ ..

ويرشف من انواره المقدسة ..

ويتعلم من علمه الشريف .

ويتبارك ببركة دعائه له :

« اللهم عَلمْه الحِكمَةَ ..

« وتأويل الكتاب . » !!

صاحب ...

رسول ...

الله ؟!

كانت

مـدة صحبته لرسول الله ، صلى الله عليـه وسلم .. ثلاث عشرة سنة .

من مولده قبل الهجرة بثلاث سنين ، حتى توفي النبي ، ﷺ .. ولابن عباس ثلاث عشرة سنة .

١٣ سنة .. نصفها لعب ، مما يعقل الغلام حتى السابعة شيئاً ذا بال ؟!

والنصف الثـاني ، شبه ادراك .. فماذا يعقل مَن كان في التاسعة مَثلا ؟

إلا أن الطفولة إذا استلمتها يد النبيّ ، ﷺ .. ارتفعت بهـا إلى مقامات الرجال قبل الأوان .

ذلك أن الله أعطى الأنبياء نوراً له القُدرة على اختراق شغاف القلوب ، وإنارتها بنور سرمدي لا يغيب .

وذلك مـا حدث لهـــذا الغلام السعيد .

فكان اشبه بزهرة جميـــلة ، تفتحت في ضوء شمس ساطعة .. وهواء نقيّ نـديّ .

فكان هذا الغلام بعد ذلك ، أغرودة الأجيال إلى ما شاء الله !!

مـــاذا عايش الغلام عبد الله بن عباس من أحداث وقعت في حياة النبي ، ﷺ ؟!

*

فتح مكة

ثم أقام رسول الله .. ﷺ .. بعد بعثه إلى مؤتة جمـــادي الآخرة ورجبـــاً .

ثم إن بني بكر عدت على خزاعة .

وقد مضى أنه لما كان صلح الحديبية بين رسول الله ، ﷺ .. وبين قريش ، كان فـيما شرطوا له وشرط لهم ، أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه ،

فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهـــدهم ، ودخلت خزاعة في عقـــد رسول الله ﷺ ، وعهده .

فلما كانت الهدنة اغتنمهـــا بنو بكر من خزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً .

واعتدت بنو بكر على خزاعة وقاتلتها ، وقـــاتل من قريش من قـــاتل مع بني بكر !

ثم خرج نفر من خُزاعة ، حتى قدموا على رسول الله ، ﷺ المـدينـة .

فاخبروه بما أصيب منهم ، وبمظـاهرة قريش بني بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة .

ابو سفيان في المدينة

ثم خرج أبو سفيان حتى قـــدم على رسول الله ﷺ المدينة .

فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ، ﷺ .. طوته عنه !

فقـال : يا بُنية ، ما أدري أرغبت بي عن هـذا الفراش ، أم

رغبت به عني ؟

قالت : بل هو فراش رسول الله ، ﷺ ، وأنت رجل مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ، ﷺ !

قال : والله لقد إصابك يا بنية بعدي شر .

ثم خرج حتى أتى رسول الله ، ﷺ ، فكلمه فلم يرد عليه شيئاً .

ثم ذهب إلى أبي بكر ، فكلمه أن يكلم له رسول الله ، ﷺ . فقال : ما أنا بفاعل .

ثم أتى عمر بن الخطاب ، فكلمه ، فقال : أأنا أشفع لكم إلى رسول الله ، ﷺ ؟! فوالله لو لم أجد إلا الذَّرَّ لجاهدتكم به .

ثم خرج فدخل على عَليّ بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله ، ﷺ ، وعندها حسن بن علي يدب بين يديها فقال : يا علي إنك أمس القوم بي رحماً ، وإني قد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً ، فاشفع لي إلى رسول الله ، ﷺ ..

فقال : ويحك يا أبا سفيان !! والله لقد عزم رسول الله ، ﷺ على أمر ، ما نستطيع أن نكلمه فيه .

فالتفت إلى فاطمة فقال : يا ابنة محمد ، هل لك أن تامري بنيك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى اخر الدهر ؟

قالت : والله ما بلغ بني ذاك أن يجير بين الناس ، وما يجير

أحد على رسول الله ، ﷺ .

قال : يا أبا الحسن ، إني أرى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحني .

قال : والله ما أعلم لك شيئاً يغني عنك شيئاً ، ولكنك سيد بني كنانة ، فقم فاجرْ بين الناس ، ثم الحق بارضك .

قال : او ترى ذلك مغنيا عني شيئاً ؟

قال : لا والله ما أظنه ، ولكني لا اجد لك غير ذلك .

فقام أبو سفيان إلى المسجد ، فقال : يا أيها الناس ، إني قد أَجرْت بين الناس ..

ثم ركب بعيره ، فانطلق .

فلما قدم على قريش قالوا : ما وراءك ؟

قال : جئت محمداً ، فكلمته ، فوالله ما رد على شيئاً .

ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى العدو ، ثم اتيت علياً فوجدته الين القوم ، وقد أشار عليّ بشيء صنعته ، فوالله ما ادري هل يغني ذلك شيئاً أم لا ؟

قالوا : وبم أمرك ؟

قال : أمرني أن اجير بين الناس ، ففعلت .

قالوا : فهل اجاز ذلك محمـد ؟

قال : لا .

قـالوا : ويلك ! والله إن زاد الرجـل على أن لعب بك ، فما يغني عنك مــــا قلت ؟

قال : لا والله ما وحدت غير ذلك .

الامر بالتعبئة

وأمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الناس بالتعبئة ، وأمر أهله ان يجهّزوه .

فدخل ابو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها ، وهي تحرك بعض جهاز رسول الله ، ﷺ .. فقال : اي بنية أأمرك رسول الله ﷺ ، أن تجهزوه ؟

قالت : نعم ، فتجهّز .

قـال : فاين تُرَينهُ يريد ؟

قالت : والله ما أدري .

ثم إن رسول الله ، ﷺ ، أعلم الناس أنـه سائر إلى مكة .

وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال :

« اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها » .

فتجهز النـــاس ..

كتاب الى قريش

لما اجمع رسول الله ، ﷺ .. المسير إلى مكة ، كتب حاطب ابن ابي بلتعة كتاباً إلى قريش ، يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ، ﷺ ، من الأمر في السير اليهم .

ثم أعطاه امرأة ، وجعل لها أجراً ، على أن تبلغه قريشاً .

فجعلته في رأسها ، ثم فتلت عليه قرونهـا ، ثم خرجت به .

وأتى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. الخبر من السماء ، بما صنع حـاطب .

فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام فقـال :

« ادركا امرأة قد كتب معهـا حاطب بن أبي بلتعة بكتـاب الى

قريش ، يحذرهم ما قد اجمعنا له في أمرهم ».

فخرجا حتى أدركاها .. فاستنزلاهـــا ، فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئاً .

فقال لها علي بن أبي طالب : إني أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا كذبنا ، ولتخرجن لنا هذا الكتاب او لنكشفنك ..

فلما رأت الجد منه قالت : أعرض .

فاعرضَ ، فحلّتْ قرون رأسها ، فاستخرجتْ الكتاب منها ، فدفعته اليه .

فاتى به رسول الله ، ﷺ ..

فدعا رسول الله ، ﷺ .. حاطباً ، فقال

« يا حاطب ما حملك على هذا ؟ ».

فقال : يا رسول الله ، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم من اصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليهم .

فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعني فلأضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق .

فقال رسول الله ، ﷺ :

« وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطّلع على اصحاب بدر يوم بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم » ..

فانزل الله تعالى في حاطب :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تُلقون اليهم بالمودة ﴾ ..

الخروج في رمضان

ثم مضى رسول الله ، ﷺ لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رُهم كلثوم بن حصين .

وخرج لعشر مضين من شهر رمضان من سنة ثمان من الهجرة .

فصام رسول الله ﷺ .. وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكَديد أفطر ..

ثم مضى حتى نزل مَرّ الظهران ، في عشرة آلاف من المسلمين .

وخرج مع رسول الله ، ﷺ .. المهاجرون والأنصار ، فلم

يتخلف منهم أحد .

قصة اسلام العباس بن عبد المطلب

.. ومعه ابنه عبد الله بن عباس ؟!

وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله ، ﷺ .. ببعض الطريق .

لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله ..

وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته ، ورسول الله ، ﷺ .. عنه راض ..

وهكذا خرج العباس مهاجراً إلى رسول الله ، ﷺ .. فوجده في أثناء الطريق ، وهو ذاهب إلى فتح مكة .

قصة اسلام أبي سفيان

فلما نزل رسول الله ، ﷺ .. مر الظهران ..

قال العباس بن عبد المطلب . فقلت : واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله ، ﷺ .. مكة عنوة ، قبل أن يأتوه فيستأمنوه ؛ إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر .

قال : فجلست على بغلة رسول الله ، ﷺ .. البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك .

فقلت : لعلي أجد بعض الحطابة ، أو صاحب لبن ، أو ذا حاجة يأتي مكة ، فيخبرهم بمكان رسول الله ، ﷺ .. ليخرجوا اليه فيستأمنوه ، قبل أن يدخلها عليهم عنوة .

قال : فوالله إني لأسير عليها ، والتمس ما خرجت له ، إذ سمعت كلام ابي سفيان ، وبُدَيل بن ورقاء وهما يتراجعان .

وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً ؟!

فيقول بديل : هذه والله خزاعة ، حمستها الحرب .

فيقول أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل ، من أن تكون هذه نيرانها

وعسكرها .

قال العباس : فعرفت صوته . فقلت : يا أبا حنظلة ؟

فعرف صوتي . فقال : أبو الفضل ؟

قلت : نعم .

قال : مالك فداك أبي وأمي ؟

قلت : ويحك يا ابا سفيان ، هذا رسول الله ، ﷺ .. في الناس واصباح قريش والله ؟

قال : فما الحيلة فداك أبي وأمي ؟

قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة ، حتى آتي بك رسول الله ، ﷺ ، فاستأمنه لك .

فركب خلفي ورجع صاحباه .

فجئت به ، كلما مررت بنار من نيران المسلمين . قالوا : من هذا ؟

فإذا رأوا بغلة رسول الله ، ﷺ .. وأنا عليها قالوا : عمّ رسول الله ، ﷺ .. على بغلته .

حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : من هذا ؟! وقام إليّ ..

فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ؟!

الحمد لله الذي امكن منك ، بغير عقد ولا عهد .

ثم خرج يشتدّ نحو رسول الله ، ﷺ ، وركضت البغلة ، فسبقته بما يسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء .

فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. ودخل عليه عمر . فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان ، قد أمكن الله منه ، بغير عقد ولا عهد ، فدعني فلأضرب عنقه .

قلت : يا رسول الله إني قد أجرته .

ثم جلست إلى رسول الله ، ﷺ فقال رسول الله ، ﷺ :

« اذهب به يا عباس إلى رحالك ، فاذا اصبحت فأتني به »

فذهبت به إلى خيمتي ، فبات عندي ، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ، ﷺ ..

فلما رآه رسول الله ، ﷺ قال :

« ويحك يا ابا سفيان ، ألم يئن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ » .

قال . « بأبي انت وأمي ، ما أحلمك واكرمك واوصلك !! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره ، لقد أغنى عني شيئاً بعد » .

قال : « ويحك يا أبا سفيان !! ألم يئن لك ان تعلم أني رسول الله ؟ »

قال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك واوصلك !! اما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً .

فقال له العباس . « ويحكَ اسلِم ، واشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً ، رسول الله ، قبل أن تضرب عنقك » ..

فشهد شهادة الحق ، فأسلم .

قال العباس : قلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً .

قال : « نعم .. من دخل دار أبي سفيانَ فهو آمنٌ ، ومن اغلَق عليه بَابَه فهو آمنٌ ، ومن دخل المسجد فهو آمنٌ » ..

عرض الجيش

فلما ذهب لينصرف ، قال رسول الله ، ﷺ :

« يا عباس ، احبسه بمضيق الوادي ، عند خَطْم الجبل[1] ، حتى تمر به جنود الله فيراها » .

---

(١) أنف الجبل ، وهو شيء يخرج منه يضيق به الطريق

قال : فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي ، حيث أمرني ، رسول الله ، ﷺ .. أن أحبسه .

ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس من هذه ؟ فأقول : سليم .. فيقول : مالي ولسليم ؟

ثم تمر القبيلة فيقول : يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة . فيقول : مالي ولمزينة ؟

حتى نفذت القبائل ، ما تمر قبيلة إلا يسألني عنها ، فإذا اخبرته بهم قال : مالي ولبني فلان .

حتى مر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. في كتيبته الخضراء .

وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

فيها المهاجرون والأنصار ، رضي الله عنهم ، لا يُرَى منهم إلا الحدَق من الحديد .

فقال : سبحان الله ، يا عباس ، من هؤلاء ؟!

قلت . هذا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. في المهاجرين والأنصار ..

قال . ما لأحد بهؤلاء قبلٌ ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً ..

قلت . يا أبا سفيان إنها النُّبوّة .

قـــال : فنعم إذن .

قلت : السرعة إلى قومك .

هند تأخذ بشاربه !

حتى إذا جاءهم ، صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد ، قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن

فقامت اليه هند بنت عتبة ، فـــاخذت بشاربه ..

فقالت : اقتلوا الحميت[1] الدسم الأحمس ، قبح من طليعة[2] قوم !

قال : ويلكم لا تغرنكم هذه من انفسكم ! فإنه قد جاءكم ما لا

(١) الحميت . زق السمن . والدسم : الكثير الودك . والأحمس : الشديد اللحم - تريد تشبيهه به لضخامته وسمنه .

(٢) طليعة القوم . الذي يتقدمهم ، أو يحرسهم .

قبل لكم به .. ومن دخـــل دار أبي سفيان فهو آمن .

قالوا . قاتلك الله ، وما تغني عنـا دارك ؟!

قـــال : ومن اغلق عليه بابه فهو آمن .. ومن دخل المسجد فهو آمن ..

وتفرق النـــاس إلى دورهم ، وإلى المسجد الحرام .

التواضع لله

ولما انتهى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم إلى ذي طوى ، وقف على راحلته متعمما . بنصف بردة حمراء .. وإن رسول الله ، ﷺ .. ليضع رأسه تواضعاً لله ، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح .

حتى إن عثنونه (١) ليكاد يمس واسطة الرحل !

وهكذا كان رسول الله ، ﷺ .. لم يدخل مكة دخول الجبارين

(١) عثنونه ذقنه

المتكبرين ، وإنمــا دخل دخول الهداة المتواضعين .

عن أنس قال : دخل رسول الله ، ﷺ .. مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعــاً .

ترتيب الجيش

وقالوا إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حين فرّق جيشه من ذي طوى أمر الزبير بن العوام أن يدخـل في بعض النـاس من كُدىً ، وكان الزبير على المجنِّبة اليسرى .

وأمر سعد بن عُبادة أن يدخل في بعض النـاس من كداء .

وقالوا إن سعداً ـ حين وجه داخلاً ـ قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحـــل الحرمة .

فسمعها رجل من المهاجرين ، فقال : يا رسول الله ، اسمعْ مـا قال سعد بن عبادة ، مـــا نأمن أن تكون له في قريش صَولة .

فقال رسول الله ، ﷺ .. لعلي بن أبي طــالب .

« أدْرِكْه فخذ الراية منه ، فكن انت الذي يدخُل بها »

وأمر رسول الله ، ﷺ .. خـــالد بن الوليد فدخل من أسفل مكة في بعض النـــاس .

وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ، يَنْصَبُّ لمكة بين يدي رسول الله ، ﷺ ..

ودخل رسول الله ، ﷺ .. من أذاخر ، حتى نزل بأعلى مكة وضربت له هناك قُبّته .

وناوش نفر قليل من المشركين ، وناوشهم خـــالد بن الوليد .

وأصيب من المشركين ناسٌ قريبٌ من اثني عشر رجـلاً ، ثم انهزموا ..

وكان رسول الله ، ﷺ قد عهد إلى امرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم . إلا أنه قد عهد في نفر سماهم ، أمر بقتلهم ، وإن وُجدُوا تحت أستار الكعبة .

خطبته يوم فتح مكة

لما نزل رسول الله ، ﷺ .. مكة ، واطمأن النـاس ، خرج حتى جاء البيت ، وطاف به سبعاً على راحلته ، فلما قضى طوافه

وقف على باب الكعبة ، وقد اجتمع له الناس في المسجد ، فقال :

« لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده ، الا كل مأثرٍ أو دم او مال يدّعى ، فهو تحت قدمي هاتين ، إلا سدانة البيت ، وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبهِ العمد بالسّوط والعصا ففيه الدية مغلظة ، مائة من الابل ، اربعون منها في بطونها اولادها .

« يا معشر قريشٍ ، وإن الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهليه ، وتعظمها بالآباء ، الناس من أدم ، وآدم من تراب » .

ثم تلا هذه الآية :

﴿ يا أيها الناسُ إنا خلقناكم مِنْ ذكرٍ وانثى ﴾

الآية كلها

ثم قال :

« يا معشر قريشٍ ، ما تَرَوْنَ اني فاعلٌ فيكم ؟ » .

قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم .

قال : « اذهبوا ، فأنتم الطلقاء » .

هاك مفتاحك يا عثمان !

ثم جلس رسول الله ، ﷺ .. في المسجد .

فقام اليه علي بن أبي طالب ، ومفتاح الكعبة في يده ، فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية ، صلى الله عليك ؟

فقال رسول الله ، ﷺ :

« أين عثمان بن طلحة ؟ » .

فدعي له ، فقال :

« هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء » .

كيف كان البيت ؟

رووا أن رسول الله ، ﷺ .. دخل البيت يوم الفتح ، فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم .

فرأى إبراهيم عليه السلام ، مصوّراً ، في يده الأزلام ، يستقسم بها !

فقال : قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ؟. ما شأن إبراهيم والأزلام ؟

﴿ ما كان إبراهيمُ يهوديا ولا نصرانيا ، ولكنْ كان حنيفا مسلما ، وما كان من المشركين ﴾ .

ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

جاء الحق وزهق الباطل

وعن ابن مسعود قال :

دخل رسول الله ، ﷺ .. مكة يوم الفتح ، وحول البيت ستون وثلثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول :

﴿ جاء الحق وزهق الباطل ﴾

﴿ جاء الحق وما يُبدِئُ الباطل وما يعيد ﴾ .

[اخرجه البخاري]

• في رواية مسلم قال :

دخل رسول الله ، ﷺ .. يوم الفتح مكة ، وعلى الكعبة ثلثمائة صنم فأخذ قضيبه ، فجعل يهوي إلى الصنم ، وهو يهوي ، حتى مر عليها كلها .

وهكذا طهر رسول الله ، ﷺ .. البيت من تلك النجاسات ، وتلك الخرافات التي جعلتها قريش وغيرها ببيت الله الحرام .

ان الله حرّم مكة !

فلما كان من الغد يوم الفتح ، اعتدت خزاعة على رجل من هذيل ، فقتلوه وهو مشرك .

فقام رسول الله ، ﷺ .. خطيباً فقال :

« يا ايها الناس ، إن الله حرّم مكة يوم خلق السموات والارض ، فهي حرامٌ من حرامٍ الى يوم القيامة ، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ، ولا يعضد[1] فيها

(١) يعضد : يقطع .

شجرا . لم تحلَلْ لأحد قبلي ، ولا تحلُّ لأحدٍ يكون بعدي ، ولم تحلَلْ لي إلا هذه الساعة ، غضباً على أهلهـــا ، الا ثمّ قد رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلّغ الشاهدُ منكم الغائب ، فمن قال لكم ان رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. قاتل فيها ، فقولوا إن الله قد احلّها لرسوله ، ولم يحلِلْها لكم ، يا معشرَ خزاعَة ، ارفعوا ايديكم عن القتل فلقد كثر القتل ... » .

ماذا قلتم ؟

ثم ان النبي ، ﷺ ـ حين افتتح مكة ودخلها . قام على الصفا يدعو الله ، وقد أحدقت به الأنصار .

فقالوا فيا بينهم : أترون أن رسول الله ، ﷺ .. إذا فتح الله عليه ارضه وبلده ، يقيم بهـا ؟

فلما فرغ من دعائه قال :

« ماذا قلتم ؟ » ..

قالوا : لا شيء يا رسول الله .

فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبي ، ﷺ :

« معاذ الله ، المحيا محياكم ، والممات مماتكم » .

انتهاء المعركة

وأقام رسول الله ، ﷺ .. بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة بقصـــد الصلاة .

كان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان ، سنة ثمان من الهجرة .

★

اقول

يمكن ان يقال الآن ، أن ابن عباس هاجر إلى المدينة مع أبيه العباس ، حين خرج الأخير مهاجراً ، فلقي النبي ، ﷺ .. في الطريق ، وهو في طريقه إلى فتح مكة !

ثم ماذا عايش الغلام بعد ذلك من أحداث ؟!

*

غزوة حنين

نحن في السنة الثامنة من الهجرة ، بعد فتح مكة ..

لما سمعت هوازن برسول الله ، ﷺ .. وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف ، فاجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها ، واجتمعت نصر ، وجشم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال وهم قليل ..

ثم خرج رسول الله ، ﷺ .. معه الفان من اهل مكة ، مع عشرة آلاف من أصحابه ، الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة .

فكانوا اثني عشر الفاً ..

واستعمل رسول الله ، ﷺ .. عتّـــاب بن أسيد على مكة اميراً ، ثم مضى على وجهه ، يريد لقاء هوازن .

الهزيمـــة !

عن جابر بن عبد الله :

لمـــا استقبلنا وادي حنين ، انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف ، إنما ننحدر فيه انحداراً ، وكان في ظلام الصبح قبل أن يتبين ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي ، فكمنوا لنا في شعابه[1] وجوانبه ومضايقه ، وقد اجمعوا وتهيئوا وأعدوا .

والله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد .

وانقض الناس ، وانهزموا راجعين ، لا يلوي أحد على أحد .

(١) الشعاب : الطرق الخفية .

أنا رسول الله

وانحاز رسول الله ، ﷺ .. ذات اليمين ، ثم قال :

« أين ايها الناس ، هلموا اليّ ، أنا رسول الله ، انا محمد بن عبد الله » ..

قال جابر : فلا شيء !. حملت الإبل بعضها على بعض فانطلق النـــاس .

إلا أنه قد بقي مع رسول الله ، ﷺ .. نفر من المهاجرين والأنصار واهـــل بيته .

شماتة اهل مكة

فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله ، ﷺ .. من جفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بمـــا في انفسهم

من العداوة .

فقال ابو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر

وصرخ جبلةْ بن الحنبل : ألا بَطَل السحر اليوم !

اين ايها الناس ؟

عن العباس بن عبد المطلب :

.. كنت أمرءاً جسيماً ، شديد الصوت ، ورسول الله ، ﷺ ..
يقول حين رأى ما رأى من النـاس :

« **اين ايها الناس ؟** » .

فلم أرَ الناس يلوْون على شيء ، فقال

« **يا عباسْ ، اصرخ يا معشر الأنصار ، يا معشر اصحـــاب السَّمُرة** » . .

فاجابوا لبّيك لبيك . فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك ، ويأخذ درْعهُ فيقذِفها في عنقه ، ويأخـــذ سيفه وترسه ، ويقتحم عن بعيره ، ويخلي سبيـله ، فيؤم الصوت حتى ينتهي إلى

رسول الله ، ﷺ .

الآن حمي الوطيس

حتى إذا اجتمع اليه منهم مائة استقبلوا الناس ، فـاقتتلوا

فاشرف رسول الله ، ﷺ .. في ركائبه ، فنظر مجتلد[1] القوم وهم يجتلدون ، فقـال :

« الآن حمي الوطيس[2] » ..

وتقاتل الناس ، فما رجعت راجعة النـاس من هزيمتهم ، حتى وجدوا الأسارى مُكَتَّفين عند رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

وهزم الله المشركين من اهـل حنين ، وأمكن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم منهم .

ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ، ومعهم مالك بن عوف ،

---

(١) مجتلد القوم : موقع الحرب

(٢) حمي الوطيس : حميت الحرب

وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة .

وأنزل الله عز وجل في يوم حنين

﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾ ..

إلى قوله

﴿ وذلك جزاء الكافرين ﴾ ..

ثم جمعت إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. سبايا حنين واموالها .

حصار الطائف

ثم سار رسول الله ، ﷺ .. إلى الطائف حين فرغ من حنين .

ثم مضى رسول الله ، ﷺ .. حتى نزل قريباً من الطائف فضرب به معسكره .

فقتل ناسٌ من أصحابه بالنّبل ، وذلك أن الجنود اقتربوا من حائط الطائف ، فكانت النبل تنالهم .

ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، اغلقوه دونهم .

فلما أصيب اولئك النفر من اصحابه بالنبل ، وضع معسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم ، فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة

رسول الله اول من رمى بالمنجنيق

ورماهم رسول الله ، ﷺ .. بالمنجنيق ، فكان ﷺ أول من رمي في الإسلام بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف .

ثم أمر ﷺ أن يؤذن بالرحيل ، فـأذن عمر بالرحيل .

وانصرف رسول الله ، ﷺ .. عن الطائف بعد قتال وحصار

ابناؤكم أحب اليكم أم اموالكم ؟.

ثم خرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف ، حتى نزل الجعرانة ، فيمن معه من الناس ، ومعه من

هوازن سبي كثير .

وكان مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ، ومن الإبل والشاء ما لا يدري مـا عدته .

وأتى وفد هوازن رسول الله ، ﷺ .. وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا اهل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامنن علينا منّ الله عليك .

فقال رسول الله ، ﷺ :

« أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم ام اموالكم » ؟

فقالوا : يا رسول الله ، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا ؟ بل ترد الينا نساءنا وأبناءنا ، فهو أحب الينا .

فقال لهم

« اما ما كان لي ولبني عبد المطلب ، فهو لكم .. وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس ، فقوموا فقولوا إنا نستشفع برسول الله ، (صلى الله عليه وسلم) الى المسلمين ، وبالمسلمين الى رسول الله ، (صلى الله عليه وسلم) في أبنائنا ونسائنا .. فسأعطيكم عند ذلك ، واسأل لكم » ..

فلما صلى رسول الله ، ﷺ .. بالناس الظهر ، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به

فقال رسول الله ، ﷺ :

« أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم » ..

فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

اسلام مالك بن عوف

وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف ، ما فعل ؟. فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اخبروا مالكا إنه إن اتاني مسلما رددت اليه أهله وماله ، واعطيته مائة من الابل » ..

فأتى مالك بذلك ، فخرج اليه من الطائف ليلاً ، فجلس على فرسه ، فركضه .. فلحق برسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. فادركه بالجعرانة ، فرد عليه اهله وماله ، وأعطاه مائة من الابل .

وأسلم ، فحسن اسلامه !!

وكان ذلك من جميل سياسة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم المنفوس .

وقال حين أسلم :

ما إنْ رأيتُ ولا سَمِعْتُ بمثْلِهِ
في النّاسِ كلهم بمِثْلِ محمّدِ

فاستعمله رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. على من أسلم من قومه ، وكان يقاتل بهم ثقيفاً ، حتى ضيق عليهم .

توزيع فيء هوازن

ولما فرغ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم من رد سبايا حنين

إلى أهلها ركب ؛ واتبعه النـــاس يقولون : يا رسول الله ، اقسم علينا فَيْئانا من الابل والغنم ، حتى ألجاوه إلى شجرة ، فاختطفت عنه رداءه ، فقال :

« ردوا عليّ ردائي أيها النـــاس ، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تِهامة نَعَماً لقسمته عليكم ، ثم ما ألفيتموني بخيلاً ، ولا جبانا ، ولا كذوبا » . .

ثم قام إلى جنب بعيره ، فاخذ وبرة من سنامه بين اصبعيه ، ثم رفعها ، وقال :

« أيها الناس ، والله ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخُمُسُ ، والخُمُسُ مَرْدُودٌ عليكم . . » .

المؤلفة قلوبهم

وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . المؤلَّفـــة قلوبهم ، وكانوا أشرافاً من اشراف قريش ، يتـألفهم ويتـألف بهم قومهم .

فاعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية

مائة بعير ، وأعطى حكم بن حزام مائة بعير ، واعطى الحرث ابن الحرث بن كلدة مائة بعير ..

وأعطى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. ما أعطى في قريش ، وقبائل العرب ، ولم يعط الأنصار شيئاً !

اللهم ارحم الانصار

لما اعطى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما أعطى من تلك العطايا في قريش ، وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة[1] . حتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قومه .

ودخل عليه سعد بن عبادة ، فقال : يا رسول الله .. إن هذا الحي من الانصار قد وجدوا عليك في انفسهم ، لما صنعت في هذا

(١) القالة : الكلام الرديء .

الفيء الذي أصبت، قسّمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب. ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء!

قال: « فأين أنت من ذلك يا سعد؟ »..

قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي؟

قال: « فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة[1] »..

فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة.

فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردهم.

فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار.

فأتاهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

---

(١) الحظيرة: مكان يتخذ للابل والغنم.

« يا معشر الأنصار ، مـــا قالة[1] بلغتني عنكم ؟ وجِدَةٌ[2] وجدتموها عليّ في أنفسكم ؟. ألم آتكم ضُلاّلا فهداكم الله ، وعالة[3] فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ »..

قالوا : بلى ، الله ورسوله أمَنُّ وأفضل .

ثم قال :

« ألا تجيبونني يا معشر الانصار ؟ ».

قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ الله ورسوله المن والفضل .

قال صلى الله عليه وسلم :

« اما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصُدّقتم ، اتيتنـــا مكذّباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلا فآسيناك[4] . اوجدتم يا معشر الأنصار في انفسكم في لعاعة[5] من

(١) القالة : الكلام الرديء .

(٢) جدة وموجدة : وهي العتاب .

(٣) عالة : فقراء .

(٤) فآسيناك : أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا .

(٥) لعاعة : بقلة حمراء ناعمة ، شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها .

من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ، ووكلتكم الى إسلامكم ؟. ألا ترضون يا معشر الأنصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله الى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً ، وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وابناء الانصار ، وابناء ابناء الانصار » ..

فبكى القوم حتى بلوا لحاهم بالدموع ، وقالوا : رضينا برسول الله قسْماً وحظاً .

ثم انصرف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. وتفرقوا .

العودة الى المدينة

ثم خرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم من الجعّرانة معتمراً ، يريد زيارة البيت ، وأمر ببقايا الفيء ، فحبس بمرّ الظهْران .

فلما فرغ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم من عمرته ، انصرف

راجعاً إلى المدينة .

واستخلف عتّاب بن أسيد على مكة ، وخلّفَ معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ، ويعلمهم القرآن ، واتّبع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ببقايا الفيء .

وكانت عمرة رسول الله .. صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، فقدم المدينة في بقية ذي القعدة .

وشهد ابن عباس ...

حجة الوداع ...

وكان غلاماً ؟!

حجة الوداع ، او حجة الاسلام ، او حجة البلاغ .

وإنما سميت حجة الوداع ، لأنه عليه الصلاة والسلام ودع الناس فيها ، ولم يحج بعدها .

وسميت حجة الاسلام ، لأنه عليه الصلاة والسلام لم يحج من المدينة غيرها .

وسميت حجة البلاغ ، لأنه عليه السلام ، بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وفعلاً ، ولم يكن بقي من دعائم الاسلام وقواعده شيء إلا وقد بينه عليه السلام ، فلما بين لهم شريعة الحج ووضحه وشرحه ، أنزل الله عز وجل عليه وهو واقف بعرفة

﴿ اليوم اكملتُ لكم دينكُم ، وأتممتُ عليكُم نِعمَتي ، ورَضِيتُ لكمُ الاسلامَ ديناً ﴾ ..

متى خرج النبي ؟..

فلما دخل على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. ذو القعدة من سنة عشر من الهجرة ، تجهّزَ للحج ، وأمر الناس باَلجهَاز له .

وخرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. لخمس بقين من ذي القعدة ، فقدم مكه لخمس خاون من ذي الحجة .

واستعمل على المدينة أبا دُجانة السّاعِدِيّ .

وصلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. والناس معه بالمدينة أربعاً .. والعصر بذي الحليفة ركعتين .. ثم بات بها حتى أصبح ، ثم ركب حتى استوت به راحلته على البيداء .. وحمد الله عزّ وجل وسبح .. ثم أهل بحج وعمرة .

كيف كانت تلك الحجة ؟

واليك تفصيل الحجة الأخيرة الجامعة .. التي اختتم بهـــا

رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. الإسلام وأعلن الله تعالى فيها إكمال الدين .. وإتمـــام النعمة .

عن جابر بن عبدالله : إن رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. مكث تسع سنين لم يحج ، ثم أذن في النـاس في العاشرة .. أن رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. حاجٌ ، فقـدم المدينـة بَشر كثيرٌ ، كلهم يلتمس ان يأتم برسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. ويعمل مثل عمله .

فخرجنا معه .. حتى أتينا ذا الحُليْفة .. فولدت أسمـاءُ بنت عُميْس محمداً بن أبي بكر ، فـأرسلت إلى رسول الله .. صلى الله عليه وسلم : كيفَ أصنَعُ ؟ قال :

« اغتسلي واستَثْفِري[1] بثوبٍ وأحْرِمي » ..

فصلى رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. في المسجد ، ثم ركب القصواء .. حتى إذا استوت به ناقتهُ على البيداء ، نظرْتُ إلى مدّ بصري ، بين يديه من راكب وماشٍ .. وعن يمينه مثل ذلك ..

(١) استثفري : شدي في وسطك شيئاً ، وخذي خرقـة عريضة اجعليها على محل الدم ، وشدي طرفيها من قدامها ومن ورائهـا في ذلك المشدود في وسطك .

وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفهِ مثل ذلك !

ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. بين أظهرنا .. وعليه ينزل القرآن .. وهو يعرف تأويله ، ومـــا عمل به من شيء .. عملنـا به .

فأهلّ بالتوحيد :

« لبّيكَ اللهمّ لبيك .. لبّيك لا شريكَ لكَ لبّيكَ .. انّ الحمدَ والنّعمةَ لك .. والمُلكَ .. لا شريكَ لكَ » ..

وأهلّ الناس ، بهذا الذي يهلون به .. فلم يرُدَّ رسول الله ، ﷺ .. عليهم شيئاً منه ، ولزم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم تلبيتهُ .

قال جابر رضي الله عنه :

لسنا ننوي إلا الحجَّ ، لسنا نعرف العُمْرَةَ ، حتى إذا أتينـا البيت مَعَهُ ، استلم الرُّكنَ فرمل ثلاثاً ، ومشى أربعاً ، ثم نفذَ إلى مقام إبراهيم عليه السلام ، فقرأ :

﴿ واتخذوا مِنْ مَقَامِ إبراهيم مُصلّى ﴾ ..

فجعل المقام بينه وبين البيتِ – كان يقرأ في الركعتين : قل هو الله أحدٌ وقلْ يا أيها الكافرون .

ثم رجع إلى الركن فاستلمهُ ، ثم خرج من البابِ إلى الصفا .

فلما دنا من الصفا قرأ :

﴿ انَّ الصَّفا ، والمرْوَةَ مِنْ شعائِرِ اللهِ ﴾ ..

أبدأ بما بَدَأَ اللهُ به .

فبدأ بالصفا ، فرَقيَ عليه ، حتى رأى البيت ، فاستقبل القبلةَ ، فوحَّـدَ اللهَ وكبَّرَهُ .

وقـال :

« لا إله إلا اللهُ ، وحـدهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ الملكُ ، وله الحمدُ ، وهو على كل شيء قدير ، لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه ، انجَزَ وعْدَهُ ، ونصر عبدَهُ ، وهزَمَ الأحزابَ وحدَهُ » ..

ثم دعا بين ذلك ، قال مثل هذا ثلاثَ مرَّاتٍ .

ثم نزل إلى المروة ، حتى إذا انصَبَّتْ قدماهُ في بطن الوادي سعى ، حتى إذا صعدتا مشى ، حتى أتى المروة ، ففعل على المروةِ كما فعل على الصفا .

حتى إذا كان اخرُ طوافِهِ على المروةِ فقال :

« لو اني استقبلتُ من أمري ما استدبَرْتُ ، لم اسقِ الهَدْيَ »

وجعلتُها عمرةً فمن كان منكم ليس معه هديٌ فليحِلَّ ، وليجعلها عمرةً » . .

فقام سُراقةُ بنُ مالك بن جعشم فقال : يا رسول الله ، ألِعامِنا هذا أم لأبدٍ ؟

فشبَّكَ رسول الله ، ﷺ .. أصابعه واحدةً في الأخرى ، وقال :

« دخلتِ العمرةُ في الحجّ - مرتين - لا ، بلْ لأبدِ ابدٍ » . .

وقَدم عليٌّ من اليمن ، ببُدْن النبي ﷺ .. فوجد فاطمةَ رضي الله عنها ممنْ حلّ ولبست ثياباً صبيغاً ، واكتحلتْ ، فانكر ذلك عليها .

فقالت : إنّ أبي أمرَني بهذا .

قال جابر : فكانَ عليٌّ يقول بالعراق ، فذهبت إلى رسول الله ، ﷺ .. مُحرّشاً على فاطمة ، للذي صنعتْ ، مستفتياً لرسول الله ، ﷺ .. فيما ذكرت عنه ، فأخبرْته أني أنكرت ذلك عليها .

فقال : صدَقت صدقت ، ماذا قلتَ حين فرضت الحجّ ؟

قال : قلت : اللهُمّ إني أهلُّ بما اهلّ به رسولُكَ .

قال : فإنّ معِيَ الهَدْيَ ، فلا تحِلُّ .

قال جابر :

فكانَ جماعةُ الهدي الذي قدِم به عليٌّ من اليمن ، والذي أتى به النبي ، صلى الله عليه وسلم مائةً .

قال : فحَلّ الناسُ كلهم ، وقصّروا .. إلا النبيّ ، صلى الله عليه وسلم .. ومن كان معه هديٌ .

فلما كان يوم التروْية .. توجهوا إلى مِنى ، فأهلوا بالحج .

وركب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. فصلى بها الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، والفجر .

ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس ، وأمر بقْبة من شَعَرٍ .. تُضرب له بنمِرَة .

فسار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. ولا تَشُكُّ قريش إلا أنه واقفٌ عنـــد المشعرِ الحرامِ ، كما كانت قريش تصنعُ في الجاهلية .

فأجاز رسول الله ، ﷺ .. حتى أتى عرفةَ ، فوجد القبة قد ضُربت له بنمرةَ .. فنزل بها .

حتى إذا زاغتِ الشمسُ أمرَ بالقصواء ، فرُحلتْ له ، فأتى بطنَ الوادي فخطب الناس وقال :

« ان دماءكم واموالكم حرامٌ عليكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . الا كلُّ شيءٍ من امر الجاهلية تحت قدَميَّ موضوعٌ ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وان اول دم اضعُ من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ، كان مُسترضعاً في بني سَعْدٍ ، فقتلته هُذيلٌ . وربا الجاهلية موضوعٌ ، واولُ ربا أضع ربانا ، ربا عباسِ بن عبدِ المطلب ، فانه موضوعٌ كلُّه . فاتقوا الله في النساءِ ، فانكم اخذتموهن بأمانِ الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة اللهِ ، ولكم عليهن أن لا يُوطِئْنَ فُرشكم احداً تكرهونه ، فان فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غيرَ مُبرِّحٍ ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدَهُ ، إن اعتصمتم به ، كتاب اللهِ ، وانتم تسألون عني ، فما انتم قائلون ؟ » .

قالوا : نشهدُ انك قد بلَّغتَ وأدّيتَ ونصحت .

فقال باصبعه السبابة ، يرفعها إلى السماءِ وينكُتها إلى الناس :

« اللهم اشهدْ » ..

ثلاث مرات .

ثم أذن ، ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئاً .

ثم ركب رسول الله ، ﷺ .. حتى اتى الموقف ، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات ، وجعل حبـــلَ المشاةِ بين يديه ، واستقبل القبلة .

فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس ، وذهبت الصفرة قليلاً ، حتى غـاب القرص .

وأردَفَ اسامَةَ خلفَهُ ، ودفع رسول الله ، ﷺ .. وقد شنق للقصواء الزمام ، حتى إن رأسها ليصيب مَوْرك رَحله ، ويقول بيده اليمنى :

« أيها الناسُ ، السكينَةَ السكينَةَ » ..

كلما أتى حبلاً من الحبال[1] ، ارخى لها قليلاً ، حتى تصعد ، حتى أتى المزدلفة ، فصلى بها المغرب والعشاء بـــأذانٍ واحد ، وإقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئاً .

ثم اضطجع رسول الله ، ﷺ .. حـتى طلع الفجر ، وصلى الفجر حين تبين له الصبح . بأذان وإقامة .

ثم ركب القصواء ، حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة ،

(١) جمع حبل وهو التل من الرمل .

فدعاه وكبره وهلله ووحده .

فلم يزل واقفاً حتى اسفر جداً ، فدفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردف الفضل بن عبـــاسٍ ، وكان رجلاً حسَنَ الشَّعْرِ ، أبيض وسيماً ، فلما دفع رسول الله ، صلى الله عليـه وسلم .. مرّتْ به ظُعُنٌ[1] يجرين ، فطفق الفضل ينظر اليهن .. فوضع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. يده على وجه الفضل ، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ، فحوّل رسول الله ، ﷺ .. يده من الشق الآخر على وجـه الفضل .. يصرف وجهـه من الشق الآخر ينظرُ .

حتى أتى بَطْنَ مُحَسِّرٍ ، فحرّك قليـــلاً ، ثم سلك الطريق الوسطى ، التي تخرج على الجمرة الكـبرى ؛ حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة ؛ فرماها بسبـع حصيات ؛ يكبر مع كل حصاة منها ؛ مثل حصى الخـــذْفِ .

رمى من بطن الوادي . ثم انصرف إلى المنحر .. فنحر ثلاثاً وستين بيده ثم أعطى علياً فنحر ما غبر[2] .. وأشركه في هديه ؛ ثم أمر من كل بدنة ببضعة . فجعلت في قدر فطبخت ، فأكلا من لحمها .. وشربا من مرقها .

---

(١) ظعن : نساء .

(٢) ما بقي .

ثم ركب رسول الله ، ﷺ .. فأفاض إلى البيت ، فصلى بمكة الظهر .

فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم . فقال :

انزعوا بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم ، لنزعت معكم .

وناولوه دلواً ، فشرب منه .

[رواه مسلم]

ذلك هو الحديث الرائع الذي يفصل حجة الوداع تفصيلاً جميلاً طويلاً .

ولقد نقلناه اليك بكامله ، لينقلك بدوره إلى تلك الأيام الجميلة التي قضاها ﷺ .. حاجاً ، ومعه أصحابه ، يقولون كما يقول ، ويفعلون كما يفعل .

فتتلألأ من ذلك امامك صورة حية ناطقة متحركة ، تجري أمام ناظريك عن عظمة رسول الله ، ﷺ .. في أمره كله .

اللهم اشهد

قالوا : ثم مضى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم على حجه ، فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التي بيّن فيها ما بيّن .. فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : أيها الناس .. اسمعوا قولي ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً .. أيها النـاس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هـذا ، وإنكم ستلقَون ربكم فيسالكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها .

وإن كل ربا موضوع .. ولكن لكم رؤوس أموالكم ، لا تَظلمون ولا تُظلمون .. قضى الله أنه لا ربا .

وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله .

وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع .

وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل ، فهو أولُ ما أبدأ به

من دماء الجاهلية .

اما بعد .. أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يَعبد بارضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يُطَعْ فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من اعمالكم .. فاحذروه على دينكم .

أيها الناس .. إن النسيء زيادةٌ في الكفر ، يُضَلُّ به الذين كفروا ، يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ما حرّم الله ، فيحلوا ما حرّم الله .. ويحرموا ما أحلّ الله .

وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً .. منها أربعة حرم : ثلاثة متوالية .. ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان .

أما بعد .. أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقاً .. ولهن عليكم حقاً .. لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة .. فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضرباً غير مُبرّح .. فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف .. واستوصوا بالنساء خيراً .. فانهن عندكم عوان(١) لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن

(١) اسيرات

بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله .. فاعقلوا أيها الناس قولي .. فاني قد بلغت .

وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً .. أمراً بيّناً .. كتاب الله وسنّة نبيه .. أيها النـــاس ، اسمعوا قولي واعقلوه ..

تَعَلمُنّ أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة .. فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم .. اللهم هـل بلغت ..

فقال الناس : اللهم نعم .

فقال رسول الله ، ﷺ :

« اللهم اشهد » .

فقضى رسول الله ، صلى الله عليـــه وسلم .. الحج وقد أراهم مناسكهم ، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم من الموقف .. ورَمي الجمار .. وطواف البيت ، وما أحل لهم من حجهم ومـا حرّم عليهم .

فكانت حجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله ، ﷺ .. لم يحج بعدهـا .

العودة الى المدينة

ثم قفل رسول الله ، ﷺ .. فـــأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفرا .

بعث اسامة بن زيد الى فلسطين

وضرب على الناس بعثاً إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد ابن حارثة مولاه .. وأمره أن يوطىء الخيل تُخوم البلقـــاء ، والداروم .. من ارض فلسطين .

فتجهز الناس ، وخرج مع أسامة بن زيد المهاجرون والانصار .

وهو آخر بعث بعثه رسول الله ، ﷺ ..

*

والآن نقول : إنّ الغلام عبدالله بن عباس خرج مع النبي ﷺ .. وشهد معه حجة الوداع ..

وسوف يأتي تفصيل ذلك فيما بعد ..

ثم ماذا شهد ابن عباس من الأحداث الخطيرة ؟!

لقد شهد تفاصيل المشهد الأخير .. من حياة أحبّ الخلْق اليه .. نبيّ الله .. ﷺ ..

ومن الحتم أن يكون ابن عباس أول من هرع إلى الأمر .. يدفعه إلى ذلك شغف الفتيان بمعرفة كل شيء . وكون المتوفى هو رسول الله ، ﷺ .. الذي آمن به .. وأحبه اكثر من نفسه ووالده والناس أجمعين ؟!

فكيف كانت الأحداث؟!

الى ..

الرفيق ..

الاعلى !؟

نحن في سنة إحدى عشرة من الهجرة .

وبينا الناس على ذلك ، ابتدىء رسول الله ﷺ بشكواه ، الذي قبضه الله فيه ، في ليال بقين من صفر .

فكان اول ما ابتدىء به من ذلك ، أنه خرج إلى بقيع الغَرْقد من جوف الليل .. فاستغفر لهم ثم رجع إلى أهله .

فلما اصبح أُبتُدِىءَ بوجعه من يومه ذلك .

لقد اخترت لقاء ربي

عن أبي مُوَيْهِبَةَ مولى رسول الله ، ﷺ .. قال : بعثني رسول الله ، صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ..

فقال :

« يا ابا مويهبة ، اني قد امرت ان استغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلق معي » ..

فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال :

« السلام عليكم يا اهل المقابر ، ليَهْنِيءُ لكم ما اصبحتم فيه مما اصبح الناسُ فيه ، اقبلت الفتنُ كقطع الليل المظلم ؛ يتبع آخِرُها اولّها ، الآخِرَةُ شرٌّ من الاولى » .

ثم اقبل عليّ فقال :

« يا ابا مويهبة ، اني قد اوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة » ..

فقلت : بابي انت وأمي ؛ فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة .

قال : « لا ، والله يا ابا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة » .

ثم استغفر لأهل البقيع ؛ ثم انصرف .

فبدأ رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. مرضه الذي قبضه الله فيه .

واراساه

عن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت :

رجع رسول الله ، ﷺ .. من البقيع ، فوجدني وأنا أجـــد ُصداعاً في رأسي .. وأنا أقول : واراساه . فقال :

« بل انا والله يا عائشة ُ وارأساه » .

قالت : ثم قـــال .

« وما ضرك لو ُمتِّ قبلي ، فقمتُ عليك وكفّنْتكِ وصليت عليك ودفنتك ؟ » .

قالت : قلت : والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعت إلى بيتي فأعْرَستَ فيه ببعض نسائك !

فتبسم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

وتتامّ عليه مرضه وهو يدور على نسائه ، حتى اشتد به وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فـــاستاذنهن في أن يمرض في بيتي ، فـــأذِنّ له .

المرض يشتد

عن عائشة زوج النبي ، ﷺ .. قالت :

فخرج رسول الله ، ﷺ .. يمشي بين رجلين من أهـــله ، أحدهمـــا الفضل بن عباس .. ورجل آخر[1] ، عاصباً رأسه ، تخط قدماه .. حتى دخل بيتي .

ثم غُمِرَ ، رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. واشتد به وجعه فقـــال :

« هَرِيقُوا عَلَيَّ سبع قِربٍ من آبار شتى ، حتى اخرُجَ الى الناس ، فأعْهَدَ اليهم » .

فاقعدناه في مِخْضَبٍ لحفصة بنت عمر ، ثم صببنـا الماء حتى طفق يقول :

---

(١) هو علي بن ابي طالب .

« حسبكم حسبكم » .

ينعي نفسه

وخرج رسول الله ، ﷺ .. عاصباً رأسه ، حتى جلس على المنبر .

ثم كان اول ما تكلم به .. أنه صلى على اصحاب أُحُد .. واستغفر لهم .. فاكثر الصلاة عليهم .

ثم قال : « إن عبداً من عباد الله ، خيره الله بين الدنيا والآخرة وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله » ..

ففهمها أبو بكر .. وعرف أن نفسه يريد ، فبكى وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا .

فقال رسول الله ، ﷺ :

« على رسلك يا أبا بكر » ..

ثم قال : « انظروا هذه الأبواب اللافظة[1] في المسجد فسدوها ، إلا بيت أبي بكر ، فاني لا أعلم أحداً ، كان أفضل في الصحبة عندي يداً منه » ..

ويروى أن رسول الله ، ﷺ .. قال يومئذ في كلامه هذا :

« فاني لو كنت متخذاً من العباد خليلا ، لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صحبة ، وإخاء إيمان ، حتى يجمع الله بيننا عنده » .

انفذوا بعث اسامة

ثم إن رسول الله ، ﷺ .. استبطأ النـاس في بعث أسامة ، وهو في مرضه .

فخرج عاصباً رأسه ، حتى جلس على المنبر .

وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة : أمّـر غلامـــاً حدثاً ، على جلة المهاجرين والأنصار .

---

(١) اللافظة : النافذة اليه .

فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال :

« يا أيهـــا الناس ، انفذوا بعث أسامة ، فلعمري لئن قلتم في إمارته ، لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليقٌ للامارة ، وإن كان ابوه لخليقاً لها » ..

ثم نزل رسول الله ، ﷺ .. وانكمش الناس في جهـــازهم .. واشتد برسول الله ، ﷺ .. مرضه .

فخرج أسامة .. وخرج بجيشه معه ، حتى نزلوا الُجرْف من المدينة على فرسخ .

فضرب به معسكره ، وتتامّ اليه الناس .

وثقل رسول الله ، ﷺ .. فاقام أسامة والناس ، لينظروا ما الله قاض في رسول الله ، ﷺ .

استوصوا بالأنصار خيراً

وروي أن رسول الله ، ﷺ .. قـال ـ يوم صلى واستغفر لأصحاب أحد ، وذكر من أمرهم مـــا ذكر ، مع مقالته يومئذ .

« يا معشر المهاجرين ، استوصوا بالأنصار خيراً ، فإن الناس يزيدون ، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد ، وانهم كانوا عَيْبتي التي اويت اليها ، فأحسنوا الى محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم » .

ثم نزل رسول الله ، ﷺ . فدخل بيتـه ، وتتـامّ به مرضه حتى غمره .

من صنع هذا بي !

فاجتمع اليه نساء من نسائه : أم سلمة ، وميمونة ، ونساء من نساء المسلمين ، منهن أسماء بنت عُمَيس .

وعنده العباس عمه ، فاجمعوا على أن يَلدُّوه[1] .

وقال العباس : لألدّنـه .

فلدُّوه ..

(١) لددت المريض : إذا جعلت الدواء في شق فمه .

فلما أفاق رسول الله ، ﷺ .. قال :

« من صنع هذا بي » ؟

قالوا : يا رسول الله عمك .

قال : « هذا دواءٌ أتى به نساء جئن من نحو هذه الارض » .

وأشار نحو أرض الحبشة .

قال : « ولم فعلتم ذلك » ؟

فقال عمه العباس : خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجَنْب .

فقال : « إن ذلك لداءٌ ما كان الله ليقذفَني به ، لا يبقَ في البيت أحد إلا لُدَّ ، إلا عمي » .

فلقد لدت ميمونة ، وإنها لصائمة ، لقسم رسول الله ، ﷺ .. عقوبة لهم بما صنعوا به .

يدعو بالاشارة

عن أسامة بن زيد ، لمـــا ثقُل رسول الله ، ﷺ .. هبطت ، وهبط النـــاس معي إلى المدينة .

فدخلت على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. وقد أُصمت ، فلا تتكلم .

فجعل يرفع يده إلى السماء ، ثم يضعها عليّ .. فأعرف أنـــه يدعو لي ..

اذاً والله لا يختارنا !

عن عائشة قـــالت :

كان رسول الله ، ﷺ .. كثيراً ما أسمعه يقول :

« إن الله لم يقبض نبيا حتى يُخيّرَهُ » .

قالت : فلما حضر رسول الله ، ﷺ .. كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول :

« بل الرفيقَ الأعلى من الجنة » ..

قالت : قلت : إذاً والله لا يختارنا .

وعرفت أنه الذي كان يقول لنا :

« إن نبياً لم يُقبضْ حتى يُخَيَّر » ..

وعن عائشة أيضاً قالت :

كان رسول الله ، ﷺ .. يقول :

« ما من نبي إلا تُقبض نفسه ، ثم يرى الثواب ، ثم ترد اليه ، فيخير بين أن ترد اليه وبين أن يلحق » .

فكنت قد حفظت ذلك منه ، فإني لمسندته إلى صدري .. فنظرت اليه حين مالت عنقه . فقلت : قد قضى . فعرفت الذي قال .

فنظرت اليه حين ارتفع فنظر .

قلت : إذاً والله لا يختارنا .

فقال : مع الرفيق الأعلى ، في الجنة .. مع الذين أنعم الله عليهم

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

مروا ابا بكر فليصل بالناس

عن عائشة قالت : لما استعزّ برسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. قال :

« مروا ابا بكر فليُصَلِّ بالناس » .

قلت : يا نبي الله .. إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير البكاء إذا قرأ القرآن ؟

قال : « مروه فليصل بالناس » .

قالت : فعدت بمثل قولي .

فقال : « إنكنّ صواحبُ يوسفَ ، مروه فليصل بالناس » ..

قالت : فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يُصْرَف ذلك عن أبي بكر .

وعرفت أن الناس لا يحبُّون رجلاً قـــام مقامه ابداً ، وأن النـــاس سيتشاءمون به في كل حدث كان .. فكنت أحب أن

يصرف ذلك عن أبي بكر .

فأين ابو بكر !

عن عبدالله بن زمعة قال :

. لما استعز برسول الله ، صلى الله عليه وسلم ـ وانا عنده في نفر من المسلمين دعاه بلال إلى الصلاة .

فقال « مروا من يصلي بالناس » .

فخرجت ، فإذا عمر في الناس ، وكان أبو بكر غائباً .

فقلت : قم يا عمر فصل بالناس .

فقام . فلما كبر .. سمع رسول الله ، ﷺ .. صوته ، وكان عمر رجلاً مجهراً (١) .

(١) مجهراً : عالي الصوت .

فقال رسول الله ، ﷺ :

« **فأين أبو بكر ؟. يأبى الله ذلك والمسلمون ، يـــأبى الله ذلك والمسلمون** » ..

فبعث إلى أبي بكر ، فجـــاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة .. فصلى بالنـــاس .

قال لي عمر : ويحك !! ماذا صنعتَ بي يا ابن زمعة ؟ والله ما ظننت حين أمرتني ، إلا أن رسول الله ، ﷺ .. امرك بذلك ؟ ولولا ذلك ما صليت بالناس .

قلت : والله ما أمرني رسول الله ، ﷺ .. بذلك ، ولكني حين لم أرَ أبا بكر ، رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس .

النظرة الاخيرة

عن أنس بن مالك : لمـا كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله .. صلى الله عليه وسلم.. فخرج إلى الناس وهم يصلون الصبح ..

فرفع الستر ، وفتح الباب .. فخرج رسول الله ، ﷺ ، فقام على

باب عائشة .

فكاد المسلمون يفتتنون في صلاتهم برسول الله ، ﷺ حـــين راوه ، فرحـا به ، وتفرّجوا .

فاشار اليهم أن اثبتوا على صلاتكم .

وتبسم رسول الله ، ﷺ .. سروراً لمـــا رأى من هيئتهم في صلاتهم .

وما رأيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم احسن هيئةً منه تلك الساعة .

ثم رجع ، وانصرف الناس ، يرون أن رسول الله ، ﷺ .. قد أفرق[1] ، من وجعه .. فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنح[2] .

---

(١) أفرق من وجعه : أبل من مرضه وبرىء منه

(٢) موضع كان لأبي بكر فيه مال ، وكان ينزله بأهله .

يصلي وراء ابي بكر !!

لما كان يوم الاثنين ، خرج رسول الله ، ﷺ .. عـاصباً رأسه إلى الصبح ، وابو بكر يصلي بالناس .

فلما خرج رسول الله ، ﷺ .. تفرج الناس ، فعرف أبو بكر أن النـــاس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله ، ﷺ .. فنكص عن مصلاه .

فدفع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. في ظهره ، وقال :

« صَلِّ بالناس » ..

وجلس رسول الله ، ﷺ .. إلى جَنبه ، فصلى قـاعداً عن يمين أبي بكر .

فلما فرغ من الصلاة ، أقبل على الناس ، فكلمهم رافعـاً صوته من باب المسجد يقول :

« أيها الناس ، سُعِّرتِ النارُ ، واقبلتِ الفتن كقِطع الليل المظلم ، واني والله ما تمسكون عليّ بشيءٍ ، اني لم احِلّ إلا ما احَلّ القرآنُ ،

ولم أحَرّمْ الا ما حرّم القرآنُ » ..

فلما فرغ رسول الله ، ﷺ .. من كلامه ، قال له أبو بكر : يا نبي الله ، إني أراك قد أصبَحْت بنعمـــة من الله وفضل ، كما نحب ، واليوم يوم بنت خارجة أفآتيها ؟

قال : « نعم » ..

ثم دخل رسول الله ، ﷺ .. وخرج أبو بكر إلى أهـــله بالسُّنْح .

بل الرفيق الاعلى

فَتوُفيَ رسول الله ، ﷺ .. حين اشتد الضُّحـــاء من يوم الاثنين ، لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، لتمام عشر سنين من مقدمه المدينة .

عن عائشة قـــالت :

رجع إليَّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم ، حين دخل من المسجد ، فاضطجع في حجري .

فدخل عليَّ رجـــل من آل أبي بكر ، وفي يده سواك أخضر .

فنظر رسول الله ، ﷺ .. اليـــه في يده ، نظراً عرفت أنه يريده .

فقلت : يا رسول الله .. أتحب أن اعطيك هـــذا السواك ؟

قال : « نعم » .

قالت : فأخذته فمضغته حتى لَيَّنْتُه ، ثم أعطيتـــه إياه .

فاستنَّ به كأشد مـــا رأيتـه يستن بسواك قـطُّ ، ثم وضعه .

ووجدت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. يثقـــل في حجري ، فذهبت انظر في وجهه ، فـــإذا بصره قد شخص ، وهو يقول :

« بل الرفيقَ الأعلى من الجنة » ..

فقلت : خُيرْت فاخترتَ ، والذي بعثك بالحق .

وقُبض رسول الله ، ﷺ ..

تقول عائشة :

مـــات رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. بين سَحْري[1] ونَحْري[2] ، وفي دولتي[3] ، لم اظلم فيه احداً . فمن سَفَهي وحداثـة سني ، أن رسول الله ، ﷺ .. قبض وهو في حجري .. ثم رضعت رأسه على وسادة ، وقمت ألْتَدِمُ[4] مع النساء ، وأضربُ وجهي !

والله ما مات !!

عن ابي هريرة :

لما توفي رسول الله ، صـلى الله عليـه وسلم .. قام عمر بن الخطاب ، فقال : إن رجالاً من المنـافقين يزعمون أن رسول الله ، ﷺ .. قد توفي ، وإن رسول الله ، صلى الله عليـه وسلم .. والله

---

(١) السحر : من الرئة إلى الحلقوم .
(٢) النحر : أعلى الصدر .
(٣) في دولتي : في نوبتي التي كانت لي .
(٤) ألتدم : أضرب صدري

فدخل عليّ رجل من آل أبي بكر ، وفي يده سواك أخضر .

فنظر رسول الله ، ﷺ .. اليه في يده ، نظراً عرفت أنه يريده .

فقلت : يا رسول الله .. أتحب أن اعطيك هذا السواك ؟

قال : « نعم » .

قالت : فاخذته فمضغته حتى لَيَّنْتُه ، ثم أعطيته إياه .

فاستنّ به كاشد ما رأيته يستن بسواك قطّ ، ثم وضعه .

ووجدت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. يثقل في حجري ، فذهبت انظر في وجهه ، فإذا بصره قد شخص ، وهو يقول :

« بل الرفيقَ الأعلى من الجنة » ..

فقلت : خُيرْت فاخترتَ ، والذي بعثك بالحق .

وقُبض رسول الله ، ﷺ ..

تقول عائشة :

مـــات رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. بين سَحْرِي[1] ونَحْرِي[2] ، وفي دولتي[3] ، لم اظلم فيه احداً . فمن سَفَهي وحداثـة سني ، أن رسول الله ، ﷺ .. قبض وهو في حجري .. ثم رضعت رأسه على وسادة ، وقمت ألْتَدِمُ[4] مع النساء ، وأضربُ وجهي !

والله ما مات !!

عن ابي هريرة :

لما توفي رسول الله ، صـلى الله عليـه وسلم .. قام عمر بن الخطاب ، فقال : إن رجالاً من المنـافقين يزعمون أن رسول الله ، ﷺ .. قد توفي ، وإن رسول الله ، صلى الله عليـه وسلم .. والله

---

(١) السحر : من الرئة إلى الحلقوم .
(٢) النحر : أعلى الصدر .
(٣) في دولتي : في نوبتي التي كانت لي .
(٤) ألتدم : أضرب صدري .

ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه ، كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه ، اربعين ليلة ، ثم رجع اليهم بعد أن قيـــل : قد مـــات ، والله ليرجعَنّ رسول الله ، ﷺ .. كما رجع موسى .. فليقطَعَنّ ايدي رجال وارجلهم زعموا أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. مـــات !

ابو بكر يقبل رسول الله

وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد ـ حين بلغه الخبر وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في بيت عائشة .

ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. مغطى الوجه في ناحية البيت ، عليه بُرْدُ حِبَرَةٍ[1] .

فاقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) نوع من ثياب اليمن .

ثم أقبل عليه فقبّله ، ثم قال : بابي انت وأمي ، اما الموتةُ التي كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها موتة ابـــداً .

ثم رَدَّ البُرْد على وجه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. ثم خرج وعمر يكلّمُ الناس .

وما محمد الا رسول

فقال : على رسلك يا عمر ، انصت .

فابى إلا ان يتكلم .

فلما رآه ابو بكر لا ينصت ، اقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه .. اقبلوا عليه ، وتركوا عمر .

فحمد الله واثنى عليه .

ثم قال : ايها الناس ، إنه من كان يعبد محمداً فـــإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .

ثم تلا هـــذه الآية :

﴿ وما محمدٌ إلا رسولٌ قدْ خلَتْ من قبله الرسُلُ أفانْ مات او قُتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلبْ على عقبيه فلنْ يَضرَّ اللهَ شيئاً وسيجزي اللهُ الشاكرين ﴾ ..

فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت ، حتى تلاها أبو بكر يومئذ .

وأخذها الناس عن ابي بكر ، فإنما هي في افواههم .

قـــال أبو هريرة :

قال عمر : فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعُقِرْتُ[1] حتى وقعت إلى الأرض ، ما تحملني رجلاي ، وعرفت أن رسول الله ، ﷺ .. قد مات ..

---

(١) فعقرت : تحيرت ودهشت .

عمر يروي قصة اختيار ابي بكر

قال عمر : إنه كان من خبرنا ـ حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم ... أن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا باشرافهم في سقيفة بني ساعدة ، وتخلف عنا علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومن معهما .

واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر .

فقلت، لأبي بكر ، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار .

فانطلقنا نؤمهم .. حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة ..

فلما جلسنا تشهد خطيبهم ، فاثنى على الله بما هو له أهل .

ثم قال : أما بعد ، فنحن أنصار الله ، وكتيبة الاسلام . وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفت[1] دافة من قومكم .

قال عمر : وإذا هم يريدون أن يحتازونا من اصلنا ، ويغصبونا

. . . . .

(١) الدافة : الجماعة تأتي من البادية إلى الحاضرة .

الأمر ..

فلما سكت اردت ان اتكلم ، وقد زَوَّرْتُ[1] في نفسي مقالة قد اعجبتني ، اريد ان اقدمها بين يدي أبي بكر ..

فقال ابو بكر : على رِسلِكَ يا عمر .

فكرهت ان اغضبه .

فتكلم ، وهو كان اعلم مني واوقر ، فوالله ما ترك من كلمة اعجبتني من تزويري إلا قالها في بديهته ، او مثلها ، او افضل ، حتى سكت .

قال : اما ما ذكرتم فيكم من خير فانتم له اهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، هم اوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيت لكم احد هذين الرجلين ، فبايعوا ايهما شئتم .

واخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا .

ولم اكره شيئاً مما قال غيرها ، كان والله أن اُقَدَّمَ فتضرب عنقي لا يُقَرّبني ذلك إلى إثم .. أحب إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم ابو بكر .

---

(١) زورت : أعددت وحسنت .

فقال قائل من الأنصار : منا امير ، ومنكم امير يا معشر قريش .

قــال : فكثر اللغط ، وارتفعت الاصوات ، حتى تخوّفت الاختلاف .

فقلت : ابسُط يَدَك يا ابا بكر .

فبسط يده ، فبايعته .. ثم بايعه المهاجرون .. ثم بايعه الأنصار .

عمر يعتذر

عن انس بن مالك : لما بويع ابو بكر في السقيفة .. وكان الغد ، جلس ابو بكر على المنبر .. فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر .

فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله .. ثم قال : ايها الناس ، إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت ، وما وجدتها في كتاب الله ، ولا كانت عهداً عهده إليّ رسول الله ، ﷺ .. ولكنني قد كنت ارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم .. سَيُدَبِرُ أمرنا .. يكون آخرنا !

وإن الله قد ابقى فيكم كتابه الذي به هَدَى الله رسوله ﷺ ، فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له .

وإن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله ﷺ، ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة، بعد بيعة السقيفة.

لست بخيركم

ثم تكلم ابو بكر، فحمد الله واثنى عليه بالذي هو اهله..

ثم قال: اما بعد ايها الناس، فاني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فان أحسَنتُ فاعينوني، وإن اسأت فقوّموني.. الصدق امانة، والكذب خيانة.. والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله.. والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله..

لا يَدَعُ قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل.

ولا تشيعُ الفاحشة في قوم قطّ إلا عَمَّهُمُ الله بالبلاء.

اطيعوني ما اطعت الله ورسوله.. فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم.

قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

اعداد الجسد الشريف

فلما بويع ابو بكر ، رضي الله عنه ، أقبل الناس على جهاز رسول الله ، ﷺ . يوم الثلاثاء .

فاسند علي بن أبي طالب رسول الله . ﷺ إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقُثَم يقلبونه معه .

وكان أسامة بن زيد ، وشُقْران مولاه ، هما اللذان يصبان الماء .

وعليّ يغسله ، قد اسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يَدلكه من ورائه ، لا يُفضي بيده إلى رسول الله ، ﷺ ..

وعليّ يقول . بأبي انت وأمي ، ما أطيَبك حياً وميتاً .

ولم ير من رسولِ اللهِ ، صلى الله عليه وسلم .. شيء مما يُرى من الميت .

فلما فرغ من غسل رسول الله ، ﷺ .. كفن في ثلاثة أثواب .

ُصحارّيين[1] ، وُبردِ ِحبرَةٍ ، أدرج فيه إدراجاً .

الصلاة على رسول الله

فلما فرغ من جهاز رسول اللهِ ، ﷺ .. يوم الثلاثاء ، ُوضع على سريره في بيته .

وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنـه .

فقال قائل : ندفنه في مسجده .

وقال قائل : بل ندفنه مع أصحـابه .

فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يقول :

« ما قبض نبيٌّ إلا دُفِن حيثُ يُقبضُ » .

فرفع فراش رسول اللهِ ، ﷺ .. الذي توفي عليه ، فحفر له تحته .

---

(١) نسبة إلى صحار ، وهي بلدة من بلاد اليمن .

ثم دخل النـــاس على رسول اللهِ ، ﷺ .. يصلون عليه أرســالاً .

دخل الرجال ، حتى إذا فرغوا أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء ، أدخل الصبيان .

ولم يَؤُمّ الناس على رسول الله ، ﷺ .. أحد .

في ليلة الاربعاء

عن عائشة قالت .

ما علمنا بدفن رسول الله ، ﷺ .. حتى سمعنا صوت المساحي من جوفِ الليل من ليلة الأربعاء .

وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله ، ﷺ .. علي بن أبي طالب ، والفضل بن عباس ، وقثم بن عبـــاس ، وشقران مولى رسول الله ، ﷺ ..

وقد قال أوس بن خوليّ لعلي بن ابي طالب : يا علي انشدك بالله ، وحظنا من رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ؟

فقال له : انزل ..

فنزل مع القوم .

وقد كان مولاه شقران ـ حين وُضع رسول الله صلى الله عليه وسلم .. في حفرته وبني عليه ـ قد اخذ قطيفة ، قد كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. يلبسها ويفترشها ، فدفنها في القبر . وقال : والله لا يلبسها احد بعدك أبداً .

قال ابن عباس :

بُعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. لأربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة . ثم أمر بالهجرة ، فهاجر عشر سنين ، ثم مات وهو ابن ثلاث وستين .

★

والآن يمكن ان نقول ان الغلام عبدالله بن عباس كان هناك .. يشهد الذين نزلوا في قبر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ..

عليّ بن أبي طالب .. والفضل بن عباس .. وقُثَم بن عباس ..

وشقران مولى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ..

إنّ أخويه .. الفضل بن عباس .. وقثم بن عباس .. نزلا في قبر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ..

فمن الحتم ان اخاهما عبدالله بن عباس.. كان قائماً يشهد مع الشاهدين .. ويبكي مع الباكين !!

لقد كان في تلك اللحظة الفاصلة .. ابن ثلاث عشرة سنة !!

ابن عباس ..

في خلافة ..

ابي بكر ؟!

قيل

إنّ عمرو بن حريث قال لسعيد بن زيد :

« متى بويع أبو بكر ؟..

« قال : يوم مات رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. كرهوا ان يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة . » !!

في هذه اللحظة كان ابن عبـــــاس له ثلاث عشرة سنة ..

ومن حيث أن مدة خلافة أبي بكر كانت سنتين وثلاثة اشهر وعشر ليالٍ .

فان عُمْر ابن عباس عند وفاة الخليفة الأول كانت :

١٣ سنة + ٣ شهر و ٢ سنة = ٣ شهر ١٥ سنة

ومن حيث ان فترة خـــــلافة الصديق كانت فترة حروب متواصلة للقضاء على المرتدين .. والبدء في فتح العراق والشام ..

وأنّ ابن عباس كان ما بين ١٣ إلى ١٥ سنة .. اي أنه كان صالحاً للقتال شانه شأن كثير من الفتيان آنذاك ..

فيمكن ان يترجح عندنا انّ ابن عباس ربما شارك في المعارك الجبارة التي وقعت في عهد ابي بكر .. بقيادة خالد بن الوليد .. أو غيره من عظماء القادة الفـاتحين ..

حيث انه كان فتى قوياً يتفجر شباباً ورغبة في قتال اعداء الله ..

واجه أبو بكر اهل الردة مواجهة عنيفة .. فوزع الجند أحد عشر لواء .. جعل على كل لواء منهـا اميراً .. ولقد كان اللواء الذي عقده لخالد بن الوليد .. أمنع الألوية الأحد عشر واقواها .. وكان به خيرة المقاتلة من المهاجرين والأنصار ..

فما المانع أن يكون عبد الله بن عباس قـد خرج في لواء من هذه الألوية الأحد عشر ؟!

.. وهل يطيق شاب مؤمن أن يبقى بالمدينـة كالنساء ، بينما قد خرج الجميـع للقتال في سبيل الله ؟!

ملحمة اليمامة ؟!

نحن الآن نقترب من أعظم معركة من معـــارك الردّة التي أمر بها ابو بكر .

وطار خالد بن الوليد إلى النصر .. وشدّ برجـاله على مسيلمـة الكذّاب .. فولّى الكذّاب فراراً ..

وما ان انتهت ملحمة اليمامة ، حتى تتابعت انتصارات جيوش المسلمين في كل انحاء جزيرة العرب ..

فقضت على المرتدين بالبحرين .. ثم قضت عليهم في عمـــان .. ثم قضت عليهم قضاء تاماً في اليمن ..

وهل يعقل ان يبقى الفتى ابن عباس بالمدينة ، قاعداً وهو يسمع هدير السيوف حوله في كل مكان ؟!

فتح العراق

وانطلق خالد ليفتح العراق .. مأموراً من أبي بكر .. خليفة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ..

ثم فتح خالد بلاد الحيرة .. وجعلها مركز قيادته !!

خالد يتحدى الامبراطوريتين معاً ؟!

وذاعت انباء خالد .. وعجز القبائل جميعاً عن مقاومته ..

ولما تكن الروم قد ذاقت بأس خالد ..

فساروا حتى التقى الجمعان .. وانكشف الروم وحلفاؤهم مدبرين .. والمسلمون من ورائهم يمعنون فيهم قتلاً ..

وبلغ من ذلك ان قتل بالفراض في المعركة وفي الطلب .. مائة الف في رواية جميع المؤرخين ..

وكان نصراً .. ليس على فارس وحدهـــا .. ولكن ضد الامبراطوريتين في وقت واحد !!

فتح الامبراطورية الرومانية ؟!

وأمر الخليفة بالتعبئة العامة لفتح الشام .. وسيّر الجيوش التي جمعها من كل مكان لتلك الغاية ..

وودّع الصدّيق جيوشه .. وانطلقوا يفتحون الامـــبراطورية الرومانية في أعز مكان منهـــا .. في الشام .. حيث يوجد بيت المقدس .. اقدس مكان من تلك الأمبراطورية ..

اليرموك ..

وسمع هرقل بمقدمهم .. فسير اليهم قوات عظيمـــة ، بلغت عدتها اربعين ومئتي الف !!

في حين كان عدد جيش المسلمين ثلاثين الفـــاً !!

واصطف الجمعان على نهر اليرموك .. لا يقدر المسلمون منهم على شيء .. ولا يقدر الروم منهم على شيء ..

وكتب ابو بكر إلى خالد بالحيرة يقول :

سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك ..

وانطلق خالد على رأس تسعة آلاف مقاتل .. ويمم وجهه شطر الشام .

وتولى خالد قيادة المعركة ..

واصطف الفريقان ٢٤٠،٠٠٠ من الرومان .

قبالة ٤٠،٠٠٠ من المسلمين ..

اي بنسبة ١ : ٦

وانقض خالد بفرسانه ومشاته ، على مشاة الروم ، فاقتحموا عليهم خندقهم فتراجعوا ..

وكانت وراءهم هاوية الدافوصة .. فتردّوا فيها ، وكأنهم جدار دُكّ من اساسه ..

وظلوا كذلك يتلاحقون .. حتى قيل إنه قتل منهم يومئذ مائة الف !!

نبأ في كتاب !!

وبينما المعركة على اشدها .. كان رجل يقدم من المدينة بعدما بدأت المعركة ومعه كتاب ؟

وكان هذا الكتاب يحوي استخلاف عمر بن الخطاب .. وأمراً بعزل خالد عن إمارة الجيش .. وبتأمير ابي عبيدة بن الجراح ..

فلما اتم خالد واجبه ، وظفر بالروم ..

تنحى عن القيادة ، وتولاها ابو عبيدة مكانه !!

فهل شهدت الأرض مثل هذا ؟!

هذا شريط سريع لأهم الوقائع الكبرى في عهد أبي بكر ..

حيث كان ابن عباس يهتز بقوة الشباب واندفاع الفتيان .

فهل يعقل ان يجلس البطل ابن عباس بالمدينة مع النساء .. ولا يخرج مع اقرانه من شباب الصحابة .. وأبناء الصحابة .. يقاتل اعداء الله ؟

اكبر ظني انّ ابن عباس .. شارك في هذه المعارك ، وكان حريصاً اشد الحرص ان يكون في الصفوف الأولى في مواجهة الأعداء !

ابن عباس ..

في خلافة ..

عمر ؟!

كانت

مدة خلافة عمر .. عشر سنين . وستة أشهر .. واربعة أيام ..

ذلك أنه وُليّ الخلافة ليلة الثلاثاء .. لثمان بقين من جمـــادي الآخرة .. سنة ثلاث عشرة ..

وُطعن يوم الأربعـاء ، لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ..

وعلى هذا يكون سنّ ابن عباس يوم وُلي عمر الخلافة ..

هو : ١٣ سنة + ٣ = ١٦ سنة ..

ويكون سنّ ابن عباس عند طعن عمر ..

هو : ٢٣ + ٣ = ٢٦ سنة ..

حيث وُلِد ابن عباس قبل الهجرة بثلاث سنين ..

وعلى هذا كان ابن عباس في عهد عمر ، شاباً قوياً .. في أنضر

سنوات العمر ، ما بين ١٦ حتى ٢٦ سنة ..

فماذا عايش ابن عباس من أحداث في عهد امير المؤمنين عمر ابن الخطاب ؟!

هل شهد ابن عباس معركة القادسية ؟

قالوا :

« كان جميع من شهد القادسية بضعة وثلاثين الفا .. »

ومعلوم ان عمر ولى سعد بن أبي وقاص قيادة المعركة ..

« وكان معه تسعة وتسعون بدريًا ..

« وثلاثمائة وبضعة عشر .. ممّن كانت له صحبة .. فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك ..

« وثلاثمائة ممّن شهد الفتح ..

« وسبعمائة من أبناء الصحابة .. »

اقول :

وهـذا يقطع ان ابن عباس شارك وقاتل في معركة القـادسية ..

فالأثر يقول انّ سبعمائة من ابناء الصحابة ، كانوا مع سعد بن أبي وقّـاص .

وهل يُعقل أن الشاب ابن عباس الذي كان آنذاك في السابعة عشرة ، لم يكن من هؤلاء الصحـابة ؟!

كيف وهو ابن عم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟!

ام كيف وهو ابن العبـاس المشهود له بالبطولة ؟!

أم كيف وهو حَبْر الأمة .. وترجمـان القرآن ؟!

لقد خرج ابن عباس .. وقاتل في القـادسية !!

عُمر يستشفع بالعباس ؟

• ثم دخلت سنة ثمان عشرة ..

• ذكر القحط وعام الرمادة ..

• في سنة ثماني عشرة اصاب الناس مجـاعة شديدة وجدب

وقحط .. وهو عام الرمادة .. وكانت الريح تسفي تراباً كالرماد فسُمّي عام الرمادة .. واشتدّ الجوع حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس .. »

فنادى عمر في الناس ..

« وخرج معه العبّاس ماشياً ..

« فخطب وأوجز وصلّى ..

« ثم جثا لركبتَيْه وقال :

« اللهمّ عجزتْ عنا أنصارنا ..

« وعجز عنّا حوُلنا وقوّتنا ..

« وعجزتْ عنّا انفسنا ..

« ولا حول ولا قوة إلا بك ..

« اللهمّ .. فاسقنا .. واحيي العباد والبلاد !!

« وأخذ بيد العبّاس بن عبد المطلب .. عمّ رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

« وإنّ دموع العباس ، لتتحادر على لحيته ..

« فقال : اللهمّ إنا نتقرّب اليك .. بعمّ نبيّك .. صلى الله عليه وسلم ..

• وبقية آبائه .. وكبر رجاله .

• فإنك تقول وقولك الحقّ :

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ ..

• فحفظتهما بصلاح آبائهما ..

• فاحفظ اللهمّ نبيّك .. صلى الله عليه وسلم .. في عمّه ..

• فقد دلونا به اليك ، مستشفعين مستغفرين ..

• ثمّ اقبل على الناس .. فقال : استغفروا ربّكم إنه كان غفّاراً ..

• وكان العباس قد طال عمره ، وعيناه تذرفان ، ولحيته تجول على صدره .. وهو يقول :

• اللهمّ انت الراعي .. فلا تُهمل الضالة .. ولا تدع الكسير بدار مضيعةٍ ..

• فقد صرخ الصغير ، ورقّ الكبير ..

• وارتفعت الشكوى ..

• وانت تعلم السرّ وأخفى ..

• اللهمّ فاغنهم بغناك ، قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فإنه لا ييأس إلا القوم الكافرون ..

« فنشأت طريرة من سحاب ..

« فقال الناس : ترون .. ترون ؟!

« ثم التأمت ومشت فيها ريح ..

« ثم هدأت ، ودرّت .

« فوالله ما تروّحوا .. حتى اعتنقوا الجدار ، وقلّصوا المآزر ..

« فطفق الناس بالعباس .. يمسحون اركانه ويقولون :

« **هنيئا لك ساقي الحرمين ..** »

وفي رواية أخرى :

« فرأى الناس طرةً في مغرب الشمس فقالوا : مـــا هذا ؟

« وما رأوا قبل ذلك قزعة سحاب اربع سنين ..

« ثم سمعوا الرعـد .. ثم انتشر ..

« ثم اضطرب وارخت السماء شآبيبَ مثل الجبـــال ، بديمة مُطبقة ، حتى ساوت الحفر والآكام ..

« فقال حسان بن ثابت :

سأل الإمامُ وقد تتابع جدْبنا

فسقى الغمامُ بغُـرّة العباس

احيا الإله به البلاد فأصبحت

مخضرّةَ الأجنـاب بعد اليأس

« ولما نزل المطر صار عُمر يخرج الاعراب ويقول : اخرجوا ، الحقوا ببلادكم .. »

*

اقول :

لقد كان ابن عباس في الحادية والعشرين من عمره .

حيث كان الاستسقاء سنة ثمان عشرة ..

وعايش ابن عباس ذلك الحدث الهام ..

كيف لا ، وقد كان ابوه ، العبـــاس بن عبد المطلب ، هو كوكب الواقعة ؟!

ادخال دار العباس .. في المسجد النبوي ؟

قال عُمر للعباس :

إني سمعت رسول الله ، ﷺ .. يريد ان يزيد في المسجد .. ودارك قريبةٌ من المسجد .. فاعطناها نزدها في المسجد .. واقطع لك اوسع منها ..

قال : لا افعل .

قال : إذن اغلبك عليها .

قال : ايس ذاك لك .. فاجعل بيني وبينك من يقضي بالحق .

قال : ومَن هو ؟

قال : حُذَيفة بن اليمان .

فجاؤوا إلى حذيفة فقصوا عليه .

فقال حذيفة : عندي في هذا خبر .

قال : وما ذاك ؟

قال : إن داود النبي عليـــه السلام ، اراد ان يزيد في بيت المقدس ، وقد كان بيت قريب من المسجد ليتيم .. فطلب اليـــه فأبى ، فاراد داود أن يأخذها منه .. فاوحى الله اليـه ان أنزَهَ البيوت عن الظلم لبيتي .. فتركه ..

فقال العباسْ : فبقي شيء ؟

قال : لا .

قال العباس : قد اعطيتك الدار تزيدها في مسجد رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

فزادها عمر في المسجد ..

ثم قطع للعباس داراً اوسع منها بالزوراء ..

وقال ابن عمر :

قال عمر : لولا أني سمعت رسول الله .. صلى الله عليـه وسلم ، يقول : إني أريد أن ازيد في قبلتنا .. ما زدت .

قالوا :

وكان المسجـ ـد تراباً .. ففرشه عمر بالحصى .. ليكون أنظف للمصلي .. والين على الماشي ..

اقول :

هذه واقعة هامة تمس حياة ابن عباس ..

فان بيت أبيه اعطاه والده العبّاس لعمر ليزيده في المسجد النبوي ..

فلا شك أن ابن عباس عايش هذه التطورات ..

وعايش انتقال أبيه واخوته إلى البيت الجديد بالزوراء !!

ابن عباس .. يعرض عليه عُمر .. الولاية .. فيأبى ؟!

قال عبدالله بن عباس :

بعث اليّ عمر بن الخطاب فاتيته .. فقال :

« يا ابن عباس !

« إن عامل حمص هلك .. وكان من أهل الخير .. والخير قليل .

« وقد رجوت أن تكون منهم ..

« فدعوتك لأستعملك عليها ..

« وفي نفسي منك شيء أخافه .. ولم أره منك ..

« وأنا أخشاه عليك ..

« فما رأيك في العمل ؟

قلت :

« ماني لا أرى أن أعمل لك عملاً .. حتى تخبرني بما في نفسك .

« قال : وما تريد إلى ذلك ؟

« قال : اريد إن كنت بريئاً من مثله عرفت أني لست من أهله .. وإن كنت ممن أخشى على نفسي خشيتُ عليها مثل الذي خشيت عليّ .. فقلما رأيتك ظننت شيئاً إلا جاء عليه الوحي ..

« فقال : يا ابن عباس !. إني اطمح حالك أنك لا تجدني إلا قريب الجد .. وإني خشيت عليك ان تأتي على الفيء الذي هو آت وانت في عملك .. فيقال لك : هلمّ الينا .. ولا هلمّ اليكم دون غيركم ، إني رأيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. استعمل الناس وتركم ..

« قلت : والله لقد رأيت الذي رأيت .. ولمَ تُراه فعل ذلك ؟

« فقال : والله ما ادري أصرفكم عن العمل .. ورفعكم عنه ..

وأنتم أهل ذلك .. أم خشي أن تعاونوا لمكانكم منه .. فيقع العتاب عليكم ، ولا بد من عتـاب .. فقد فرغت لي .. وفرغت لك .. فمـا رأيك ؟

« قلت : لا أرى أن أعمل لك .

« قال : لمَ ؟

« قلت : لأني إن عملت لك وفي نفسك ما في نفسك .. لم أبرح قذاة في عينك ..

« قال : فأشر عليّ ..

« قال : قلت : اشير عليك ان تستعمل صحيحـــاً منك .. صحيحـــاً عليك » !!

*

اقول :

هذا حوار خالد .. بين الفاروق .. وابن عباس ..

انتهى إلى رفض ابن عبّاس أن يكون واليـاً على حمص ..

وكان فقهاً عظيماً من ابن عبّاس !!

وفقهاً أعظم من ابن الخطاب !

ابن عباس يشهد .. بعضاً ..

من عجائب عمر ؟

عن عبدالله بن عباس قال :

• خرجت اريد عمر بن الخطاب ، فلقيته راكباً حماراً ، وقد ارتسنه بحبلٍ أسود (اي جعله رسناً له) .. في رجليه نعلان مخصوفتان ..

• وعليه إزارٌ .. وقميص صغير ..

• وقد انكشفت منه رجلاه إلى ركبتيه !!

• فمشيت إلى جانبه .. وجعلت أجذب الأزار وأسويه عليه .. كلما سترت جانباً انكشف جانب ..

• فيضحك ويقول : إنه لا يطيعك .

• حتى جئنا العالية فصلينا ..

« ثم قدّم بعض القوم الينا طعاماً من خبز ولحم ..

« فاذا عمر صائم !!

« فجعـــل يقدم إليّ طيب اللحم ويقول : كل لي ولك !!

« ثم دخلنا حائطاً فألقى إليّ رداءه وقـــال : اكفنيه ..

« والقى قميصه بين يديه ، وجعل يغسله ، وانا اغسل رداءه ..

« ثم جففناه .. وصلينا العصر .. ومشينا » !!

ابن عباس .. يشهد عمر ..
وهو يبكي ؟!

وقال ابن عبـــاس :

« دعاني عمر بن الخطاب فاتيته ..

« فاذا بين يديه نطع عليه الذهب منثور حثـــاً ..

« قال : هلم فاقسم هـذا بين قومك ، فـالله أعلم حيث روى هذا عن نبيه عليه السلام .. وعن أبي بكر ، واعطيته ، لخــير

اعطيتـــه أو لشرّ ؟!

قال ابن عبـــاس :

« فاكببت عليه اقسم وازيّـل ، (اي افرّق) ..

« فسمعت البكاءَ ..

« فاذا صوت عمر يبكي ..

« ويقول في بكائه : والذي نفسي بيده ، ما حبسه عن نبيه .. ﷺ .. وعن ابي بكر ، إرادة الشرّ لهما ، واعطاه عمر إرادةَ الخير له . » !

عمر يقول لابن عباس :

يا ابن عباس .. اخرجْ فسل : من قتلني ؟!

قال ابن عباس ــ بعدما طعن عمر ــ :

« لم أزل عند عمر .. ولم يزل في غشية واحدة حتى اسفر .. فقيل : إنكم لن تفزعوه بشيء مثل الصلاة إن كانت به حياة ..

« فقـــالوا : الصلاة يا أمـــير المؤمنين ، الصلاة ؟!

« فـانتبه وقال : الصلاة .. والله إذن ولا حقّ ..

« ونظر في وجوهنا ، ثم قال : أَصَلّى النـــاس ؟

« قال ابن عباس : قلت : نعم ..

« قال : لا إسلام لمن ترك الصلاة ..

« ثم دعا بوَضوء فتوضا .. ثم صلى ، وإن جرحـه ليثعَب دمـــاً !!

« ثم قـال : يا بن عباس .. اخرج ، فسَل .. مَن قتلـني ؟

« فخرجت من باب الدار ..

« فاذا الناس مجتمعون ، جـــاهلون بامر عمر ..

« فقلت : مَن طعن أمير المؤمنين ؟

« قالوا : طعنه عدوّ الله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة .. ثم طعن معه رهطـاً ، ثم قتل نفسه .

« فرجعت فاذا عمر يمدني النظر ، يستأني خبر ما بعثني اليه !

« فقلت : غلام المغيرة بن شعبة ..

« قال : الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي يحاجني عند الله بسجدة سجدها له قط ، ما كانت العرب لتقتلني ..

« ثم قال : قد كنتَ أنت وأبوك تحبــان أن تكثر العلوج بالمدينة ، وكان العباس اكثرهم رقيقـاً ..

« قلت : إن شئت فعلنا (اي قتلنا) ..

« قال : بعدما تكلموا بلسانكم ، وَصلّوْا قبلتكم .. وحجُّوا حجّكم ؟!

« واحتمل إلى بيتـه .. » !

يا ابن عباس .. اخرج .. فنادِ في الناس ؟

« ولما احتمل ، ودخل الناس عليه ، قـال :

« يا ابن عباس ؟. اخرج .. فنادِ في الناس : أعن مـلأ منكم ومَشُورة كان هذا الذي أصابني ؟

« فقالوا : معاذ الله ، والله ما علمناه ، ولا اطلعناه ..

« وقال البدريون المهاجرون والأنصار حين سألهم : لا والله ، ولوددنا أن الله زاد في عمره من أعمارنا . » !

عُمر .. كان يُحب .. ابن عباس ؟

« وقال ابن عمر :

« ولما طعن أبي خشي أن يكون له ذنب إلى النـــاس لا يعلمـــه ..

« فدعا عبد الله بن عبـاس ..

« كان يحبه .. فقال :

« أحبّ أن تعلم لي أمر النـاس..

« فخرج اليه ثم رجع فقـال :

« يا امير المؤمنين ، ما أتيت على ملأ من المسلمين إلا يبكون ، فكأنما فقدوا اليوم أبناءهم . » !!

ابن عباس يُثني على عمر ..
بعد طعن أمير المؤمنين ؟

• لما طعن عمر ، جعل يألم ..

• فقال له ابن عباس ، وكانه يُجزّعه ..

(اي يزيل جزعه) .

• يا امير المؤمنين !. ولئن كان ذاك ..

• لقد صحبت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. فأحسنت صحبته ، ثم فارقته وهو عنك راض ..

• ثم صحبت أبا بكر .. فأحسنت صحبته .. ثم فـارقته وهو عنك راض ..

• ثم صحبت صَحَبَتَهم ، فأحسنت صحبتهم .. ولئن فارقتهم ، لتفـــارقنّهم وهم عنك راضون ..

• قال : أمّـا ما ذكرت من صحبة رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. ورضاه عني .. فانما ذاك منٌّ من الله تعـــالى ، مَنَّ

به عَـليٌّ ..

« وأمَّـا ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه .. فـــإنما ذلك مَنٌّ مِن الله جلّ ذكره منّ به عليّ ..

« وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك ..

« والله لو أن لي طِلاعَ الأرض (اي ملأها) ذهباً ، لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبـل أن أراه . » !

ابن عباس يقول لعمر :

ابشر يا امير المؤمنين ؟!

(وروى) أنه قال له :

« أبشر يا امـــير المؤمنين ..

« اسلمت مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ... حين كفر النـــاس ..

« وقاتلت معه حين خذله الناس ..

« ولم يختلف في خلافتك رجلان ..

« وقُتلت شهيداً ..

« فقال : أعد .

« فاعاد ..

« فقال : المغرور من غررتموه .. لو أنّ لي ما على ظهرها ، من بيضاء وصفراء ، لافتديت به من هول المطلع ..

« قال القسطلاني : وإنما قال ذلك لغلبة الخوف الذي وقع له حينئذ من التقصير فيما يجب عليه من حقوق الرعية .. ومن الفتنة بمدحهم . »

ويقول لعمر : أبشر بالجنة يا أمير المؤمنين !

(وروى) انه قال :

« أبشر بالجنة يا امير المؤمنين ..

« صحبت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. فـأطلت

صحبته ..

« ثم وَلِيت ، فَعَدلتَ .. وأدّيتَ الأمانة ..

« فقال عمر : تبشرون إياي بالجنة ؟

« فوالله الذي لا إله إلا هو .. لو أن لي مـــا بين السماء والأرض ، لافتديت به مما هو أمامي ، قبل أن اعلم الخبر ..

« وأمـــا ما ذكرت من أمر المسلمين .. فوالله لوددت أني نجوت منها كفافـــاً ، لا عليّ ولا لي ..

« وأما ما ذكرت من صحبة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فذاك » !!

عمر يقول لابن عباس :

أفي الامارة تثني عليّ يا بن عباس ؟

وعن ابن عباس قال :

« لما طعن رضي الله عنه ، دخلت عليه ، فقلت :

« أبشر يا امير المؤمنـــين ..

« قد مصّر الله بك الأمصار ..

« ودفع بك النفاق ..

« قال : افي الامارة تثني عليّ يا بن عباس ؟!

« قلت : وفي غيرها ..

« قال : والذي نفسي بيده لوددت اني خرجت منها كما دخلت فيها ، لا أجر ولا وزر . » !!

الفاروق يقول :

اتشهد لي بهذا يا بن عباس !

قال ابن عباس :

« كنت مع عليّ ..

« فسمعنا الصيحة على عُمر ..

« فقام وقمت معه ..

« حتى دخلنا عليه البيت الذي هو فيه ..

« فقال : ما هو هذا الصوت ؟

« فقـــالت له امرأة : سقاه الطبيب نبيذاً فخرج مشكلاً (اي مختلطاً غير صحيح) ، وسقاه لبنـاً فخرج ..

« فقال : لا ارى ان تمسي ، فما كنت فاعلاً فافعل .

« فقالت ام كلثوم : واعمراه !

« وكان معها نسوة فبكين معها ..

« وارتجّ البيت بكاء ..

« فقال عمر : والله لو أن لي ما على الأرض من شيء لافتديت به من هول المطلع ..

« قلت : والله إني لأرجو أن لا تراها إلا مقدار ما قال الله :

﴿ وَإنْ مِنْكُمْ إلاّ وارِدُهَا ﴾

« إن كنت ـ ما علمنا ـ لأمير المؤمنين .. وأمـين المؤمنين .. وسيّد المؤمنـين ..

« تقضي بكتاب الله ، وتقسم بالسوّية ..

« فأعجبه قولي ..

« فاستوى جـالساً ، فقال :

« أتشهد لي بهذا يا بن عباس؟

« فكففت ..

« فضرب على كتفي فقال : اشهد لي بهذا يا بن عباس؟

« قلت : نعم ، انا أشهد . » !!

والامام عليّ يقول لابن عباس :

قل نعم وانا معك !

(وروي) انه قال له :

« لقد كان إسلامك عزّاً ..

« وإمارتك فتحـــاً ..

« ولقد ملأت الأرض عدلاً ..

« فقال : اتشهد لي بذلك يا بن عبـاس ؟!

« فكانـه كره ذلك ..

« فقال لي عليّ بن أبي طـــالب : قل نعم ، وأنا معك . » !

عبدالله بن عباس .. يقول في عمر ؟

قيل لعبد الله بن عباس:

« فما تقـول في عمر ؟

« قال: رحمـة الله على أبي حفص ..

« كان والله حليف الإسلام ..

« ومأوى الأيتام ..

« ومحل الإيمان .

« ومنتهى الإحسان ..

« ونادي الضعفاء ..

« ومَعْقِل الخلفاء ..

« كان للحق حصناً ..

« وللناس عوناً

« قام بحق الله صابراً محتسباً ..

« حتى أظهر الدين ، وفتح الديار ..

« وذكر الله عز وجلّ على التلال والبقاع .

« وَقوراً لله في الرخاء والشدة ..

« شكوراً له في كل وقت ..

« فاعقب الله من يبغضه الندامة إلى يوم القيامة . » !!

*

قالوا : طُعن يوم الأربعاء ، لأربع بقين من ذي الحجّة ..

ودُفن يوم الأحد ، هلال محرم ، سنة أربع وعشرين ..

وكانت ولايته عشر سنين ، وستة أشهر ، وثمانية أيام ..

وبويع عثمان لثلاث مضين من المحرم ..

وأقول :

كان ابن عباس في ذلك الوقت ابن سبع وعشرين ، أو في مستهل سبع وعشرين ، باعتبار أن عمر دُفن هلال محرم سنة أربع وعشرين .

فماذا عن ابن عباس .. في خلافة عثمان ؟!

ابن عباس ..

في خلافة ..

عثمان ؟!

ثم

« دخلت سنة أربع وعشرين ..

« ذكر بيعة عثمان بن عفّان بالخلافة ..

« في المحرم منها لثلاث مضين منه ، بويع عثمان بن عفّان .. »

ولاية سعيد بن العاص على الكوفة ؟

« ثم دخلت سنة ثلاثين ..

« في هذه السنة عزل عثمانُ .. الوليدَ بن عُقبة ، عن الكوفة .. وولّاها سعيدَ بن العاص ..

ابن عباس .. يشترك في غزو طَبرستان ؟

« في هذه السنة غزا سعيد بن العاص طَبَرْستان ..

« غزاها من الكوفة ، سنة ثلاثين ..

« ومعه الحسن والحسين ..

« وابن عباس ..

« وابن عمر بن الخطّاب ..

« وعبدالله بن عمرو بن العاص ..

« وحُذيفة بن اليمان ..

« وابن الزبير ..

« وناس من أصحاب .. النبي .. صلى الله عليه وسلم .. »

★

اقول :

لم يكن ابن عباس كهؤلاء العلماء المعاصرين ، القاعدين يثرثرون ولا يجاهدون ..

وإنما كان دائماً في طليعة المقاتلين ، وها هو في سنة ثلاثين يخرج من الكوفة مقاتلاً ، في صف واحد مع الحسن والحسين وابن عمر وغيرهم .

شتان ما بين عالم لم يقاتل في سبيل الله ، وعالم عامل يقاتل في سبيل الله .

فرق ما بينهما كفرق ما بين الحيّ والميت !!

وفاة العباس .. والد ابن عباس ؟

• ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ..

• وفي هذه السنة مات العباس .. عمّ النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ..

• وكان عمره يوم مات ثمانياً وثمانين سنة ..

« كان أسنّ من رسول الله ، صلى الله عليـه وسلم .. بثـلاث سنـين .. »

*

اقول :

وكان عُمر ابن عباس حين وفاة أبيه العبّاس ، خمساً وثلاثين سنـة !!

ابن عباس .. في قلب احداث الفتنة الكبرى ؟

« ثم دخلت سنة خمس وثلاثـين ..

« ذكر مسير من سار إلى حصر عثمان ..

« وصلّى عثمان بالناس بعدما نزلوا به في المسجد ثلاثين يوماً ..

« ثم منعوه الصلاة ..

« وصلّى بالناس أميرهم الغافقي ..

« وتفرّق اهل المدينة في حيطانهم ، ولزموا بيوتهم لا يجلس أحد ولا يخرج إلا بسيفه ليتمنع به ..

« وكان الحصار أربعين يوما ، ومن تعرّض لهم وضعوا فيه السلاح .. » !

وقالوا :

« فسكت عثمان ولزم الدار ..

« وأَمرَ أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم ، فرجعوا ..

« إلا الحسن بن عليّ .

« وابنْ عباس ..

« ومحمد بن طلحة ..

« وعبدالله بن الزبير ..

« وأشباهاً لهم ، واجتمع اليه ناس كثير ..

« فكانت مدة الحصار أربعين يوماً .. » !

*

اقول :

ها هو ابن عباس . مع الحسن .. وعبدالله بن الزبير .. وغيرهم من شباب الصحابة .. حول امير المؤمنين .. عثمان بن عفـــان .. للدفاع عنه ضد المحاصرين له .. رغم أن الخليفة أقسم على اهـــل المدينة بالرجوع !!

لقد كان ابن عباس ابن ثمان وثلاثين سنة آنذاك .. حيث دارت هذه الاحداث سنة خمس وثلاثين ..

عثمان يأمر ابن عباس .. بالحج بالناس ؟

• فكانت مدة الحصار اربعين يوماً ..

• فلمـــا مضت ثماني عشرة ليلة قدم ركبان من الأمصار ، فاخبروا بخبر من تهيأ اليهم من الجنود وشجعوا الناس ..

• فعندها حـالوا بين الناس وبـين عثمان ، ومنعوه كلّ شيء حتى المـاء ..

• .. وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات ..

• واشرف عثمان على الناس ..

« فاستدعى ابن عبّاس ..

« فأمره أن يحجّ بالناس .

« وكان ممن لزم الباب .

« فقال : جهاد هؤلاء أحبّ إليّ من الحجّ ..

« فأقسم عليه ..

« فانطلق . » !

★

اقول :

ها هنا مفتاح من مفاتيح شخصية ابن عباس !!

« جهاد هؤلاء احبّ اليّ من الحجّ » ؟!

منطق مقاتل .. منطق رجل سيف فوق ما هو رجل قلم ..

جهاد هؤلاء الذين جاءوا يخلعون امير المؤمنين بالقوة .. وما ينبغي لهم أن يخلعوه ..

مقاتلة هؤلاء احبّ اليّ من الحجّ ..

فالحجّ فريضة يمكن ان يؤديها اي انسان ..

ولكن هذه الفتنة .. يجب أن تُستأصَل من جذورها .. قبل ان تندلع النار !!

إنه ابن عباس .. مقاتل .. يقف بسيفه دفاعاً عن أمـــير المؤمنين !!

وليس كهؤلاء العلماء الذين لا صلة بينهم وبين القتال والجهاد !!

مقتل امير المؤمنين ..

عثمان بن عفان ؟!

« وكان قتله ، لثماني عشرة خلت من ذي الحجـة ، سنة خمس وثلاثين ..

« وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً ..

« وكان عمره اثنتين وثمانين سنة ، وقيل ثمانيا وثمانين سنة .. »

*

اقول :

لقد كان ابن عباس ، في قلب احداث الفتنة الكبرى .

كان من الذين لزموا باب عثمان ، دفاعاً عنه ..

وحين استدعاه عثمان فامره أن يحجّ بالناس .. قال : جهاد هؤلاء احبّ إليّ من الحجّ ..

فأقسم عليه عثمان ، رضي الله عنه .

فانطلق .. أميراً على الحجّ ..

فكيف سارت الأحداث بعد مقتل عثمان ..

وماذا كان من شان ابن عباس ؟!

ابن عباس ...

في خلافة أمير المؤمنين ...

علىّ بن أبي طالب .؟!

بويع

الامام عليّ بن ابي طالب ، أميراً للمؤمنين ، يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة ، سنة خمس وثلاثين ..

وكان ابن عباس على هذا في الثامنة والثلاثين ..

وقُتِل أمير المؤمنين عليّ ، في شهر رمضان ، لسبع عشرة خلت منه ، في سنة أربعين ..

وكان ابن عباس على هذا في الثالثة والأربعين ..

أي أن ابن عباس عاصر وعايش امير المؤمنين نحو خمس سنين ..

او بالتحديد خمس سنين إلا ٣ أشهر ، وهي مدة خلافة امير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ..

فماذا شهد ابن عباس ، من الوقائع والأحداث في تلك الفترة الهامة من حياته ؟

يبالوا مَن وليَ هذا الامر .. ومتى تعزلهم يقولوا : أخذ هـذا الأمر بغير شورى .. وهو قتل صاحبنـا .. ويؤلـّبون عليك .. فتنتقض عليك الشامُ وأهلُ العراق ..

« مع أني لا آمن طلحة والزبير أن يكرّا عليك ..

« وأنا أشير عليك ان تثبت معاوية ..

« فان بايع لك .. فعليّ أن أقلعه من منزله ..

« وقال عليّ : والله لا اعطيه إلّا السيف !!

« ثمّ تمثّل :

وما ميتةٌ إن متُّها غير عاجز

بعارٍ إذا ما غالتِ النفسَ غُولها

« فقلت : يا امير المؤمنين .. انتَ رجلٌ شجـاع .. لستَ صاحب رأي في الحرب ..

« اما سمعتَ رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم .. يقول : الحرب خدعة ؟

« فقال : بلى ..

« فقلتُ : أَمَا والله ، لئن اطعتني لأصدرنهم بعد ورِد .. ولأتركنّهم ينظرون في دبر الأمور لا يعرفون ما كان وجهها .. في غير نقصان عليك ، ولا إثم لك ..

« فقال : يا ابن عباس .. لستُ من هناتك ، ولا من هنات معاوية في شيء ..

« قال ابن عباس .. فقلتُ له : اطعني والحق بمالك بيَنْبُع .. واغلق بابك عليك .. فان العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك .. فإنك والله لئن نهضتَ مع هؤلاء اليوم ليحمِّلنّك الناسُ دمَ عثمان غداً

« فأبى عليٌّ ..

« فقال : تشير عليّ ، وأرى ، فإذا عصيتك فأطعني ..

« قال : فقلت : أفعلُ ، إن أيسر ما لك عندي الطاعة ..

« فقال له عليّ : تسير إلى الشام ، فقد وليتكها ..

« فقال ابن عباس : ما هذا برأي .. معاوية رجل من بني أميّة ، وهو ابن عم عثمان ، وعامله .. ولست آمن أن يضرب عنقي بعثمان .. وإن أدنى ما هو صانعٌ أن يحبسني ، فيتحكم عليّ لقرابتي منك ، وإن كلّ ما حُمل عليك حُمل عليّ ..

« ولكن اكتبْ إلى معاوية ، فمنّه وعِدْه ..

« فقال : لا والله ، لا كان هذا أبداً . » !!

وكان المغيرة يقول : نصحته .. فلمّا لم يقبل غَششتُه .. وخرج فلحق بمكة .

* * *

ما هذا ؟!

هذا حوار خالد ، بين أمير المؤمنين ، وابن عمّه ابن عباس ..

أمير المؤمنين ، يرى ألا مهادنة مع معاوية ..

وابن عباس .. يرى ترك معاوية كما هو ، حتى تهدأ الأمور ، وتنبلج الحقـائق !

إنه حوار في أهم قضايا الساعـــة ، وأعلى مستويات السياسة العليـــا ..

كيف التصرف بعد مقتل عثمان ..

وكيف تُساس الأمور الشـائكة ؟!

امير المؤمنين عَلي ..

يُولي ابن عباس .. قائداً للميمنة ؟!

« ثم دخلت سنة ست وثلاثين .

« ودعا عليّ ، محمد بن الحنفيّة .. فدفع اليه اللواء .

« وولى عبدَ الله بن عباس ميمنته ..

« وعمر بن أبي سَلِمة ، ولاه ميسرته ..

« ودعا أبا ليلى بن عمر بن الجراح ، فجعله على مقدمته ..

« واستخلف على المدينة قُثَم بن العباس ..

« ودعا أهل المدينة إلى قتالهم .

(اي قتال أهل الشام) ..

« وقال لهم ، انهضوا إلى هؤلاء القوم يريدون تفريق جماعتكم . »

* * *

وهكذا وجد ابن عباس نفسه ، في قلب الأحداث .

ها هو يقود ميمنة القوات المسلحة ، التي يعدها أمير المؤمنين ، لقتال معاوية وأهل الشام .. لرفضه بيعة عليّ !!

امير المؤمنين يسير الى البصرة ..
بدلا من الشام ؟!

« فبينما هم كذلك على التجهز لأهل الشام ، أتاهم الخبر عن طلحة والزبير وعائشة ..

« فاعلم عليّ الناس ذلك ، وأن عائشة وطلحة والزبير قد سخطوا إمارته ودعوا الناس إلى الاصلاح ..

« ثم أتاه أنهم يريدون البصرة ..

« فلما بلغه ذلك دعا وجوه اهل المدينة وخطبهم ..

« وسار حتى انتهى إلى الرَّبذة ..

« وسار عليّ من الرَّبذة ، والراية مع محمد بن الحنفيّة .. »

* * *

وها هنا كان ابن عباس قائداً من قادة السياسة والحرب ..

يكلفه أمير المؤمنين بادق المواقف ، ويأمره بعلاج الأمور مع أهل الكوفة ، حيث تثاقلوا عن الخروج للقتال .

قـــال عليّ للأشتر :

« اذهب أنت وابن عباس .. فأصلح ما افسدت ..

« فخرجا فقدما الكوفة ..

« فكلما ابا موسى .. واستعانا عليه بنفر من أهل الكوفة .. »

إلا أنّ أبا موسى رفض القتال ودعـا إلى اغماد السيوف ..

« فرجع ابن عبّاس والاشتر الى عليّ .. فأخبراه الخبر .. »

أي أخبراه بفشلهما في سفارتهما إلى أبي موسى أمير الكوفة ..

« فارسل ابنه الحسن وعمّار بن ياسر .. »

أي للتفاوض مع أهل الكوفة مرة ثانية ، ليخرجوا إلى قتـال الخارجـين ..

« وقيل : إن عدد من سار من الكوفة اثنـا عشر الف رجل ورجـــل ..

« فقدموا على أمير المؤمنين بـذي قار ..

« فلقيهم في ناس معه ..

« **فيهم ابن عباس ..**

« فرحب بهم وقال : يا أهل الكوفة ، أنتم قاتلتم ملوك العجم ، وفضضتم جموعهم ، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهـــل البصرة ، فإن يرجعوا فذاك الذي نريد ، وإن يلجُّوا داوينـــاهم بالرفق حتى يبـدأونا بظلم ، ولم ندع امرأ فيه صلاح إلا آثرناه على مـا فيه الفساد إن شاء الله .. »

* * *

ها هنا نجد ابن عباس .. في مقر القيادة العليـــا .. فهو يجلس مع أمير المؤمنين .. ويستقبل زعماء الكوفة معه .. ويرحب بهم !!

ابن عباس .. اميراً على البصرة ؟!

ثم كانت معركة الجَـمَل ، وانتصر امير المؤمنين عَليّ فيها ..

« ثمّ دخل عَليّ البصرة يوم الاثنين ، فبايعه أهلها على راياتهم .

« وأتاه عبد الرحمن بن ابي بكرة في المستأمنين فبـــايعه ..

« فقال له عليّ : وما عمل المتربص المتقاعد بي ايضاً ؟

« يعني أباه أبا بكرة !

« فقـــال : والله إنه لمريض وإنّه على مسرّتك لحريص ..

« فقال عليّ : امشِ أمامي !

« فمشى معه إلى أبيه ..

« فلمّـا دخل عليه عَليّ قال له : تقـــاعدت لي وتربصتَ ؟

« ووضع يده على صدرة وقال : هذا وجع بيّن ..

« واعتذر اليه ، فقبل عذرَه ..

« وأراده على البصرة ، فامتنع .. وقال : رجـل من أهلك .. يسكن اليه الناس ، وساشير عليه ..

« فافترقا على ابن عباس ..

« وولّى زياداً على الخراج وبيت المال ، وأمر ابن عبـاس ان يسمع منه ويطيـع .. »

* * *

وهكذا تسلسلت الأحداث .. لدفعت بابن عبـــاس إلى إمارة البصرة ..

والبصرة فيها عشرات الآلاف من خـــيرة جنود الاسلام .. والسابقين باحسان !!

ابن عباس .. في معركة صِفين ؟!

« لمـــا عاد عليٌّ من البصرة ، بعد فراغه من الجمل ، قصد الكوفـة ..

« ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ..

« في هذه السنة في المحرّم منها جرت موادعةٌ بين عليّ ومعاوية .

« توادعا على ترك الحرب بينهما حتى ينقضي المحرّم طمعاً في الصلـح ، واختلفت بينهما الرسـل ..

« فلما انسلخ المحرّم أمر عليّ منادياً فنادى : يا اهل الشام !. يقول لكم أمير المؤمنين : قد استدمتكم لـتراجعوا الحق وتنيبوا اليه .. فلم تنتهوا عن طغيانكم ولم تجيبوا إلى الحقّ .. وإني قـد نبذتُ اليكم على سواء .. إن الله لا يحب الخـائنين ..

« فـاجتمع أهل الشام إلى أمرائهم ورؤسائهم ..

« وكذلك فعل أمير المؤمنين ، وقال للناس : لا تقاتلوهم حتى يقـاتلوكم ..

« واصبح عليّ .. فجعل على خيل الكوفة الأشتر .

« وعلى جُند البصرة سهل بن حُنيف ..

« وعلى رجّـالة الكوفة عمّـار بن ياسر ..

« وعلى رجـالة البصرة قيس بن سعد ..

« وبعث معاوية على ميمنته ابن ذي الكَلاع ..

« وعلى ميسرته حبيب بن مَسلمة ..

« وعلى مقدمته أبا الأعور السُّلَمي ..

« وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص

« وعلى رجّـالة دمشق مسلم بن عُقبة ..

« وعلى الناس كلهم الضحّاك بن قيس ..

« وبايع رجـــالٌ من اهل الشام على الموت ، فعقلوا أنفسهم بالعمائم ، وكانوا خمسة صفوف ..

اليوم الاول

وخرجوا أوّل يوم من صَفَر ، فاقتتلوا ..

وكان على الذين خرجوا من اهل الكوفة الأشتر ..

وعلى من خرج من اهل الشام حبيب بن مسلمة ..

فاقتتلوا يومهم قتالاً شديداً معظم النهار ..

ثم تراجعوا ، وقد انتصف بعضهم من بعض ..

اليوم الثاني

(ثم خرج في اليوم الثاني هاشم بن عُتبة في خيل ورجال ..

(وخرج اليه من أهل الشام أبو الأعور السُّلَمي ..

(فاقتتلوا يوم ذلك ، ثم انصرفوا .

اليوم الثالث

(وخرج في اليوم الثالث عمّـار بن ياسر .

(وخرج اليه عمرو بن العـاص ..

(فاقتتلوا اشد قتال ..

(وحمل عمّـار فازال عمرو بن العاص عن موضعه ..

(وبارز يومئذ زيادُ بن النضر أخاه لأمه ، واسمه عمرو بن معاوية فلما التقيا تعارفا ، فانصرف كل واحد منهما عن صاحبه .

(وتراجع النـاس ..

اليوم الرابع

(وخرج من الغد محمد بن عليّ ، وهو ابن الحنفيّة ..

(وخرج اليه عبيد الله بن عمر بن الخطـــاب ، في جمعين عظيمين ..

(فاقتتلوا أشدّ القتال .

(وأرسل عبيدالله إلى ابن الحنفية يدعوه إلى المبارزة ..

(فخرج اليه ..

(فحرّك عليٌ دابته ، ورد ابنه ..

(وبرز عليّ إلى عبيد الله ..

(فرجع عبيـد الله ..

(وقال محمد لأبيه : لو تركتني لرجوتُ قتله .

(وقال : يا امير المؤمنين ، وكيف تبرز إلى هذا الفـاسق ؟! والله إني لأرغب بك عن أبيـه !

(فقال عليّ : يا بُني لا تقل في أبيه إلّا خيراً ..

(وتراجع الناس ..

في اليوم الخامس ..

ابن عباس .. يطلب المبارزة ..

« وخرج عبد الله بن عباس .. في اليوم الخامس ..

(وخرج اليه الوليد بن عقبة ..

(فاقتتلوا قتـــالاً شديداً ..

(فسبّ الوليدُ بني عبد المطلب ..

(فطلبه ابنُ عباس ، ليبارزه ، فأبى !!

(وقاتل ابن عباس قتالاً شديداً ..

* * *

اقول :

تأمل هنا .. ابن عباس هو بطل المعركة في اليوم الخامس ..

انه يقاتل قتالاً شديداً ..

ويطلب الوليدَ ليبارزه .. ولكن الوليد يهرب من المبارزة .. خوفاً من القتل بسيف ابن عباس !!

انّ ابن عباس مقاتل من الطراز الاول .. وشجاع من الشجعان المغاوير !!

اليوم السادس ..

(وخرج في اليوم السادس قيس بن سعد الانصاريّ ..

(وخرج اليه ابن ذي الكلاع ..

(فاقتتلوا قتالاً شديداً ..

(ثم انصرفوا ..

(ثم عاد يوم الثلاثاء وخرج الأشتر ، وخرج اليـــه حبيب .. فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وانصرفوا عند الظهر .

امير المؤمنين .. يأمر بالهجوم العام ؟

(ثم إنّ عليّاً قال : حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا ؟

(فقام في الناس عشية الثلاثاء ليلة الأربعاء خطيباً ..

(وعبّى عليٌّ الناس ليلته حتى الصباح ..

(وزحف بالناس ..

(وخرج اليه معاوية في اهل الشام ..

(فتناهض الناسُ يوم الأربعاء ، فاقتتلوا قتالاً شديداً .

(ثم انصرفوا عند المساء ..

(وكلٌّ غير غالب ..

عبد الله بن عباس..

قائد الميسرة .. في ساحة الملحمة ؟

(فلمّا كان يوم الخميس ..

(صلّى عليّ بغَلَس ..

(وخرج بالناس إلى أهل الشام ..

(فزحف اليهم ، وزحفوا معه ..

(وكان على ميمنة عليّ ، عبدالله بن بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي ..

« وعلى ميسرته .. عبدالله بن عباس ..

(والناس على راياتهم ومراكزهم ..

(وعليّ ، في القلب ، في أهل المدينة ، بين اهل الكوفة والبصرة ..

(ورفع معاوية قبة عظيمة ، فألقى عليها الثياب ، وبايعه اكثر

اهل الشام على الموت ، وأحـاط بقبته خيل دمشق ..

ابن عباس .. يثبت ..
والموت يتساقط من حوله !

« فاقتتل الناس تلك الليلة (ليلة الجمعة) كلهـا إلى الصباح ، وهي ليلة الهرير ..

« فتطاعنوا حتى تقصفت الرماح ..

« وتراموا حتى نفد النَّبل واخذوا السيوف .

« وعليٌّ يسير فيما بين الميمنة والميسرة ، ويامر كل كتيبة أن تقدم على التي تليها ..

« فلم يزل يفعل ذلك حتى أصبح والمعركة كلها خلف ظهره .

« والاشتر في الميمنة ..

« **وابن عباس في الميسرة ..**

« وعليٌّ في القلب ..

(والناس يقتتلون من كل جانب ..

(وذلك يوم الجمعة ..

* * *

اقول :

في ساعة الصفر .. في أشد لحظات معركة صفين اقتتـــالاً .. كان ابن عباس ثابتاً على الميسرة .. والاشتر على الميمنة .. وامير المؤمنين في القلب ..

ذلك هو ابن عباس .. وتلك هي شجاعته بجوار ابن عمه البطل الذي لا يبارى .. عليّ بن ابي طالب !!

رفع المصاحف .. والدعوة الى التحكيم !

(فلما رأى عمرو أن أمر أهل العراق قد اشتدّ وخاف الهلاك قال لمعاوية : هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً

ولا يزيدهم إلاّ فُرقة ؟

(قال : نعم ..

(قال : نرفع المصاحف ، ثمّ نقول لما فيها : هذا حكم بيننا وبينكم ، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدتَ فيهم من يقول : ينبغي لنا أن نقبل ، فتكون فُرقة بينهم ، وإن قبلوا ما فيها رفعنا القتالَ عنا إلى أجل ..

(فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا : هذا حكم كتاب الله عز وجل ، بيننا وبينكم ..

(فلما رآها الناس قالوا : نجيب إلى كتاب الله ..

(فقال لهم عليّ : عبادَ الله ، امضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم ، فإن معاوية وعمراً ، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ..

(ويحكم والله ما رفعوها إلا خديعةً ووهناً ومكيدةً ..

(فقالوا له : لا يسعنا أن نُدعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله !!

امير المؤمنين .. يرشح ابن عباس ..
والخوارج يرشحون الاشعري !

(فجاء الأشعث إلى عليّ فقال : أرى الناس قد رضوا بما دعوهم اليه من حكم القرآن ، فان شئتَ أتيتُ معاوية فسالته : ما يريد ؟

(قال : ائته ..

(فاتاه فقال لمعاوية : لأيّ شيء رفعتم هذه المصاحف ؟

(قال : لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه ، تبعثون رجلاً ترضون به ، ونبعث نحن رجلاً نرضى به ، ناخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه ، ثم نتّبع ما اتفقا عليه ..

(قال له الأشعث : هذا الحقّ ..

(فعاد إلى عليّ فاخبره ..

(فقال الناس : قد رضينا وقبلنا ..

(فقـال اهلُ الشام : قد رضينا عَمراً .

(وقال الأشعث ، واولئك القوم الذين صاروا خوارج : إنا قد رضينا بأبي موسى الأشعري ..

(فقال عليّ : قد عصيتموني في أوّل الأمر فلا تعصوني الآن ، لا ارى أن اولي ابا موسى ..

(فقـــال الاشعث وزيد بن حُصَين ومِسْعَر بن فَدَكي : لا نرضى إلّا به ، فانه قد حذرنا ما وقعنا فيه .

(قال عليّ : فانه ليس بثقة ، قد فارقني وخذّل الناس عني ، ثم هرب مني حتى آمنته بعد اشهر ..

« ولكن هذا ابن عباس .. اوليه ذلك ..

(قالوا : والله لا نبالي انت كنت ..

« ام ابن عباس ؟!

(لا نريد إلّا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ..

(قال عليّ : فانني أجعل الأشتر ..

(قالوا : وهل سعّر الأرض غير الأشتر ؟

(فقال : قد أبيتم إلا أبا موسى ؟

(قالوا : نعم ..

(قال : فاصنعوا مـا أردتم !!

* * *

اقول :

إن امير المؤمنين يرشح ابن عباس احـــد الحَكَمَين .. ولكن المعارضة تأبى إلا ابا موسى !!

إنّ ابن عباس هذا بلغ غاية الثقة من أمير المؤمنين .. ابن عمه ..

ومعنى هذا أن ابن عباس اصبح هو الرجـــل الاول في سياسة الدولة العليا ..

فان ترشيح امير المؤمنين له .. ليكون ممثلاً لاهل العراق .. ينزل على حُكمه الفريقان ..

معناه أنّ ما سوف يقوله .. سوف ينفذ في رقاب الامة كلها !

إلا انّ المعـــارضة أبت هذا الترشيح .. وأصرت على أبي موسى الاشعري ..

فخَدَعَه عمرو بن العاص .. وكان ما كان !!

عبقرية ابن ابن عباس ..

في حواره مع الخوارج !

(ولما رجع عليٌّ رضي الله عنه من صِفّين ، فارقه الخوارج ، وأتوا حَرُوراء ، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً ..

« وبعث عليٌّ .. عبدالله بن عبّاس إلى الخوارج وقال :

(لا تعجّل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك ..

(فخرج اليهم ، فاقبلوا يكلمونه ..

(فلم يصبر حتى راجعهم فقال :

« ما نقمتم من الحَكَمين .. وقد قال تعالى

﴿ إن يُرِيدَا إصلاحاً يُوَفّقِ اللهُ بَيْنَهُما ﴾ ..

« فكيف بأمّة محمد .. .. صلى الله عليه وسلم ؟»

(فقالت الخوارج : أما ما جعل الله حكمه إلى الناس ، وأمرهم

بالنظر فيه فهو اليهم .. وما حَكَمَ فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه .

(حَكَمَ في الزاني مائة جلدة ، وفي السارق القطع ، فليس للعباد أن ينظروا في هذا ..

« **قال ابن عباس :**

« **فانّ الله تعالى يقول :**

﴿ يَحكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ منكُمْ ﴾ ؟.

(فقالوا : أوَ تجعل الحُكم في الصيد والحرث وبين المرأة وزوجها كالحُكم في دماء المسلمين ؟

(وقالوا له : أَعَدْلٌ عندك عمرو بن العاص وهو بالأمس يقاتلنا " فان كان عدْلاً فلسنا بعُدول ، وقد حكمتم في أمر الله الرجال ، وقد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه أن يُقْتَلوا أو يرجعوا ، وقد كتبتم بينكم وبينهم كتاباً .. وجعلتم بينكم الموادعة ، وقد قطع الله الموادعة بين المسلمين وأهل الحرب مذ نزلت براءة إلا مَنْ أَقر بالجزْية !!

(فخرج عليّ في الناس ، حتى انتهى اليهم وهم يخاصمون ابن عباس .

(فقال : ألم أنهك عن كلامهم

(ثم تكلم فقال : فما أخرجكم علينا ؟

(قالوا : حكومتك يوم صِفّين ..

(وقالوا : فخبِّرْنا أتراه عَدْلاً تحكيم الرجال في الدماء

(فقال : إنا لسنا حَكَّمْنا الرجال إنما حكمنا القرآن ، وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دَفتين لا ينطق إنما يتكلم به الرجال ..

(ادخلوا مصركم رحمكم الله ..

(فدخلوا من عند آخرهم ..

امير المؤمنين .. يعين ابن عباس اميراً ..
على وفد التحكيم !

(ولما جاء وقت اجتماع الحَكَمَين ، ارسل عليّ اربعمائة رجل عليهم شُرَيح بن هانيء ..

(وأرسل عليّ أيضاً معهم ، عبد الله بن عباس ، ليصلي بهم ،

ويلي أمورهم..

(ومعهم ابو موسى الاشعري..

(وأرسل معاوية عمرو بن العاص في اربعمائة من اهل الشام، حتى توافوا من دُومة الجَندَل بأذْرُح..

(وكان عمرو إذا أتاه كتاب من معاوية لا يُدْرى بما جاء فيه، ولا يسأله اهل الشام عن شيء..

(وكان اهل العراق يسألون ابن عباس عن كتاب يصله من عليّ..

(فان كتمهم ظنّوا به الظنونَ، وقالوا: أتُراه كتب بكذا وكذا ؟

« فقال لهم ابن عباس: اما تعقلون؟. أما ترون رسول معاوية يجيء لا يعلم احد بما جاء به ولا يُسمع لهم صياح.. وأنتم عندي كل يوم تظنون فيّ الظنون ؟!

ابن عباس .. يقول :

الذنب لمن قدّمك في هذا المقام !

(فلما اجتمع الحَكمان ..

(قال عمرو : خبرْني ما رأيك ؟

(قال : أرى ان نخلع هذين الرجلين ، ونجعل الأمر شورى ، فيختار المسلمون لأنفسهم مَن أَحبّوا ..

(فقال عمرو : الرأي ما رأيت ..

(فاقبلا إلى الناس وهم مجتمعون ..

(فقال عمرو : يا أبا موسى أعلمهم أن رأينا قد اتفق ..

(فتكلم أبو موسى فقال : إن رأينا قد اتفق على أمر نرجو أن يُصلحَ اللهُ به أمر هذه الأمة ..

(فقال عمرو : صَدَق وبرّ ، تقدّمْ يا ابا موسى فتكلم ..

(فتقدم ابو موسى .

« فقال له ابن عبّاس : ويحك !. والله إني لاظنّه قد خدعك ..
إن كنتما اتفقتما على أمر فقدمه .. فليتكلمْ به قبلك .. ثمّ تكلم بـه
بعده .. فانّه رجلٌ غادر .. ولا آمنُ أن يكون قد اعطاك الرضا
بينكما .. فاذا قمتَ في الناس خالفك !

* * *

اقول :

ها هذا عبقرية سياسية رائعة من ابن عباس ..

إنه يجمع هنا بين دبلوماسية رجل الدولة .. وبين شفافية وفراسة المؤمن ..

إنه نطق مقدّماً بكل ما سوف يكون من عمرو بن العاص .. من غدر ومكر وخديعة !!

ولكن أبا موسى كان دون هذا المستوى .. لا يصلح أن يكون نداً لابن العاص !!

ولو اخذوا برأي امير المؤمنين حين رشح لهذا المقام ابن عباس .. لتغير وجه التاريخ كله .. ولكان عمرو لعبـــة تافهة يُرَقصُها

ابن عباس بين يديه كيف يشاء ..

ولكن كان أمر الله قَدَرا مقدورا !!

* * *

(وكان أبو موسى مغفلاً فقال : إنا قد اتفقنا ..

(وقال ، ايها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة ، فلم نرَ اصلح لأمرها ، ولا ألمّ لشعثها من أمر قد اجمع رأيي ورأي عمرو عليه ، وهو ان نخلع علياً ومعاوية ، ويولي الناس أمرَهم مَن أَحبوا ، وإني قد خلعتُ علياً ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم وولُوا عليكم مَن رأيتموه اهلاً ..

(ثم تنحّى ..

(واقبل عمرو ، فقام وقال . إن هذا قد قال ما سمعتموه .. وخلعَ صاحبه ، وأنا أخلع صاحبَه كما خلعه ، وأثبِّتُ صاحبي معاوية ، فإنه وليّ ابن عفّان ، والطالبُ بدمه ، واحقّ الناس بمقامه !!

(فقال سعد : ما أضعفك يا أبا موسى عن عمرو ومكايده !

(فقال ابو موسى : فما أصنع ؟ وافقني على أمر ثم نزع عنه !

« فقال ابن عبّاس : لا ذنب لك يا أبا موسى .. الذنب لمن قدّمك في هذا المقام ..»

(قال : غَدَرَ فما اصنع ؟

(فقال ابن عمر : انظروا إلى ما صار أمر هذه الأمة ! صار إلى رجل ما يبالي ما صنع ، وإلى آخر ضعيف !

(ثم انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة ..

(ورجع ابن عباس وشُريح إلى عليّ ..

(وكان عليّ إذا صلّى الغداة يقنَتُ فيقول : اللهمّ العنْ معاوية وعمراً وأبا الأعور وحبيباً وعبد الرحمن بن خالد والضحّاك بن قيس والوليد !

(فبلغ ذلك معاوية ، فكان إذا قنتَ ، سبّ عليّاً ، وابن عباس ، والحسنَ ، والحسينَ ، والأشتر ..) !

ابن عباس .. يعود الى البصرة !

(.. وهرب أبو موسى إلى مكة ..

(وردّ عليّ.. ابنَ عباس إلى البصرة ..

(ورأى (اي عليّ) أن يمضي بالناس حتى يلقى أهل الشام فيناجزهم ..

! فقام في اهل الكوفة ، ثم قال .

(تيسروا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب (اي الشام) ..

(وقد بعثنا إلى اخوانكم من اهل البصرة ليقدموا عليكم ..

(فإذا اجتمعتم شخصنا إن شاء الله..

(وكتب إلى ابن عباس : أما بعد ، فإنا خرجنا إلى معسكرنا بالنُّخَيلة ، وقد اجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب ، فاشخصْ إليّ الناس حتى يأتيك رسولي ، وأقم حتى يأتيك أمري ..

ابن عباس .. يهدد اهل البصرة ..

(فقرأ ابن عباس الكتاب على النـــاس ، وندبهم مع الأحنف ابن قيس ..

(فشخص الف وخمسمائة ..

(فخطبهم وقـــال :

(يا اهل البصرة .. اتاني كتاب امير المؤمنين ، فامرتكم بالنفير اليه ، فلم يشخص منكم اليه إلا الف وخمسمائة ، وانتم ستون الف مقاتل ، سوى أبنائكم وعبيـدكم !

(ألا انفروا اليه ، مع جارية بن قُدامة السعديّ ..

(ولا يجعلن رجل على نفسه سبيلاً .. فــإني موقع بكل من وجدته متخلّفاً عن دعوته ، عــاصياً لإمامه ، فلا يلومن رجل إلا نفسه ..

(فخرج جارية فاجتمع اليه الف وسبعمائة ..

(فوافوا عليّاً وهم ثلاثة آلاف ومائتان ..

اقول :

ها هنا ابن عبّاس يهدد قوات البصرة التي تحت امرته .. وكانوا ستين الف مقاتل .. سوى المقاتلين من أبنائهم وعبيدهم ..

اي ربما بلغت على ذلك قوة المقاتلة من البصرة مائة الف ..

وهذا يعطيك فكرة عن مدى سلطة ابن عباس ..

فهو امير البصرة .. اي قائد عام القوات المسلحة بالبصرة التي يبلغ تعدادها نحو مائة الف مقاتل ..

اي ان شخصيته شخصية ضخمة مقاتلة .. فوق ما هو فقيه وعالم ومجتهد ومرجع في التفسير والتأويل !!

أمير المؤمنين .. يحشد جيشاً هائلاً ..
لمقاتلة معاوية !

(فجمع اليه (اي عليّ) رؤوس أهل الكوفة ورؤوس الأتباع ووجوه الناس ، ثم قال ..

(استنفرتُ اهل البصرة فاتاني منهم ثلاثة آلاف ومائتان ..

(فليكتب لي رئيس كل قبيلة ما في عشيرته من المقاتلة وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال ، وعبـدان عشيرته ومواليهم ، ويرفع ذلك الينـا ..

(فرفعوا اليه اربعين الف مقاتل ..

(وسبعة عشر الفاً من الأبناء ممن أدرك ..

(وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم ..

(وكان جميع اهل الكوفة خمسة وستين الفـاً ..

(سوى أهل البصرة ، وهم ثلاثة آلاف ومائتا مقاتل ..

(وكتب إلى سعد بن مسعود بالمدائن يأمره بارسال مَن عنده من المقـــاتلة ..

★

اقول :

لقد عزم امير المؤمنين على الخروج إلى اهـل الشام لتصحيح خدعة التحكيم .. وردّ الامور إلى نصابها ..

من الكوفة ٦٥٠٠٠ مقاتل

من البصرة ٣٢٠٠ مقاتل

٦٨٢٠٠ مقاتل

يضاف اليهم القوات التي سوف ترسل من المدائن !!

فيمكن ان يقال أن القوات التي حشدها أمير المؤمنين كانت نحو مائة الف مقاتل !!

إلا أن التجربة اثبتت ان اكثر هؤلاء بدأ يتثاقل عن الخروج للقتال .. بل ويحاول الفرار من المعسكر !!

ولعلهم بدءوا يرون انه لا خير يُرجى من اقتتال المسلمين بعضهم بعضاً !!

(ولما فرغ عليّ .. قال : إن الله قد أحسن بكم وأعزّ نصركم فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم ..

(قالوا : يا أمير المؤمنين ، نفدت نبالنا ، وكلّت سيوفنا .. ونصلت أسنّة رماحنا ، فارجعْ إلى مصرنا فلنستعدّ ..) !!

انظر .. الحماس للقتال بدأ يَفتر .. والمعاذير بدأت تتكاثر !!

(فاقبل حتى نزل النُّخَيْلة ..

(فـــأمر الناس أن يلزموا عسكرهم ، ويُوطنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يُقِلوا زيارة أبنـــائهم ونسائهم حتى يسيروا إلى عدوّهم ..) !

إنّ امير المؤمنين يحاول تثبيتهم على القتال !!

فماذا حدث من القوم ؟!

(فاقاموا فيه أياماً ..

(ثم تسللوا من معسكـرهم ..

(فدخلوا إلا رجالاً من وجوه الناس ..

(وتُرك المعسكر خالياً ..) !

اقول :

واضح جداً هنـــا أن القوم .. لا يرون الاستمرار في معركة يرونها خاسرة ..

فكلما حُشِدوا . تسللوا !!

فماذا كان من امير المؤمنين ؟!

(فلما رأى ذلك ، دخل الكوفة ..

(وانكسر عليه رأيه في المسير ..) !!

ثم ماذا ايضاً ؟!

(وقال لهم أيضاً : أيها الناس استعدوا للمسير إلى عدوّكم ..

(فتركهم أياماً ..

(حتى إذا أيس من ان يفعلوا دعا رؤساءهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذي يُبطىء بهم !

(فمنهم المُعتلّ ، ومنهم المتكرّه ، وأقلّهم مَنْ نشط ..) !!

اقول :

تحليل معنويات هؤلاء انهم كرهوا ان يقاتل المسلم اخاه المسلم ..

وملّوا هذا الصراع الذي لا يرون فيه خيراً !

ثم ماذا ؟!

معاوية يستولي .. على مصر !

(ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ..

(ذكر مُلك عمرو بن العاص مصر ، وقتـل محمد بن أبي بكر الصدّيق ..

(في هذه السنة قُتل محمد بن ابي بكر الصدّيق بمصر ، وهو عامل عليّ عليها ..

(وكان اهل الشام ينتظرون بعد صِفّين أمر الحَكَمَين ، فلما تفرقا بايع اهل الشام معاوية بالخلافة ، ولم يزدد إلا قوّة ..

(واختلف الناس بالعراق على عليّ ..

(فما كان لمعاوية همّ إلاّ مصر ..

(وكان يرجو أنه إذا اظهر عليها ، ظهر على حرب عليّ ..

(فامر عمرو بن العاص ليتجهز اليها ..

(وبعث معـــه ستة آلاف رجل ووصاه بالتؤدة وترك العجلة ..) !

ثم ماذا ؟!

استولى عمرو على مصر ..

وحين بلغ عليًا استيلاء عمرو على مصر .. وانتقالها إلى مُلك معاوية ..

قام في الناس خطيباً وقال :

(ألا إنّ مصر قد افتتحها الفَجَرَةُ ، اولو الجور والظلمة الذين صدوا عن سبيل الله ، وبَغوا الاسلام عوَجاً !!

(وحج بالناس في هذه السنة قُثَمُ بن العباس من قبل عليّ ، وكان عامله على مكة .

(وكان على اليمن ، عُبيد الله بن عباس .

« وعلى البصرة عبد الله بن عباس ..

(وأما الشام ومصر فكان بهما معاوية وعماله ..) !!

هُدنة .. بين عليّ .. ومعاوية !

(ثم دخلت سنة اربعين ..

(وفيها جرت مهادنةٌ بين عليّ ومعاوية ..

(بعد مكاتبات طويلة ..

(على وضع الحرب ..

(ويكون لعليّ العراق ..

(ولمعاوية الشام ..

(لا يدخل احدهما بلد الآخر بغارة ..) !!

فراق ابن عباس .. البصرة !

في هذه السنة خرج عبدُ الله بن عباس من البصرة .. ولحق بمكّة ..

وكتب إلى امير المؤمنين عند رحيله :

« فابعث إلى عملك مَنْ أحببتَ .. فإني ظــــاعنٌ عنه . والسلام . »

ومضى ابن عباس إلى مكة !!

مقتل امير المؤمنين .. عليّ بن ابي طالب !

في هذه السنة .. قُتل عليّ .. في شهر رمضان لسبع عشرة خلت منه ، سنة اربعين ..

وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة اشهر ..

وكان عمره ثلاثاً وستين سنة !!

اقول :

وكان عُمر ابن عباس عند مقتل ابن عمه امير المؤمنين .. ثلاثاً واربعين سنة ..

فماذا استقبل ابن عباس من احداث بعد مقتل ابن عمه عليه السلام ..

والذي قال فيه .

قُسم علم الناس خمسة اجزاء .

فكان لعليّ منها اربعة أجزاء ..

ولسائر الناس جزء ..

شاركهم عليّ فيه ..

فكان أعلمهم به ؟!

ابن عباس...

في عهد ...

معاوية بن ابي سفيان ؟!

ثم

دخلت سنة إحدى وأربعين ..

ذكر تسليم الحَسَن بن عليّ الخلافة إلى معاوية ..

وتسلم معاوية الأمر لخمس بقين من ربيع الأول من هذه السنة ..

ولحق الحسنُ بالمدينة وأهل بيته وحشمهم ، وجعل الناس يبكون عند مسيرهم من الكوفة ..

ما حملك على ما فعلت ..

قيل للحسن : ما حملك على ما فَعَلْت؟

فقال : كرهتُ الدنيا ، ورأيتُ أهل الكوفة قوماً ، لا يَثِقُ بهم أحدٌ أبداً إلاّ غُلب ..

ليس احد منهم يوافق آخر في رأي ولا هوى ..

مختلفين لا نية لهم في خير ولا شرّ ..

لقد لقي أبي منهم أموراً عظاماً ..

فليت شعري لمن يصلحون بعدي ..

وهي أسرع البلاد خراباً ..

وكانت خلافـــة الحسَن ، خمسه أشهر ونحو نصف شهر !!

اقول :

ماذا كان شعور ابن عبـاس .. وهو يرى الحَسَن يسلم الامر إلى معاوية ؟!

ويرى الأمور تتحول كلها في اتجاه معاوية ؟!

وفي هذه السنة ..

وُلد عليّ .. بن عبدالله بن عبّاس[1] ..

---

(١) عليّ بن عبدالله بن عبـــاس .. كان بعد ذلك له شأن عظيم .. حيث قامت الدولة العباسية بانتسابها اليه . وسيأتي ذكر ذلك .

وقال : سميتُه باسم أحبّ الناس إليّ !!

وفاة عمرو بن العاص ..

ثم دخلت سنة ثلاث واربعين ..

وفيها مات عمرو بن العاص بمصر ، يوم الفِطر ..

وكان عمل عليها لعُمر أربع سنين ..

ولعثمان أربع سنين إلا شهرين ..

ولمعاوية سنتين إلا شهراً ..

وفيها ولّى معاويةُ ، عبدَ الله بن عمرو بن العاص ، مصرَ .. فوليها نحواً من سنتين !!

.. يغزو القسطنطينية ..

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ..

ذكر غزوة القسطنطينية ..

في هذه السنة ، سيّر معاويةُ جيشاً كثيفاً إلى بلاد الروم للغزاة ..

وجعل عليهم سفيانَ بن عَوْف ..

وأمر ابنَه يزيد بالغزاة معهم : فتثاقل واعتل ..

فأمسك عنه أبوه ..

فـأصاب الناسَ في غزاتهم جُوعٌ ومرض شديد ، فأنشأ يزيد يقول :

ما إن أبالي بما لاقَتْ جُموعُهُمُ   بالفَرقَدونة من حُمى ومن مُوم

إذا اتكأتُ على الأنماطِ مُرتَفِقاً   بدَيرِ مُرّانَ عندي أمُّ كلثومِ

وأم كلثوم امرأته ، وهي ابنة عبدالله بن عامر ..

فبلغ معاويةَ شعره فأقسم عليه ليلحقنّ بسفيان في ارض الروم ليصيبه ما اصاب الناس ..

فسار ومعه جمع كثير ، أضافهم اليه أبوه ..

وكان في هذا الجيش ..

ابن عباس ..

وابن عمر ، وابن الزّبير ..

وأبو أيوب الأنصاري، وغـيرهم. وعبد العزيز بن زُرارة الكلابي ..

فأوغلوا في بلاد الروم حتى بلغوا القسطنطينية ..

فاقتتل المسلمون والروم في بعض الأيام؛ واشتدت الحرب بينهم ..

ثم رجع يزيد والجيش إلى الشام ..

وقد توفي أبو أيوب الانصاري عند القسطنطينية فدُفن بالقرب من سورها، فأهلها يستسقون به ..

وكان قد شهد بدراً وأُحُداً والمشاهد كلها مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم .. وشهد صِفّين مع عليّ وغيرها من حروبه !!

اقول :

كان ابن عباس حين خرج مع تلك الجموع لغزو القسطنطينية ابن ثلاث وخمسين سنة ..

فما منعه ارتفاع سنّه وتجاوزه الخمسين ان يخرج مقاتلا ..

وما منعه خلافهم السابق مع معاوية .. ان يخرج مع يزيد مقاتلا

لقد كان ابن عباس يقاتل في سبيل الله .. لا ينظر إلى دُنيا وإنما لوجه الله !!

وفاة الحسن .. عليه السلام !

في هذه السنة توفي الحسن بن عليّ ..

وصلّى عليه سعيد بن العاص ..

ودفن بالمدينة !!

البيعة .. ليزيد .. بولاية العهد !

ثم دخلت سنة ست وخمسين ..

وفي هذه السنة بايع النـــاس ، يزيد بن معاوية ، بولاية عهد أبيه ..

موقف ابن عباس.. في هذا الامر الشائك !

وبدأ معاوية تكتيكه لأخذ البيعة لابنه يزيد ..

فلما بايعه اهل العراق والشام ، سار إلى الحجاز في الف فارس .

فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن عليّ أول الناس ، فلما نظر اليه قال : لا مرحباً ولا أهلاً !!

ولقيه ابن الزبير فقال : لا مرحباً ولا اهلاً !

ثم لقيه عبد الرحمن بن ابي بكر فقال له معاوية : لا اهلاً ولا مرحباً !!

ثم فعل بابن عمر نحو ذلك .

فاقبلوا معه لا يلتفت اليهم حتى دخل المدينة ..

فحضروا بابه ، فلم يؤذن لهم على منازلهم ولم يروا منه ما يحبون ..

فخرجوا إلى مكة فأقاموا بها ..

وخطب معاويةُ بالمدينة فذكر يزيد ومدحه ..

ومكث بالمدينة ما شاء الله ، ثم خرج إلى مكة فلقيه الناس ..
فكان أول من لقيه الحسين ..

فقال له معاوية : مرحباً واهلاً يا بن رسول الله ، وسيد شباب المسلمين !!

فامر له بدابة فركب وسايره ..

ثم فعل بالباقين مثل ذلك ، وأقبل يسايرهم لا يسير معه غيرهم حتى دخل مكة !!

حتى قضى نسكه وقرب مسيره ..

فاحضرهم معاويةُ وقال : قد علمتم سيرتي فيكم ، وصلتي لأرحامكم .. وحملي ما كان منكم .. ويزيد اخوكم ، وابن عمكم .. وأردتُ أن تقدموه باسم الخلافة .. وتكونوا انتم تعزلون وتُؤمّرون وتجبون المال وتقسمونه ، لا يعارضكم في شيء من ذلك ..

فسكتوا

ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال :

« أقمْ على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ، ومع كل واحد سيف .. فإن ذهب رجل منهم يرد على كلمة بتصديق او تكذيب ، فليضرباه بسيفيهما .

ثم خرج وخرجوا معه حتى رقي المنبر، ثم قال :

« إنّ هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم، لا يُبَتّ أمر دونهم ولا يُقضى إلا عن مشورتهم، وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد، فبايعوا !!

فبايع الناس ..

وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر ..

ثم ركب رواحله وانصرف إلى المدينة ..

وبايعه اهلُ المدينة ..

ثم انصرف إلى الشام، وجفا بني هاشم ..

فأتاه ابنُ عباس فقال له :

« ما بالك جفَوتَنا ؟

« قال : إن صاحبكم لم يبايع ليزيد فلم تُنكروا ذلك عليه ..

« فقال : يا معاوية اني لخليق ان انحاز إلى بعض السواحل .. فاقيم به .. ثم أنطق بما تعلم حتى ادع الناس كلهم خوارج عليك !!

« قال : يا أبا العباس، تُعطون وترضون وتُرادون !

*

اقول :

إن ابن عباس يهدد معاوية .. ومعاوية يسترضيه !

وفاة معاوية .. ابن ابي سفيان ؟

ثم دخلت سنة ستين ..

وفيها توفي معاوية بن ابي سفيـــان ..

وكان ملكه تسع عشرة سنة ، وثلاثة اشهر وسبعة وعشرين يومـــا ..

وكان عمره خمساً وسبعـــين سنة ..

قال عمر بن الخطّاب :

« يذكرون كسرى وقيصر ودهاءَهما وعندكم معاوية !

وقال ابن عبـــاس :

« ما رأيتُ اخلق للمُـلك من معاوية ..

« إن كان ليَردُ الناس منه على أرجاء وادٍ رحب ..

« ولم يكن كالضَّيِّق الحصحص الحَصِر .

« يعني ابن الزّبير .. وكان مغضّباً .. » !

قال عبدالله بن عُمير :

« أغلظ لمعاوية رجلٌ فاكثر ..

« فقيل له : أتحلم عن هـذا ؟

« فقال : إني لا احولُ بين الناس وبين السنتهم .. ما لم يحولوا بيننا وبين مُلْكنا .. » !!

وهكذا مـــات معاوية سنة ستين ..

وكان ابن عباس ابن ثلاث وستين ، فماذا كان منه ؟!

ابن عباس ..

يقول للامام الحسين ..

اني اتخوف عليك ؟!

بيعة يزيد ..

وفي رجب من هذه السنة (سنة ستين) بويع يزيد بالخلافة بعد موت ابيه ..

ولم يكن ليزيد همّة إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية بيعته ..

فكتب إلى الوليد (والي المدينة) يُخبره بموت معاوية ..

وكتاباً آخر صغيراً فيه :

« أما بعدُ .. فخذْ حسيناً .. وعبدالله بن عمر .. وابن الزّبير بالبيعة أخذاً ليس فيه رُخصة حتى يبايعوا .. »

فلما اشتد الضغط على الحسين ، وابن الزبير ليبايعا .. تركا المدينة ..

فسار ابن الزبير إلى مكة .

وسار الحسين إلى مكة كذلك ..

ولما سار الحسين نحو مكة قرأ :

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ ﴾ الآية ..

فلما دخل مكة قرأ :

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ ﴾ الآية ..

ابن عباس .. وبيعة يزيد ؟

ثم إن الوليد أرسل إلى ابن عمر ليبايع ، فقال : إذا بايع الناسُ بايعتُ ..

فتركوه وكانوا لا يتخوّفونه ..

وقيل : إنّ ابن عمر كان هو وابن عباس بمكة ، فعادا إلى المدينة ..

فلقيهما الحسين وابن الزبير فسألاهما : ما وراءكما ؟

فقالا : موت معاوية وبيعة يزيد ..

فقال ابن عمر : لا تُفرّقا جماعة المسلمين ..

وقدم هو ، وابن عباس ، المدينة ..

فلما بايع الناسُ بايعا ..

« قال : ودخل ابن الزبير مكّة وعليها عمرو بن سعيد ، فلما دخلها قال : أنا عـــائذ بالبيت ..

ولم يكن يصلي بصلاتهم ولا يُفيض بافاضتهم ، وكان يقف هو وأصحابه ناحيةً ..

الحسين .. عليه السلام .. في مكة ؟

فاقبل حتى نزل مكة ، واهلها يختلفون اليه ويأتونه ومَن بها من المعتمرين وأهل الآفاق .

وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة .

ولما بلغ أهلَ الكوفة موتُ معاوية وامتناعُ الحسين وابن عمر وابن الزبير عن البيعة ارجفوا بيزيد ..

الكوفة تدعو الحُسَين ؟

واجتمعت الشيعة ، فذكروا مسير الحسين إلى مكة .. وكتبوا اليـــه ..

« .. إنه ليس علينا إمام فاقبلْ لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحق .. »

ثم كتبوا اليه كتاباً آخر وسيّروه بعد ليلتين ..

فكتب الناس معه نحواً من مائة وخمسين صحيفة ..

ثم ارسلوا اليه رسولاً ثالثاً يحثونه على المسير اليهم !!

مسير الحسين .. عليه السلام .. الى الكوفة ؟

لما اراد الحسينُ المسيرَ إلى الكوفة بكتب اهل العراق اليه .
أتاه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وهو بمكة فقال له :

« إني اتيتُك لحاجة اريد ذكرها نصيحةً لك ، فإن كنتَ ترى أنك مستنصحي قلتها واديتُ ما عليّ من الحقّ فيها ، وإن ظننت أنك لا مستنصحي كففتُ عما اريد ..

« فقال له : قلْ فوالله ما استغشك وما أظنك بشيء من الهوى ..

« قال له : قد بلغني انك تريد العراق ، وإني مشفقٌ عليك ..

« إنك تأتي بلداً فيه عمّاله وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال ..

« وإنما الناس عبيد الدنيا والدرهم ..

« فلا آمن عليك أن يقاتلك مَنْ وعدك نصره ، ومَنْ انت احبّ اليه ممنْ يقـــاتلك معه .

« فقال له الحسين : جزاك الله خيراً يا ابنَ عمّ .. فقـد علمتُ انك مشيتَ بنُصح .. وتكلمتَ بعقل .. ومهما يُفْضَ من أمر يكن أخذتُ برأيك أو تركتُهُ ، فانت عندي أحمد مشير ، وانصح ناصح .

ابن عباس .. يقول للحسين :
لا آمن عليك ان يخذلوك ؟

واتاه عبدالله بن عباس فقال له :

« قد ارجف الناس انك سائر إلى العراق ، فبَيِّنْ لي ما أنت صانع ؟!

« فقال له : قد اجمعتُ السير في احد يوميّ هذين إن شاء الله تعالى ..

« فقال له ابن عباس : فإني أُعيذك بالله من ذلك ..

« خبّرْني .. رحمك الله .. اتسير إلى قوم قتلوا اميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوّهم ؟ فإن كانوا فعلوا ذلك فسِرْ اليهم ..

« وإن كانوا إنما دعوك اليهم واميرهم عليهم قاهر لهم ، وعماله تجبي بلادهم ، فإنما دعوك إلى الحرب .

« ولا آمن عليك ..

« ان يغرّوك !!

« ويكذّبوك !!

« ويخالفوك !!

« ويخذلوك !!

« ويستنفروا اليك فيكونوا اشدّ الناس عليك !!

اقول :

هذه لمحة من عبقرية ابن عباس السياسية ..

رجل مَرّت عليه تجارب كثيرة .. فهو يتكلم من واقع تجاربه مع الناس ..

ومن عَجَب ان كلّ ما توقعه ابن عباس .. قد حدث بعد ذلك !!

« فقال الحسين : فاني استخير الله ، وانظر ما يكون ..

ابن عباس .. يرجو سيد الشهداء ..
عليه السلام مرة اخرى ؟

فلما كان من العشيّ ، أو من الغد .. اتاه ابن عباس فقال :

« يا ابنَ عمّ ..

« إني اتصبر ولا اصبر ..

« إني اتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاكَ والاستئصال ..

« إن أهل العراق قوم غُدُر فلا تقربنّهم .

(١٩)

« أقمْ في هذا البلد ، فانك سيد اهل الحجـــاز .

« فان كان اهل العراق يريدونك كما زعموا ، فــاكتب اليهم فلينفوا عاملهم وعدوهم ، ثم اقدمْ عليهم ..

« فان أبيتَ إلا ان تخرج فسِرْ إلى اليمن فان بهـا حصوناً وشعاباً .. وهي ارض عريضة طويلة ، ولأبيك بها شيعة ، وانت عن الناس في عُزْلة ، فتكتب إلى الناس وترسل وتبث دعاتك ، فاني ارجو ان يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية ..

« فقال له الحسين :

« يا بن عمّ .. إني والله لأعلم أنك ناصح مشفق ..

« وقد أزمعتُ واجمعتُ المســير ..

ابن عباس يقول لسيد شباب اهل الجنة :

لا تسرْ بنسائك وصبيتك !

فقال له ابن عباس :

« فان كنتَ سائراً ، فلا تسِرْ بنسائك وصبيتك ، فاني لخائف

أن ُتقتَل كما ُقتل عثمان ونساؤه وولدهُ ينظرون اليه !!

ثم قال له ابن عباس :

« لقد أقررتَ عين ابن الزبير بخروجك من الحجاز .. وهو اليوم لا ينظر اليه أحد معك ..

والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم انك اذا اخـــذتُ بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علينا الناس اطعتّني فأقمتَ لفعلتُ ذلك !

« ثم خرج ابن عباس من عنده ، فمرّ بابن الزبير فقـال : قرّت عينك يا ابن الزبير !

ثم أنشد قائلا :

يا لكِ مِنْ ُقـــبّرَةٍ بمعمرِ   خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفِري
وَنقّري مـــا شِئْتِ أنْ ُتنَقّري

هذا الحسين يخرج إلى العراق وُيخلّيك والحجاز ..
ثم خرج الحسين يومَ التروية ..

مقتل سيد الشهداء

الامام الغصن ، الحسين بن عليّ !

ثم دخلت سنة إحدى وستين .

ذكر مقتل الحسين ، رضي الله عنه ..

وكان عُمر الحسين يوم قُتل خمساً وخمسين سنة ..

وكان قتله يوم عاشوراء سنة إحدى وستين ..

اقول .

وكان عُمُر ابن عباس آنذاك في مستهل الرابعة والستين !

قـال ابن عباس :

« رأيتُ النبي ، صلى الله عليه وسلم .. الليلة التي قُتل فيهـا الحسين ، وبيده قارورة ، وهو يجمع فيها دماً ..

« فقلتْ : يا رسول الله ما هذا ؟

« قال : هذه دماء الحسين وأصحابه ، أرفعها إلى الله تعالى ..

« فاصبح ابنُ عباس ، فاعلم النـاس بقتل الحسين ، وقصّ رؤياه ..

« فوُجد قد قُتل في ذلك اليوم . » !!

« ورُوي ان النبيّ ، صلى الله عليه وسلم .. أعطى أمّ سَلمة تراباً من تربة الحسين حمله اليه جبرائيل ..

« فقال النبي .. صلى الله عليه وسلم.. لأمّ سلمة : إذا صار هذا التراب دماً فقد قُتل الحسين..

« فحفظت أمّ سَلمةَ ذلك التراب في قارورة عندها ..

« فلما قُتل الحسين صار التراب دماً ..

« فاعلمت الناس بقتله ايضاً ..

« وهذا يستقيم على قول من يقول أمّ سَلمة توفيت بعـــد الحسين .. » !

ابن عباس...

في عهد...

يزيد بن معاوية ؟!

ثم

دخلت سنة اثنتين وستين ..

وفيها وُلد مُحمد ..

ابن عليّ .

ابن عبد الله بن عباس ..

والد السفّـــاح والمنصور !!

اقول :

سجلنا هنا هذا الخبر لما له من الاهمية الكبرى فيما بعد عند قيام الدولة العباسية ..

فقد وُلِد الآن حفيدٌ لابن عباس ..

اسمه محمد بن عليّ بن عبدالله بن عباس ..

وهذا الحفيد المولود سيكون والد السفّاح والمنصور .. مؤسسي

وفاة يزيد بن معاوية ؟

ثم دخلت سنة أربع وستين ..

وفي هذه السنة توفي يزيد بن معاوية ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ..

وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر ..

اقول :

وكان ابن عباس في السابعة والستين ..

موقف بطولي لابن عباس ..

مع يزيد بن معاوية ؟

لما قُتل الحسين ثار عبدُ الله بن الزبير ، فدعـــا ابنَ عباس

إلى بيعتـه ..

فامتنع ..

وظنّ يزيد ان امتناعه تمسّك منه ببيعته !

فكتب اليـه :

« أما بعد فقد بلغني أن الملحد ابن الزبير دعاك إلى بيعته .. وأنك اعتصمتَ ببيعتنا وفاء منك لنا ..

« فجزاك الله من ذي رحم ، خير ما يجزي الواصلين لأرحامهم الموفين بعهودهم ..

« فما أنسَ من الأشياء فلستُ بناسٍ بِرّك وتعجيل صلتك بالذي انت له أهل ..

« فانظرْ مَن طلع عليك من الآفاق ممن سحرهم ابن الزبـير بلسانه فاعلمهم بحاله .. فانهم منك أسمع الناس .. ولك اطوع منهم للمُحِلّ ..

فكتب اليه ابنُ عبـاس :

« أما بعدُ .. فقد جاءني كتـابك ..

« فأمّا تركي بيعة ابن الزبير .. فوالله ما أرجو بذلك بِرّك ولا حمدك ..

« ولكن الله بالذي انوي عليمُ ..

« وزعمتَ انك لستَ بناسٍ بِرّي ..

« فاحبسْ ايهـا الانسان برّك عني ..

« فاني حابسٌ عنك بري !!

« وسالتَ أن أحبب الناسَ اليك ، وأبغّضهم واخـذّلهم لابن الزبير ..

« فلا .. ولا سرور .. ولا كرامـة !!

« كيف وقد قتلتَ حُسَيْناً .. وفتيان عبد المطلب ؟.

« مصابيحَ الهُدى ، ونجـوم الأعلام ؟!

« غادَرْتهم خيولك بأمرك .. في صعيـد واحـد .. مرمّلين بالدمـاء !!

« مسلوبين بالعراء !!

« مقتولين بالظماء !!

« لا مكفنين .. ولا موسّدين !!

« تسفي عليهم الرياح !!

« وينشى بهم عرج البطاح !!

« حتى اتاح الله بقوم لم يشركوا في دمائهم كفّنوهم وأجنّوهم !!

« وبي وبهم لو عززتَ وجلستَ مجلسك الذي جلستَ ..

« فما أنسَ من الأشياء فلستُ بناسٍ اطّرادك حسيناً من حرم رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. إلى حرم الله !!

« وتسييرك الخيول اليه !!

« فما زلتَ بذلك حتى أشخصته إلى العراق !!

« فخرج خائفاً يترقّب !!

« فنزلت به خيلُك عداوةً منك لله ولرسوله ولأهل بيته .. الذين أذهبَ الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً !!

« فطلب اليكم الموادعة ، وسالكم الرجعة .. فاغتنمتم قلة انصاره ، واستئصال اهل بيته .. وتعاونتم عليه .. كأنكم قتلتم أهلَ بيت من الشّرْك والكفر !!

« **فلا شيء اعجب عندي من طلبتك ودّي .. وقد قتلت ولد أبي !!**

« **وسيفك يقطر من دمي !!**

« **وانت احد ثاري !!**

« ولا يعجبك ان ظفرت بنا اليوم .. فلنظفرنّ بك يوماً ..

« والسلام .. » !!

★

اقول :

هذا هو الامام ابن عباس .. في صفحة مشرقة من بلاغة القول وصدق المقال .. وشجاعة الابطال ..

انه يخاطب يزيد بن معاوية .. ويتهدده ويتوعده .. ويرفض ان ينال من عطائه .. ويقذف في وجهه القبيح ما يسوؤه ويحقره ويغيظه غيظاً شديداً ..

هكذا كان ابن عباس ..

ما كان ثؤثاراً ثم يذهب الى فراشه ..

كلا .. وانما مجاهداً لا يخشى في الله لومة لائم !!

ابن عباس ..

في أيامه ..

الأخيرة ؟!

نحن

ما زلنا في سنة أربع وستين ..

بيعة معاوية بن يزيد بن معاوية ..
وعبد الله بن الزُّبير ؟

في هذه السنة بويع لمعاوية بن يزيد بالخلافة بالشام ..

ولعبدالله بن الزبير بالحجاز ..

فلم يمكث (أي معاوية بن يزيد) إلا ثلاثة اشهر حتى هلك ..

وقيل : بل ملك أربعين يوماً ومات .

وعمره إحدى وعشرون سنة .. وثمانية عشر يوماً ..

بيعة مروان بن الحَكَم ؟

في هذه السنة بويع مروان بن الحَـكَم بالشام ..

واستقر الشام لمروان ..

وسار إلى مصر ، وبايع الناس مروان ورجع إلى دمشق ..

فلما دنا منها بلغه أن ابن الزبير قد بعث اليه اخـاه مُصْعباً في جيش ..

فارسل اليه مروان عمرو بن سعيد قبل أن يدخـل الشام .. فقاتله ، فانهزم مصعب واصحابه ، وكان مصعب شجاعاً ..

ثم عاد مروان إلى دمشق واستقرّ بها .

بيعة عبد الملك .. وعبد العزيز ..
ابنيْ مروان . بولاية العهد !

ثم دخلت سنة خمس وستين ..

في هذه السنة أمر مروان بن الحَكم ..

بالبيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز ..

وكان السبب في ذلك أنّ عمرو بن سعيد بن العاص لمـا هزم مُصْعب بن الزبير حين وجهـه أخوه عبدالله إلى فلسطين ..

رجع مروان وهو بدمشق قد غلب على الشام ومصر .

فبلغ مروانَ أنّ عَمراً يقول : إن الأمر لي بعـد مروان ..

فدعا مروانُ حسّان بن مالك ، وأخبره أنه يريد أن يبـايع لابنَيْه عبد الملك وعبد العزيز واخبره بما بلغه عن عمرو .

فقال : أنا أكفيك عَمراً ..

فلما اجتمع الناسُ عند مروان عشيّاً .. قـام حسّان فقال : إنه قد بلغنا أن رجالاً يتمنّون أمانيَ ، قوموا فبايعوا لعبد الملك وعبد العزيز من بعده ..

فبايعوا عن آخرهم ..

موت مروان بن الحكم ، وولاية ابنه عبد الملك ؟

في شهر رمضان من هذه السنة ، مـــات مروان بن الحكم ..

مات بدمشق وهو ابن ثلاث وستين سنة ..

ولما توفي مروان .. قام بأمر الشام بعده ابنه عبد الملك ..

وكان بمصر ابنه عبد العزيز ، بطاعة اخيه عبد الملك .

ولما مات (مروان) بويع لولده عبد الملك بن مروان في اليوم الذي مات فيه ..

وثوب المختار بالكوفة !

ثم دخلت سنة ست وستين ..

في هذة السنة رابع عشر ربيع الأول ، وثب المختارُ بالكوفة ، واخرج عنها عامل عبدالله بن الزّبير ..

قتل المختار قتلة الحسين، عليه السلام!

وفي هذه السنة وثب المختار بمن بالكوفة من قتلة الحسين ..

وخرج اشراف الناس فلحقوا بالبصرة ..

وتجرد المختار لقتلة الحسين ..

وقال: ما من ديننا أن نترك قتلةَ الحسين أحياء ..

وإني أستعين بالله عليهم، فسموهم لي، ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم.

فاني لا يسوغ ليَ الطعام والشراب حتى اطهر الأرض منهم !!

ابن الزبير يهدد ابن الحنفية!

ثم إن ابن الزبير .. دعا محمد بن الحنفية (بن عليّ بن أبي طالب) ومَن معه من اهل بيته وشيعته وسبعة عشر رجلاً من وجوه اهل الكوفة.

منهم ابو الطفَيل عامر بن واثلة .. له صحبة ، ليبـــايعوه ..

فامتنعوا وقالوا : لا نبايع حتى تجتمع الأمة .

فاكثر الوقيعة في ابن الحنفية ، وذمه ..

فأغلظ له عبدالله بن هانئ الكِندي وقال : لئن لم يضرّك إلا تركنا بيعتك لا يضرّك شيء ..

فسبه عبدُ الله وسب اصحابَه واخرجهم من عنده ..

فأخبروا ابن الحنفية بما كان منهم ، فأمرهم بالصبر .

ولم يلح عليهم ابن الزبير ..

المختار يبعث جيشاً لنجدة ابن الحنفية !

فلما استولى المختار على الكوفة ، وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفية ..

خاف ابن الزبير أن يتداعى الناس إلى الرضا به ..

فألحّ عليه وعلى أصحابه في البيعة له ..

فحبسهم بزمزم .. وتوعدهم بالقتل والاحراق ، وإعطاء الله عهداً

إن لم يبايعوا أن ينفـذ فيهم ما توعدهم به ، وضرب لهم في ذلك اجلاً .

فـــأشار بعضُ مَن كان مع ابن الحنفية عليه ان يبعث إلى المختار يعلمه حـالهم .

فكتب إلى المختار بذلك .. وطلب منه النجدة ..

فقرأ المختار الكتاب على النـــاس وقال :

إن هذا مهديّكم ، وصريح اهل بيت نبيّكم .

وقد تُركوا محظوراً عليهم كما يُحظر على الغنم .. ينتظرون القتل والتحريق في الليل والنهار .. لستُ أبا إسحاق إن لم انصرهم نصراً مؤزّراً .. وإن لم أسرب الخيل في أثر الخيل .. كالسيل يتلوه السيل .. حتى يحل بابن الكاهلية الويل !

يعني ابن الزبير ..

فبكى الناسُ وقالوا : سرّحنا اليه وعجّلْ ..

فوجه أبا عبدالله الجدَليّ في سبعين راكبـــاً من اهل القوّة ..

ووجه ظبيان بن عُمارة .. ومعه أربعمائة .. وبعث معه لابن الحنفية أربعمائـــة الف درهم ..

وسير أبا المعمر في مـــائة ..

وهانىء بن قيس في مـائة ..

وُعمير بن طارق في أربعين..

ويونس بن عمران في أربعين ..

فوصل أبو عبدالله الجدليُّ إلى ذات عِرْق.. فأقام بها حتى أتاه عمير ويونس في ثمانين راكباً ..

فبلغوا مائةً وخمسين رجلاً..

فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام .. ومعهم الرايات ..

وهم ينادون : يا لثارات الحسين !!

حـــتى انتهوا إلى زمزم ..

الانقاذ في اللحظة الاخيرة !

وقد أعدّ ابن الزبير الحطب ليحرقهم ..

وكان قد بقي من الأجل يومان ..

فكسروا الباب.. ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا : خلّ بيننا وبين عدوّ الله ابن الزبير !

• فقال لهم : إني لا استحل القتال في الحرم..

« فقال ابن الزبير : واعجباً لهذه الخشبية ! ينعون الحسين كأني أنا قتلته .. والله لو قدرتُ على قتلته لقتلتهم !

وإنما قيل لهم خشبية لأنهم دخلوا مكة وبأيديهم الخشب كراهة شهْرِ السيوف في الحرم .

وقيل : لأنهم اخذوا الحطب الذي أعدّه ابن الزبير ..

« وقال ابن الزبير : اتحسبون أني أخلي سبيلهم دون أن يبايع ويبايعوا ؟!

« فقال الجدّليُّ : إي وربّ الركن والمقام لتخلين سبيله أو لنجالدنك بأسيافنا جلاداً يرتاب منه المبطلون !

فكفّ ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة ..

ثم قدم باقي الجند ومعهم المال حتى دخلوا المسجد الحرام .. فكبّروا .. وقالوا : يا لثارات الحسين !

فخافهم ابن الزبير ..

وخرج محمد بن الحنفية ومَن معه إلى شِعب عليّ .. وهم يسبون ابن الزبير .. ويستأذنون محمداً فيه .. فأبى عليهم .

فاجتمع مع محمد في الشِّعب اربعة آلاف رجل .. فقسم بينهم المالَ .. وعَزّوا وامتنعوا .

ادخل في بيعتي .. والا نابذُتك ؟

فلما قُتل المختار .. تضعضعوا واحتاجوا ..

ثم إن البلاد استوثقت لابن الزبير بعد مقتل المختـــار ..

فارسل إلى ابن الحنفية : ادخـــل في بيعتي وإلا نابذُتك !

وكان رسوله عُروة بن الزبير ..

فقال ابن الحنفية : بؤساً لأخيك ما ألجه فيما اسخط الله واغفله عن ذات الله !

وقال لأصحابه : « إن ابن الزبير يريد أن يثور بنا .. وقد أذنت لمنْ أحبّ الانصرافَ عنا .. فإنه لا ذمام عليه منـــا ولا لوم .. فإني مقيم حتى يفتح الله بيني وبين ابن الزبير . وهو خير الفاتحـين . »

فقام اليه أبو عبدالله الجدَلِيُّ وغيره .. فاعلموه أنهم غير مفارقيه .

عبد الملك بن مروان ، يدعو محمد بن الحنفية ؟

وبلغ خبره عبدَ الملك بن مروان .. فكتب اليه يُعلمه أنه إن قدم عليه أحسن اليه .. وأنه ينزل إلى الشام إن أراد حتى يستقيم أمر الناس ..

فخرج ابن الحنفية وأصحابه إلى الشام ..

فلما وصل مدْيَن بلغه غدر عبد الملك بعمرو بن سعيد ..

فندم على اتيانه وخافه .. فنزل أيلة ..

وتحدث الناس بفضل محمد وكثرة عبـادته وزهده وحسن هديه ..

فلمـا بلغ ذلك عبد الملك ندم على إذنه له في قدومه بلده ..

فكتب اليه : « إنه لا يكون في سلطاني مَنْ لم يبايعني !! »

فارتحل إلى مكة .. ونزل شِعب أبي طـالب .

فارسل اليه ابن الزبير يأمره بالرحيل عنـه ..

وألح ابن الزبير على ابن الحنفية بالانتقال إلى مكة !!

فاستأذنه اصحابه في قتال ابن الزبير ..

فلم يأذن لهم وقال : « اللهم البس ابن الزبير لبـــاس الذلّ والخوف .. وسلّط عليه وعلى أشياعــه منْ يسومهم الذي يسوم الناس .. »

ثم سار إلى الطائف !!

ابن عباس .. يغلظ لابن الزبير ؟

فدخل ابن عباس .. على ابن الزبير .. وأغلظ له ..

فجرى بينهما كلام كرهنا ذكره ..

وخرج ابن عباس أيضاً .. فلحق بالطـــائف ..

ثم توفيّ .. فصلى عليه ابن الحنفية .. وكبر عليـه اربعاً !!

مقتل ابن الزبير ؟

وبقي ابن الحنفية ، حتى حصر الحجّـــاج ابن الزبير ..

فاقبل من الطائف فنزل الشّعب ..

فطلبه الحجاج ليبايع عبد الملك .. فامتنع حتى يجتمع الناس ..

فلمــا قُتل ابن الزبير .. كتب ابن الحنفية إلى عبد الملك .. يطلب منه الأمان له ولمنْ معه..

وبعث اليه الحجاج يأمره بالبيعة .. فأبى !

وقال : « قد كتبت إلى عبد الملك .. فاذا جاءني جوابه بايعتُ ..

عبد الملك .. يعطي الامان .. لابن الحنفيـة !

وكان عبد الملك كتب إلى الحجاج يوصيه بابن الحنفية ، فتركه .

فلما قدم رسول ابن الحنفية .. وهو ابو عبدالله الجـــدلي .. ومعه كتاب عبد الملك بامانه .. وبسط حقه .. وتعظيم اهله ..

حضر عند الحجاج .. وبايع لعبد الملك بن مروان ..

وقدم عليه الشام .. وطلب منه أن لا يجعل للحجاج عليـــه سبيلاً .. فازال حكم الحجاج عنه ..

ابن عباس .. في قلب الاحداث !

وقيل :

• إنّ ابن الزبير .. ارسل إلى ابن عباس .. وابن الحنفية أن يبايعا ..

• فقالا : حتى يجتمع الناس على إمام ثم نبايع .. فانك في فتنة ..

• فعظم الأمر بينهما .. وغضب من ذلك .

• وحبس ابن الحنفية في زمزم ..

• وضيّق على ابن عباس في منزله ..

• وأراد إحراقهما ..

• فأرسل المختار جيشاً – كما تقدم – فأزال عنهما ضرر ابن الزبير ..

• فلما قُتل المختار قوي عليهما ابن الزبير .. وقال : لا تجاوراني .

• فخرجا إلى الطائف ..

« وأرسل ابن عبّاس ابنه علياً .. إلى عبد الملك بالشام ..

« وقال : لئن يربني بنو عمّي احبّ إليّ من ان يربّني رجل من بني اسد ..

« يعني ببني عمه بنى أمية .. لأنهم جميعهم من ولد عبد مناف ..

« ويعني برجل من بني اسد ابن الزبير .. فانه من بني أسد بن عبد العزى بن قُصي ..

« ولما وصل عليّ بن عبد الله بن عباس إلى عبد الملك ..

« ساله عن اسمه وكُنيته ..

« فقـــال : اسمي عليّ .. والكنية أبو الحسن ..

« فقال : لا يجتمع هذا الاسم وهذه الكنية في عسكري .. انت أبو محمد ..

« ولما وصل ابن عباس إلى الطـــائف توفيّ به ..

« وصلّى عليه ابن الحنفية . » !!

*

اقول :

هذه الرواية الأخيرة .. تسجل ان ابن عباس عانى ما عانى ابن الحنفية .. وكان معه في اضطهاده وتهديده .. وانتقاله إلى الطائف ..

كلّ ما حدث لابن الحنفية باعتباره عميد اهل البيت آنذاك .. حدث لابن عباس باعتباره الرجل الاول ..

وفاة ..

عبد الله بن عباس ..

بالطائف ؟!

ثم

دخلت سنة ثمان وستين ..

وكان عبد الملك بن مروان بالشام .. مشاققـاً لابن الزبير ..

ومات عبد الله بن عباس .. سنة ثمـان وستين ..

وعمره أربع وسبعون سنة ..

وقيل غير ذلك ..

أقول : هذه رواية ابن الاثير ..

امّا الرواية الاخرى فتقول :

لما وقعت الفتنة بين عبدالله بن الزبير .. وعبد الملك بن مروان ..

ارتحل عبد الله بن عباس .. ومحمد بن الحنفية .. باولادهمـا ونسائهما حتى نزلوا مكة ..

فبعث عبدالله بن الزبير اليهما : لتبايعن أو لأحرّقنكم بالنار ..

فبعثنا ابا الطفيل إلى شيعتهم بالكوفة ..

فانتدب أربعةُ آلاف .. فدخلوا مكة ..

فكبروا تكبيرةً سمعهـــا اهل مكة وابن الزبير ..

فانطلق هارباً حتى دخل دار الندوة ..

قال : ثم مِلنا إلى ابن عباس وابن الحنفية وأصحابهما .. وهم في دور قريب من المسجـــد ..

قد جمع الحطب فاحـــاط بهم حتى بلغ رؤوس الجدُر ..

وقلنا لابن عباس : ذرنا نُريح النــاس منه ..

فقال : لا .. هذا بلدٌ حرامٌ ..

فخرجوا بهم حتى انزلوهم مِنى ..

فاقاموا ما شاء الله ..

ثم خرجوا بهم إلى الطائف ..

فرض عبدالله بن عباس ..

فما لبث إلا ثماني ليال .. حتى توفي ..

فصلى عليه محمد بن الحنَفية ..

فلما سُوِّيَ عليه التراب قال ابن الحنفية :

« مات والله اليوم حَبرُ هذه الأمة .. »

وتوفي سنة ثمان وستين بالطائف ..

وهو ابن سبعين سنة ..

وقيل : إحدى وسبعين سنة [1] ..

★

وأما الامام العيني في شرح البخاري فيقول :

« مات بالطائف سنة ثمان وستين ..

« وهو ابن إحدى وسبعين سنة .. على الصحيح ..

« في أيام ابن الزبير ..

« وصلى عليه محمد بن الحنفية . » !!

---

(١) من رواية « أسد الغابة في معرفة الصحابة » .

اقول :

إذا قال الامام العيني « وهو ابن إحدى وسبعين سنة . على الصحيح .. »

ترجّح هذا القول على الفور .. لأن القائل إمام جليل .. فما ترجّح عنده .. فهو الراجح ..

ابن عباس ...

ترجمان ...

القرآن ؟!

فرغنا

من حياة ابن عباس العامة ..

فماذا عن حياة ابن عباس العلمية .. التي هي أخص خصائصه، التي اشتهر بها على مدى الأجيال ؟!

ماذا عن ترجمان القرآن ؟!

امتياز عبد الله بن عباس !

عن ابن عباس .. رضي الله عنهما .. قال :

« كان عُمرُ يُدْخِلني مع أشياخِ بَدْرٍ ..

« فقال بعضهم : لِمَ تدْخِل هذا الفتى معنا .. ولنا أبناء مثله ؟!

« فقالَ : إنه ممنْ قدْ علمتمْ ..

« قال : فدعاهمْ ذاتَ يوْمٍ .. ودعـاني معهم..

« قال : وما رُؤيتُه دعاني يومئذٍ إلا لِيريَهمْ مِني ..

« فقال : ما تقولونَ ﴿ إذا جاءَ نَصرُ اللهِ والفتْح ورأيت الناسَ يَدْخلونَ .. ﴾ حتى ختمَ السُّورَةَ ؟.

« فقال بعضهمْ : أُمِرْنا أنْ نَحمُدَ اللهَ ونستَغفرَه إذا نُصرنا وُفتِحَ علينا ..

« وقالَ بعضهمْ : لا ندْري ..

« ولمْ يقلْ بعضهمْ شيئـاً ..

« فقالَ لي :

« يا ابنَ عبـاسٍ .. أكذَاكَ تقولُ ؟.

« قلْت : لا ..

« قال : فـا تقولُ ؟.

« قلت : هوَ أَجل رسول اللهِ ، صلى الله عليـه وسلم .. أعلمهُ الله له .. إذَا جـاءَ نَصرُ اللهِ والفتح .. فَتْح مَكَّةَ .. فذَاكَ عَلامَة أَجلِكَ .. ﴿ فسَبِّحْ بَحمْدِ ربـكَ واستغفرْه إنه

كانَ توّاباً .﴾

« قال عمرُ : ما أعلم مِنها إلاّ ما تَعلم. »

[اخرجه البخاري]

قالوا : قوله (ما أعلم منها) اي من هذه السورة (الا ما تعلم) أنت يا ابن عباس .. وفيه فضيلة بينة لعبدالله بن عباس ..

* * *

اقول : لا يعلم العبقريّ إلا العبقريّ .

لقد كان عمر ، عبقرياً ..

من أجل ذلك كان حفيّاً بابن عباس ..

لما يعلمه من تفوقه وامتيازه في علوم التأويل والتفسير ..

فلما عجب بعضهم من ادخال هذا الفتى مع أشياخ بدر ..

دعاهم عمر ، ودعا ابن عباس ..

ثم طرح عليهم سؤالاً في التفسير ..

فلم يُدركوا ما أدرك ابن عباس من الآية ..

ثم أعلن عمر أمامهم جميعاً ، ليريهم مَنْ هو هذا الفتى الذي رفعه إلى مرتبه أشياخ بدر ، فقال : ما أعلمُ منها إلا مـــا تَعلم ؟

هنالك ظهر على الملأ امتياز ابن عباس ..

وتلألأت عبقرية ابن عبـــاس !!

وسوف نسبح مع ابن عباس ، نتأمل : مدى مـــا أعطاه الله تعالى ، في تأويل آيات القرآن ..

وقد اخترنا لك بعضاً مما رواه الإمام البخاريّ في صحيحه عن ابن عبـــاس ، في تفسير القرآن ..

وإنمـــا اخترنا رواية البخـــاري ، لتكون للأفئدة أشدّ تثبيتـاً ..

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابُ تفسير القرآنِ

اي هذا كتاب في بيان تفسير القرآن الكريم ..

والتفسير ، معناه اللغوي البيان ، يقال فسرت الشيء بالتخفيف ، وفَسّرْته بالتشديد إذا بينته ..

ومعناه الاصطلاحي ، التفسير : هو التكشيف عن مدلولات نظم القرآن ..

* * *

(الرحمنُ الرحيم .. اسمانِ منَ الرحمةِ :

(الرحيمُ والراحِمُ ، بمعنى واحدٍ .. كالعليم والعالِمِ) .

وعن ابن عباس : الرحمن الرحيم .. اسمان رقيقان، احدهما أرق من الآخر .. فالرحمن الرقيق، والرحيم العاطف على خلقه بالرزق ..

بابُ ﴿ وقالوا اتخذ اللهُ ولَداً سُبحانَهُ ﴾

« عن ابن عباس ، رضي الله عنهما .

« عن النبيِّ ، صلى الله عليه وسلم .. قال : قال اللهُ كَذَّبني ابنُ آدمَ ولَمْ يَكُن له ذلكَ ..

« وشَتَمني ولَمْ يَكُن لهُ ذلِكَ ..

« فاما تكذيبُهُ إيايَ فَزَعَمَ أني لا أقدر انْ أُعيدَه كما كانَ ..

« وأما شَتْمُهُ إيايَ فقولُه لِيَ ولَدٌ .

« فسُبْحاني أن اتخذ صاحِبَةً أوْ وَلَداً . »

[أخرجه البخاري]

بابُ ﴿ يا ايها الذينَ آمَنوا كُتبَ عَليكمُ القصاصُ في القتلى الحرُّ بالحرّ الى قولِهِ عذابٌ اليمٌ .. ﴾ عُفيَ تُركَ ..

سمعتُ ابنَ عباسٍ ، رضي الله عنهما ، يقول :

« كانَ في بني إسرائيلَ القِصاصُ .. ولَمْ تَكُن فيهم الدِّيَةُ ..

« فقالَ الله تعالى لهذهِ الأُمةِ .. ﴿ كُتِبَ عَليكم القِصاص . فِي القتْلى الحُرُّ بالحُرِّ والعبْدُ بالعبْدِ والأُنثى بالأُنثى فمنْ عُفِيَ له أخيهِ شيءٌ .. ﴾

« فَالْعفْو أنْ يَقبلَ الدِّيَةَ في العمْدِ ..

﴿ فاتباعٌ بالمعروفِ وأداءٌ اليهِ باحسانٍ .. ﴾

« يَتَّبع بالمعروفِ ، ويؤَدّي باحسانٍ ..

﴿ ذلِكَ تخفيفٌ مِن رَبكم ورحمةٌ .. ﴾

« مِمّا كُتِبَ على مَن كانَ قبلكمْ ..

﴿ فمنِ اعتَدى بعدَ ذلِكَ فله عذابٌ أليمْ .. ﴾

« قَتلَ بَعدَ قَبولِ الدِّيَةِ . »

[أخرجه البخاري]

(ذلك تخفيف) أي الحكم المذكور من العفو والدية .

(لأن اهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة ، وحرم عليهم العفو واخذ الدية .

(وعلى أهل الأنجيل العفو وحرم القصاص والدية ..

(وخيرت هذه الأمة .. بين الثلاث ، القصاص والدية والعفو ، توسعة عليهم وتيسيراً ..)

* * *

أقول :

تأمّل هنا عبقرية ابن عباس في تفسير الآية تفسيرا جميلا !!

قراءَة العامةِ ﴿ يُطيقونَهُ ﴾ وهو اكثرُ

« عنْ عَطـاءٍ ..

« سمعَ ابنَ عباسٍ .. يَقْرَأُ وعَلى الذينَ يُطَوَّقونَهُ فِدْيَةٌ طعامُ مِسْكِينٍ ..

« قالَ ابن عَباسٍ : لَيسَتْ بمنسوخَةٍ ..

« هوَ الشيخُ الكبير والمرْأة الكبيرةُ .. لا يَسْتطِيعانِ أنْ يَصوما .. فَليطعِما مَكانَ كلّ يوْمٍ مِسكينـــاً . »

[اخرجه البخاري]

أقول :

انظر إلى ابن عباس هنا .. يتنقل في الآيـة .. مذللة له .. كأنها البحر المفتوح .. يسبح منه حيث يشاء !!

باب قوله ﴿ أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب الى قوله تتفكرون ﴾

« سمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدث عن ابن عباس قال :

« وسمعت أخاه أبا بكر بن أبي مليكة يحدث عن عبيد ابن عمير قال

« قال عمر رضي الله عنه يوما لأصحاب النبي .. صلى الله عليه وسلم : فيم ترون هذه الآية نزلت ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة﴾ ؟

« قالوا : الله أعلم ..

« فغضب عمر .. فقال : قولوا نعلم أو لا نعلم ..

« فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين ..

« قال عمر : يا ابن أخي .. قل .. ولا تحقر نفسك ..

« قال ابن عباسٍ : ضرَبتُ مَثَلاً لِعَمــلٍ ..

« قـــالَ عمر : أيُّ عملٍ ؟

« قال ابن عبـــاسٍ : لِعمَلٍ ؟

« قال عمر : لرَجلٍ غنيٍّ يَعْمَل بطاعَةِ اللهِ عزَّ وَجلَّ .. ثمَّ بَعثَ الله لَه الشيطانَ .. فعمِل بالمعـــاصي حتى أغرَق أعمالَه . »

[اخرجه البخاري]

اقول :

هذا الحديث يعتبر مفتاحا خطيرا .. من مفـــاتيح شخصية ابن عباس ..

لقد كان في عهد عمر شابا ما بين الخامسة عشرة إلى الخـــامسة والعشرين في آخر عهد عمر ..

فلنفرض أن عمر طرح هذا السؤال في منتصف أيام خلافتـــه مثلا .. فمعنى هذا ان ابن عباس كان في نحو العشرين ..

اي شابا لا يتقدم الاشياخ بحديث ..

ومع هذا بادر الى امير المؤمنين قائلا : في نفسي منها شيء يا

أمير المؤمنين ؟!

فماذا قال له عملاق الحق والحقيقة ؟!

قال : يا ابنَ أخي .. قُل .. ولا تحقِرْ نفسَك !

إن عمر .. الذي جعل الله الحق على لسانه وقلبه .. يلمح في ثنايا هذا الشاب عبقرية لماحة .. فهو يشجعه ويدفعه ان يقول ما يجد في نفسه !.

ثم ماذا ؟!

ثم بدائع وروائع أخرى .. من تفسير ابن عباس .. عبقري التفسير والتأويل ..

عبقرية ابن عباس ...

تتشعشع ...

في سورة آل عمران .؟!

كان

هذا شيئاً قليلاً من بدائع ابن عبـــاس في السورة التي يذكر فيها البقرة ..

واليك شيئاً رائعاً من اشعاعاته في سورة آل عمران !!

سورة آل عمران

اي هذا تفسير سورة آل عمران ..

بسم الله الرحمن الرحيم

(وقـــال ابنُ عباسٍ : إحدَى الحُسْنَيَيْنِ : فَتْحاً أوْ شهادَةً .)

بابُ ﴿ انَّ الناس قدْ جَمعوا لكم ﴾

الآية

• عن ابن عباسٍ :

﴿ حَسْبنا اللهُ ونِعمَ الوكيلُ ﴾

• قالَها إبرَاهيمُ عَليهِ السَّلامُ حِينَ أُلقيَ في النـــارِ ..

• وقالها مُحمدٌ .. صلى الله عليه وسلم .. حِينَ قالُوا ﴿ إنَّ الناسَ قَدْ جَمعُوا لَكمْ فَاخشوْهم فَزادهمْ إيمانا وقالُوا حَسْبنـــا

الله ونِعْمَ الوَكيلُ .﴾

[أخرجه البخاري]

* * *

عن ابن عباسٍ قال :

« كان آخِرَ قَوْلِ إبراهيمَ حِينَ أُلقيَ في النّارِ ..

« حَسْبِيَ اللهُ ونِعمَ الوكيلُ . »

[أخرجه البخاري]

باب ﴿ لا تَحسبنّ الذينَ يَفرَحونَ بما أتَوْا ﴾

« عن ابنِ أبي ملَيْكَةَ ..

« أنّ عَلْقَمةَ بنَ وَقاصٍ أخبَرَه ..

« أنّ مَرْوَانَ قـــالَ لبوّابِهِ :

« اذْهَبْ يا رَافِع إلى ابن عبـــاسٍ فَقُلْ لَئِنْ كانَ كُلُّ امرِئٍ فَرحَ بِما أوتيَ وَأَحبَّ أنْ يحمَدَ بما لَمْ يَفعلْ معذَّباً ..

« لَنُعذَّبَنَّ أجمعونَ ؟!

« فقالَ ابن عباسٍ :

« وما لَكمْ ولهذِه ؟!

« إنما دَعا النبيُّ .. صلى الله عليـه وسلم .. يَهودَ فَسالهمْ عَنْ شَيْءٍ فَكتَموه إياه وأخبروه بغيرهِ ..

« فأرَوْه أنْ قَدِ استَحمَدوا إليهِ بِما أخبروه عَنـه .. فيما سَألَهمْ ... وَفَرِحوا بما أوتوا مِنْ كِتمانهمْ ..

« ثُمَّ قَرَأَ ابن عبـــاسٍ :

﴿ وَإذْ أَخذَ الله مِيثـاقَ الذينَ أوْتوا الكتابَ .. كذَلِكَ حتى قوْلِهِ يَفْرَحونَ بِما أوتوا ويُحِبُّونَ أنْ يُحمدوا بمـا لَم يَفعـلوا . ﴾

[اخرجه البخاري]

(مروان) هو ابن الحكم بن أبي العاص ، ولي الخـــلافة ،

وكان يومئذ امير المدينة من جهة معاوية ..

(يا رافع) هو بوّاب مروان بن الحكم ..

(وما لكم ولهذه) ؟! انكار من ابن عباس على السؤال بهذه المسالة على الوجه المذكور ..

وفي رواية حجاج بن محمد : إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب ..

(فسألهم عن شيء) قيل هذا الشيء هو نعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ..

(فكتموه إياه) اي كتم يهود الشيء الذي سألهم ، صلى الله عليه وسلم .. عنه وأخبروه بغير ذلك ..

(بما أوتوا) اي أعطوا من العلم الذي كتموه ..

* * *

ما هذا ؟!

هذا ابن عباس .. حين يتلألأ في أخص خصائصه .. وأعلى صفاته .. صفة العلم بالتأويل ..

إن مروان بن الحكم فزع من الاية .. أيعقل ان كل امرىء فرح بما أوتي واحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً ؟!

وبعث مروان بوابه إلى ابن عباس .. يستفهمه ..

فأغاثه الغوث .. ابن عباس .. وبيّن له ان الآية خـاصة بأهل الكتاب .. اولئك المجرمين الذين كتموا الحقّ وغيّروا الحقائق !!

فما دلالة تلك الواقعة ؟!

دلالتها أن الناس مجمعون على أن ابن عبـــاس هو المرجع في التفسير .. والقول الفصل في التأويل !!

وها هو حاكم المدينة المنورة في عهد معاوية بن أبي سفيان يفزع الى ابن عباس ليشرح له ما غاب عن فهمه من الآية !!

باب « قوله انّ في خَلقِ السماوات والأرض »

الآية

باب ﴿ ربنا اننا سَمعنا مُناديا يُنادِي للايمانِ ﴾

الآية

« عَن كُريبٍ مَوْلى ابن عبـــاسٍ ، رضي الله عنهما ..

« أنَّ ابنَ عَباسٍ أخبرَه ، انه باتَ عِندَ مَيمونَـةَ ، زوج النبيّ ، صلى الله عليه وسلم .. وهيَ خالته ..

« قال : فـــاضطجَعْت في عَرْض الوسادَةِ ..

« واضطجَعَ رسول الله .. صلى الله عليـه وسلم .. وأهـــله في طُولِها ..

« فنامَ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. حتى إذا انتصف الليل ، اوْ قبله بقليلٍ ، أو بَعـدَه بقليـلٍ ، استَيْقَظَ رسول الله ، صلى الله عليـه وسلم .. فجَلَسَ يَمسَح النومَ عَن وجهـهِ بيَـدِهِ ..

« ثمَّ قرَأَ العشرَ الآياتِ الخواتِم منْ سورةِ آل عِمرانَ ..

« ثمَّ قام إلى شَنٍ معلَّقَةٍ فتَوضأ مِنها فأحسنَ وضوءَهُ ..

« ثمَّ قامَ يصلي ..

« قال ابن عباسٍ : فقُمت فصَنعت مِثلَ مَـــا صَنع ..

« ثمَّ ذهَبت فقُمت إلى جَنبـــهِ ..

« فوَضعَ رسول الله ، صلى الله عليـه وسلم .. يَده اليمْنى على رأسي ، وأخذ باذُني اليمْنى يَفْتِلها .

« فَصلى ركعتينِ ..

« ثُمَّ ركعتَينِ ..

« ثمّ ركعتـين ..

« ثمّ رَكعتـينِ ..

« ثمّ رَكعتـينِ ..

« ثم رَكعَتَـينِ ..

« ثمّ أوتَر ، ثم اضطجع حتى جـاءَه المؤذّن ..

« فَقامَ فصلى ركعتينِ خفيفتـين .

« ثم خَرج فَصـــلىَّ الصُّبْح . »

[أخرجه البخاري]

(شنّاً) وهـو القربـة التي يبست وعتقت من الاستعمال .

* * *

اقول :

هذه بعض بدائع ابن عبـاس .. فيما رواه عنه الامام البخاري في صحيحه .. في تفسير آلْ عِمّران ..

وهناك غيرها أحاديث عظام .. تجاوزناها مخافة السأمة والملالة !

من بدائع ...

ابن عباس ...

في سورة النساء !؟

سُورَةُ النساء

اي هــذا تفسير سورة النساء ..

عن ابن عباس : نزلت سورة النساء بالمدينــــة ..

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال ابن عباسٍ : يَستَنكِف : يَستَكبر .)

* * *

باب ﴿ وإذا حضرَ القسمةَ أولو القربى واليتامى والمساكين ﴾

الآية

« عن ابن عباس ، رضي الله عنهما .

﴿ وإذا حضرَ القِسمةَ أولو القُربى واليتامى والمساكين .. ﴾

« قال : هي محكمةٌ وليست بمنسوخةٍ . »

[أخرجه البخاري]

(هي محكمة) يعني الآية المذكورة محكمة .

(وليست بمنسوخة) تفسير للمحكمة ، وعلى هذا الأمر في قوله ﴿ فارزقوهم ﴾ للندب أو الوجوب .

(وقيل هي منسوخة بآية المواريث .

(وهو قول سعيد بن المسيب ، والقاسم بن محمد ، وآخرين .

(وهو قول الأئمة وأصحابهم .)

باب ﴿ ولَكُمْ نِصفُ ما تَرَكَ أزْوَاجكم ﴾

الآية

« عن ابن عباسٍ ، رضي الله عنهما ، قال :

« كانَ المـــالُ لِلوَلَدِ ، وكانتِ الوَصيةُ لِلوَالِدَينِ ..

« فنسَخَ اللهُ مِنْ ذلكَ مـــا أَحبَّ ..

« فجعَل لِلذكر مِثلَ حظّ الأُنثيينِ ..

« وجعلَ للأبَوَينِ لكلّ واحدٍ منهما السُّدسَ والثلثَ ..

« وجعل للمرأة الثُمنَ والرُّبعَ ..

« وللزّوجِ الشَّطْر والرُّبعَ . »

[أخرجه البخاري]

(وللزوج الشطر) أي شطر المال وذلك عنـــد عدم الولد .

أقول

تأمل هنا عبقرية حَبر الأمة .. أو عبقرية البَحر !!

المام تام بالناسخ والمنسوخ ..

وإحاطة تامة بما كان من أحكام .. وما تطورت اليه ..

كل اولئك في كلمات قليلات . في غاية الايجاز .. وغاية البلاغة !!

باب ﴿ لا يَحلُّ لكمْ انْ تَرِثوا النساءَ كرْهاً ﴾

الآية

اي هذا باب فيه قوله تعالى ﴿ لا يحل لكم ﴾ الآية ..

ويُذكرُ عن ابن عباس .. لَا تعضلوهنّ : لا تَقْهروهنّ

*

« عن ابن عبـــاس :

﴿ يا أيها الذينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لكم أنّ ترِثوا النساءَ كرْهـاً ولا تَعضلوُهنَّ لِتَذْهبوا بِبعضِ مَا آتيتُموهنَّ .. ﴾

« قالَ : كانوا إذا مَاتَ الرَّجل كان أوْليـــاؤه أحَق بامرَأتِــهِ ..

« إنْ شَاء بَعضهمْ تَزَوَّجها ..

« وإنْ شَاؤُا زَوَّجوهـا ..

« وإنْ شَاؤُا لَم يُزَوِّجوها ..

« فَهمْ أَحقُّ بها مِن أهلها ..

« فَنزَلَت هذهِ الآيةُ في ذلِكَ . »

[أخرجـه البخاري]

(كانوا) اي قال ابن عباس : كانوا .. اي الجاهلية .. او اهل المدينـة ..

(فنزلت هـذه الآية) اي الآية المذكورة ، وهي قوله ﴿ لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ﴾ ..

اقول :

عبقرية ابن عباس ها هنا مركزة ..

فهو يروي لنا ما كان منهم في مجتمع الجاهلية ..

إذا مات الرجل كان أولياؤه احق بامرأته ؟!

إنها مجرد ميراث تركه الرجل .. وأولياؤه يفعلون بها ما شاءوا !

أمّا هي كبَشَر .. اما اهلها الذين قاموا بتربيتها .. فلا أحد يملك من أمرها شيئاً !!

ان شاء بعضهم تزوجها !!

وان شاؤا زوّجوها !!

وان شاؤا لم يُزوّجوها ..

هكذا كان هو ان المرأة .. وكانت حقارتها ..

حتى جاء الاسلام العظيم .. فرحمها وحرّرها .. ورفعها الى مقام المساواة والحرية ..

قضية رائعة يسجلها ابن عباس ..

فيضيف ثروة ضخمة إلى معلومات الامة كلها الى يوم القيامة ..

باب قولهُ ﴿ وماَلكم لا تُقاتِلونَ في سبيل اللهِ .. الى الظالِمِ اهلها ﴾

وفي رواية :

﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء ﴾ .. الآية وتمامها .

﴿ والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾ ..

قوله عز وجل ﴿ ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله ﴾ تحريض لعبـــاده المؤمنين على الجهاد في سبيله ، وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين بمكة من الرجـــال والنساء والصبيان ..

(قوله ﴿ واجعل لنا من لدنك ولياً ﴾ أي سخر لنا من عندك ولياً ناصراً ..

عن عبَيدِ اللهِ ، قال :

«سَمعت ابنَ عباسٍ .. قـــال :

« كُنت أنا وأمي مِنَ المستَضعفِين . »

[أخرجه البخاري]

(وأمي) اسمها لبابة بنت الحارث الهلالية ، أم الفضل ، اخت ميمونة زوج النبي ، صلى الله عليه وسلم .. وهي اول امرأة أسلمت بعد خديجة رضي الله تعالى عنها ..

(من المستضعفين) واراد حكاية الآية ، وإلا فهو من الولدان ، وكانا من المستضعفين ، يعني في مكة .. اي وكان عبد الله وأمه فيهم وعباس كان قد أسر في غزوة بدر .. وكان قد اخرج مكرهاً ..

وقال ابو عمر : اسلم العباس قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه ، ولهذا قال النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يوم بدر .. ومن لقي منكم العباس فلا يقتله ، وإنما أخرج مكرهاً . ولما خرج كان عبدالله صغيراً ، وكان هو وأمه من المستضعفين ..

« عن ابن أبي مُلَيكةَ ..

« أنّ ابن عباسٍ تَلا

﴿ إلاّ المُستَضعفينَ مِن الرّجالِ والنساء والولدانِ ﴾ ..

« قال : كنت أنَا وأُمي ممن عَذرَ الله . »

[أخرجه البخاري]

(ممن عـذر الله) اي ممن جعلهم من المعـذورين المستضعفين ..

باب ﴿ و َمن يَقتلْ ُمؤْ ِمناً ُمتعمداً َفجزاؤهُ َجهنمُ ﴾

« حدثنا المغيرة بن النُّعمانِ ، قال :

« َسمعت َسعيد بن ُجبيرٍ قــال :

« آيةٌ اختلَفَ ِفيها أهل الكوَفةِ .

« َفدَخلْت ِفيها إلى ابن َعباس ..

« فسالته َعنها ..

« فقـــال : نزَلت هذِهِ الآية :

﴿ و َمن يَقْتل مؤْ ِمناً متَعمّداً َفجزاؤه َجهنمُ ﴾

« ِهي آخر ما َنزل و َما نسَخهـــا َشيءٌ . »

[أخرجه البخاري]

(فدخلت فيها) وفي رواية ، فرحلت ، وهـذه أصوب ، اي فدخلت بعد رحلتي إلى ابن عبـاس .

(فيها) أي في حكمها .

(اختلف فيها أهل الكوفة) ويروى اختلف فيهـا فقهاء أهل الكوفـة ..

(متعمداً) اي قاصداً قتله بعمد ..

(هي آخر ما نزل) أي الآية المذكورة آخر ما نزل في هذا البـــاب ..

(وما نسخها شيء) أي من آخر مـــا نزل ..

★

اقول ..

للعلمـاء في هذه الآية الكريمة المـذكورة أقوال ..

وإنما الذي نركّز عليه هنا هو كيف أن أهل الكوفة ، وهي أكبر تجمع اسلامي آنذاك ، يسكنها أكثر من مـائة الف مجـاهد وعائلاتهم ، اختلفوا في تفسير آية من كتاب الله تعالى ، وهي قوله تعـــالى :

﴿ ومَنْ يَقتُــل مؤمِنــاً ﴾ إلى آخر الآية ..

فـاحتكموا إلى مَن ؟!

ففزعوا إلى مَن ؟!

فالتمسوا تفسيرهـــا عند مَن ؟!

(فدخلتُ فيها إلى ابن عباس) !!

رحل اليه ، وساله عنهـا ..

وفي الكوفة آنذاك مئات من الفقهـاء والعلمـاء !!

ولكن ابن عباس بالذات ، هو الذي تفزع اليه الأُمة في تأويل آيات الكتاب !

وهذه شهادة من الأمة كلها لابن عباس !

فإذا شهدت الكوفة ، فغيرها من مراكز التجمع كالبصرة وغيرها أولى باتبـــاع الكوفة !!

باب ﴿ ولا تقولوا لِمنْ القى اليكمُ السلامَ لَستَ مُؤمِناً ﴾

اي هذا باب في قوله تعـــالى ﴿ ولا تقولوا لمن القى اليكم

السلام ﴾ وأوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا ﴾ الآية ..

« عن ابن عباسٍ .. رضي الله عنهما .

﴿ ولَا تَقولوا لِمن القى اليكم السَّلاَمَ لستَ مُؤمناً . ﴾

« قال ابن عباسٍ: كانَ رَجلٌ في غُنَيمةٍ له .. فلحقَه المسلمونَ .. فقال : السلام عَلَيكم .. فقَتلوه وأَخذوا غُنَيمتَه ..

« فأنزل الله في ذلك إلى قولهِ :

﴿ عَرض الحياةِ الدُّنيا ﴾

تِلكَ الغنيمةُ .

« قال : قرَأ ابن عباسٍ .. السلاَمَ . »

[أخرجه البخاري]

من اشاعات ...

ابن عباس ...

في سورة المائدة !؟

بسم الله الرحمن الرحيم

بابُ تَفسيرِ سُورَةِ المائدَةِ

أي هذا باب بيان تفسير بعض شيء من سورة المائدة ..

وقال ابنُ عبّاسٍ .. لامَسْتمْ .. وتَمَسُّوهُنّ .. واللاتي دَخَلْتمْ بِهِنّ .. والافضاءُ : النكاحُ

(أشار بقول ابن عباس هذا إلى أن معنى أربعة الفاظ في القرآن ، بمعنى واحد ، وهو النكاح ، اي الوطء ..

(عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ أو لامستم النساء ﴾ قال : هو الجماع ..

(وعن ابن عباس ، إن اللمس والمس والمباشرة : الجماع ..

(عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ اللاتي دخلتم بهن ﴾ . قال :

الدخول : النكاح .

(عن ابن عبّاس في قوله تعـــالى ﴿ وقد أفضى بعضكم إلى بعض ﴾ قال : الافضاء : الجماع ..

(وعن ابن عبّاس قال : الملامسة والمبـاشرة والافضاء والرفث والجماع : نكاح .. ولكن الله يكني .

*

وقال ابنُ عبَاس : الازْلامُ ، القِدّاحُ .. يَسْتَقْسِمُونَ بها في الأمور

(الأزلام) جمع زَلَم ..

(القداح) جمع قِدْح .

(يستقسمون بها) من الاستقسام وهو طلب القسم الذي قسم له وقدر .. وكانوا إذا أراد أحدهم سفراً أو تزويجاً ، أو نحو ذلك من المهمات ، ضرب الأزلام وهي القداح ، وكان على بعضها مكتوب أمرني ربي ، وعلى الآخر نهاني ربي ، وعلى الآخر غُفْل ، فان خرج أمرني ربي مضى لشأنه .. وإن خرج نهاني أمسك ، وإن خرج الغَفْل عـاد وأجالهـا وضرب بها أخرى إلى أن يخرج الأمر والنهي ..

(وذكر ابن اسحاق أن أعظم أصنام قريش كان هبل وكان في جوف الكعبة ، وكانت الأزلام عنده يتحاكمون عنده فيما أشكل عليهم فما خرج منها رجعوا اليه ..

باب قولهِ ﴿ لا تسألُوا عَنْ أشياءَ انْ تُبدَ لكمْ تسؤكمْ ﴾

عن ابن عبّاسٍ ، رضي الله عنهما .. قال :

« كانَ قومٌ يَسألُونَ رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم .. استهزاءً ..

« فيقولُ الرَّجلُ : مَنْ أبي ؟

« ويقولُ الرَّجلُ تَضِلُّ نَاقَتُه : أينَ نَاقَتي ؟

« فانزَلَ اللهُ فيهم هـذِهِ الآيَةَ :

﴿ يا أيها الذينَ آمنوا لا تَسألُوا عن أشياءَ إن تبدَ لكم تَسُؤكم ﴾ حتى فَرَغَ مِنَ الآيَةِ كلها . »

[أخرجه البخاري]

هذا وجه آخر في بيان سبب نزول الآية المذكورة ..

ووجه الجمع بين هذه الأوجه ، إنها نزلت بسبب كثرة المسائل ، إما من جهة الاستهزاء .. وإما من جهة الامتحان .. وإما من جهة التعنت ، وهو يعم الكلّ ، والله أعلم ..

باب ﴿ وكنتُ عليهمْ شهيداً ما دُمتُ فيهم فلما توفيتني كنتَ انتَ الرقيبَ عليهمْ وأنتَ على كل شيء شهيدٌ ﴾

(اي هذا باب في قوله تعالى ﴿ وكنت عليهم شهيداً ﴾الآية هذه واياالآت التي قبلها من قوله ﴿ وإذْ قَال اللهُ يا عيسى ابنَ مريمَ أأنت قلتَ للناس ﴾ إلى آخر السورة .. مما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليهما السلام .. قائلاً له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه الهين من دون الله ، تهديداً للنصارى وتوبيخاً وتقريعاً على رؤوس الأشهاد ..

عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال :

« خطَبَ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فقال :

« يا أيها الناس إنكم محشورونَ إلى اللهِ حفاةً عراةً غرلاً ..

« ثم قال : ﴿ كما بدأنا أولَ خلقٍ نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعِلينَ .. ﴾ إلى آخر الايةِ ..

« ثم قال . ألا وإنَّ أوَّل الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم ..

« ألا وإنه يجاء برجالٍ من أمتي فيؤخذ بهم ذاتَ الشمال فأقول يا ربِّ أصيحابي.. فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدكَ .. فأقول كما قال العبدُ الصالِح ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلمّا توفيْتني كنتَ أنت الرّقيبَ عليهمْ .. ﴾

« فيقال إنَّ هؤلاءِ لمْ يزالوا مرتَدّينَ على أعقابهم منْذ فارقتَهمْ . »

[أخرجه البخاري]

(غرلاً) جمع اغرل ، وهو الذي لم يختتن ..

(ذات الشمال) جهة النار ..

(أصيحابي) مصغر الأصحاب .. يدل على تقليل عددهم ، ولم يرد به خواص أصحابه الذين لزموه وعرفوا بصحبته ، أولئك صانهم الله وعصمهم من التبديل .

(العبد الصالح) هو عيسى ابن مريم عليهما السلام ..

اقول :

ما مضى كان شيئاً قليلا .. من المأثور عن ترجمان القرآن في تلك السور الطوال ..

والان نعبر إلى سورة الكهف وهي في منتصف القرآن تقريبا ..

ونقتطف لك شيئاً من بدائع ابن عباس في التفسير ..

وعمداً فعلتُ ذلك .. مخافة السآمة .. ودفعاً للسّأم عن القارىء الكريم !!

ابن عباس ..

يقول ..

سَلوني ؟!

سُورةُ الكهفِ

اي هذا في بيان بعض تفسير سورة الكهف..

بسم الله الرحمن الرحيم

بابٌ ﴿ واذْ قالَ مُوسَى لِفتاهُ لا أبرَحُ حتى أبلغَ مَجمعَ البحرَينِ اوْ أمضيَ حُقبــاً ﴾ زَماناً وَجمعهُ احقابٌ

(أي هذا باب في قوله تعـالى ﴿ وإذ قال موسى ﴾ أي اذكر حين قـــال موسى هو ابن عمران ، لفتاه اي صاحبه يوشع

ابن نون ..

(لا أبرح) لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين .

(أو أمضي حقباً) زماناً طويلاً .. عن قتادة : الحقب الزمان . وعن ابن عبـــاس : الحقب : الدهر ..

« أخبرَني سعيد بن جبير ، قـال :

« قلْت لابن عباس : إنّ نَوْفـاً البكاليّ يَزْعم أنّ موسى صاِحبَ الَخضِر ليسَ هوَ موَسى صاِحبَ بَني إسرَائِيل ..

« فقال ابن عبـاسٍ :

« كذَب عَدوُّ اللهِ ..

« حدثني أُبَيُّ بن كعْبٍ ..

« أنه سَمع رسول الله ، صلى الله عليـه وسلم .. يقـول :

« إنّ موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئِل : ايُّ النـاس أعـلم ؟

« فقال : أَنـا ..

« فعتَب الله عليْهِ إذْ لَم يَردّ العِلم اليهِ .

« فاوَحى الله اليهِ إنّ لي عبـداً بَمجْمـعِ البحرينِ هو أعلم

مِنـــك .

« قال موسى : يا ربِّ فكَيْف لي بهِ ؟

« قال : تَاخذ مَعكَ حوتـاً فَتَجعله في مِكْتَلٍ فحيثما فقدت الحوت فَهو ثَمَّ .. »

[من حديث طويل أخرجه البخاري]

(في مِكتل) في قفَّة .

(فهو ثَمَّ) فهو هناك

بابُ قولِهِ ﴿ فَلما بَلغا مجمعَ بَينهما نَسيا حُوتَهما فاتخذَ سَبيلهُ في البحرِ سَرَباً ﴾ مَذْهَباً ..

يَسرُبُ : يَسلكُ .. ومِنهَ وساربٌ بالنهار

اي هذا باب في قوله عز وجل ﴿ فلما بلغا مجمع بينهما ﴾ ..

(فلما بلغا) يعني موسى ويوشع عليهما السلام ..

(بينهما) بين البحرين .

(نسيا حوتهما) كان الحوت مع يوشع وهو الذي نسيه فصرف النسيان اليهما والمراد أحدهما ..

* * *

« عن سَعِيدٍ (ابن جبير) ، قال :

« إنا لَعِند ابن عباسٍ .

« فِي بَيْتِهِ إذْ قال :

« سَلونِي ..

« قلْت : ايْ أبا عباسٍ .. جعلني الله فِداءك ، بالكوفَةِ رجلٌ قاص يقال لَه نَوفٌ ، يَزعم أنه ليس بموسى بني إسرائيل ..

« أما عَمرٌو فقال لِي : قال : قَدْ كذبَ عدوُّ اللهِ ..

« وأما يَعلى فقال لي : قال ابن عباسٍ

« حدّثني أُبَيٌّ بن كعبٍ قال

« قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. موسى رسول اللهِ عليهِ السلام .. قال : ذَكرَ الناس يوماً حتى إذا فاضتِ العيون ورقتِ القلوب ولىّ فادركه رجلٌ فقال : أي رسول الله ، هل في الأرضِ احدٌ أعلم منك ؟

« قال : لَا ..

« فعتب اللهُ عليهِ ، إذ لم يردّ العلم إلى اللهِ .. »

[من حديث طويل أخرجه البخاري]

(لَعِند ابن عباس) اي قال سعيد بن جبير : أنا كنت عند عبد الله بن عباس حال كونه في بيته ..

(أي ابا عباس) أي يا ابا عباس ، وابو عباس كنية عبدالله ابن عباس ..

(بالكوفة رجل قاص) وهو الذي يقص الناس الأخبار من المواعظ وغيرها ..

★

« عن سعيد بن جبيرٍ .. قـــال :

« قلت لابن عباس : إنّ نَوْفـا البكاليّ يَزعم أنّ موسى بني إسرائيـل ليس بموسى الَخضِر ..

« فقـال : كـذبَ عَدوُّ اللهِ ..

« حدّثنا أبَيُّ بن كعْبٍ ..

« عَن رسول الله ، صلى الله عليـه وسلم .. قال :

« قام موسى خَطيباً في بني اسرائيل ..

« فقيـل له : اي النّـاسِ أعلم ؟

« قالَ : أنا .

« فعتب الله عَلَيهِ إذْ لمْ يردّ العلم اليهِ .. »

[من حديث طويل أخرخه البخاري]

اقول ..

ابن عباس هو المرجع دائما ..

انّ واعظاً بالكوفة اسمه نَوْف يزعم للنـــاس ان موسى بني اسرائيل ليس هو موسى صاحب الخِضر ؟!

ففزع سعيد بن جبير يسأل ابن عباس ..

ففصل ابن عباس في القضية .. وأعلن كذب هذا الواعظ .. وأن موسى بني إسرائيل هو موسى الخِضْر !!

بلى .. عبدُنا .. خَضِرٌ ؟!

عن ابن عباس .. أنه تمارى هو ، والحَرّ بن قيس بن حِصن الفَزاري ، في صاحب موسى ..

قال ابن عباس : هو خضِرٌ .

فمرّ بهما أُبيّ بن كعب ..

فدعاه ابن عباس ، فقال : إني تماريت أنا وصاحبي هذا ، في صاحب موسى ، الذي سأل موسى السبيل إلى لُقيّه ، هل سمعت النبي ، صلى الله عليه وسلم .. يذكرُ شأنَه ؟

قال : نعم ..

سمعتُ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول :

« بينما موسى في مَلأٍ من بني إسرائيل ..

« جاءهُ رجلٌ فقال : هل تعلمُ أَحداً أعلمَ منك ؟

« قال موسى : لا ..

« فأوحى الله إلى موسى : بَلى عبدُنا خَضرٌ ..

« فسألَ موسى السبيل اليه ..

« فجعل الله له الحوتَ آيةً ..

« وقيل له : إذا فقدتَ الحوت ، فارجعْ ، فإنك ستلقـاه ..

« وكان يَتّبع أثر الحوتِ في البحر ..

« فقال لموسى فتاهْ : أرأيت إذْ أوينا إلى الصخرةِ فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلاّ الشيطان أن أذكرَه ..

« قال : ذلك ما كُنّا نبغي ، فارتدّا على آثارهـا قصصاً ..

« فوَجدا خَضراً ..

« فكان من شأنهما الذي قصّ الله عزّ وجلّ في كتـابهِ » !!

[أخرجه البخاري]

بدائع .. روائع .. شرح الحديث ؟!

أخرجه البخاري في مواضع فوق العشرة ..

تماريت : تجادلت .

لُقِيّه : لقاءه ..

شأنه : قصته ..

في ملأٍ : في جماعة ..

من بني إسرائيل : هم أولاد يعقوب ، عليه السلام.. لأن إسرائيل هو اسم يعقوب ، وأولاده اثنا عشر نفساً ، وهم الذين سماهم الأسباط ، وسموا بذلك ، لأن كل واحد منهم والد قبيلة .. والأسباط من بني اسرائيل كالشعوب من العجم ، والقبائل من العرب ، وجميع بني إسرائيل من هؤلاء المذكورين ..

الحوت : السمكة ..

آية : علامة ..

كان يتبع أثر الحوت : أي ينتظر فقدانه ..

فتاه : أي صاحبه ، وهو يوشع بن نون ..

إذ أوينا : من أوى فلان إلى منزله ..

إلى الصخرة : الحجر الكبير ..

نبغي : نطلب

فارتدّا : رجعا على آثارهما ..

قصَصاً : من قصّ أثره ، يقص قصاً وقصصاً ، أي تتبعـــــه .

بلى عبدنا خضر : أي هو أعلم .. أي أوحى الله اليه .. لا تقل : لا .. بل عبدنا خضر .. أي قل : الأعلم عبدك خضر ..

فسال موسى : اي سال موسى ، اللهَ تعالى السبيل إلى خضر ..

أي قال : فادللني اللهم اليه ..

قوله (فقال : هل تعلم أحداً أعلم منك ، قال موسى : لا) ..

وجاء في كتاب التفسير وغيره (فسئل : أي الناس أعلم ، فقال : أنا .. فعتب الله عليه إذا لم يردّ العلم اليه) ..

وكذا جاء في مسلم .. وفيه أيضاً (بينا موسى .، صلى الله عليه وسلم .. في قومه يذكرهم أيام الله .. وأيام الله نعماؤه وبلاؤه .. إذ قال : ما أعلم في الأرض رجلاً خيراً وأعلم مني ، فـــاوحى الله اليه ، إن في الأرض رجلاً هو اعلم منك) ..

.. ويظهر لي أن موسى ، صلى الله عليه وسلم - كان من النبوة بالمكان الأرفع ، والعلم من أعظم المراتب ، فقد يعتقـــد أنه أعلم الناس بهذه المرتبة ، فإذا كان مراده بقوله أنا أعلم في اعتقادي ، لم يكن خـــبره كذباً ..

وقيل : مراد موسى ، صلى الله عليه وسلم .. بقوله (أنا أعلم) ، اي بوظائف النبوة وأمور الشريعـة وسياسة الأمر ، والخضر أعلم منه بأمور اخر ، من علوم غيبية ، كما ذكر من خبرهما .

وكان موسى ، ﷺ .. أعلم على الجملة والعموم ، ممـا لا يمكن جهل الأنبياء بشيء منه ..

والخضر أعلم على الخصوص ، مما أعلم من الغيوب ، وحوادث القدَر ، مما لا يعلم الأنبياء منه إلاّ ما اعلموا من غيبه .

لهذا قال له الخضر : إنك على علم من علم الله علمك لا أعلمه ، وانا على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه .

الا تراه لم يعرف موسى بني إسرائيل حتى عرفه بنفسه إذا لم يعرفه الله به ؟

وهذا مثل قول نبينا محمد ، صلى الله عليـه وسلم ، إني لا اعلم إلاّ ما علمني ربي .

فمعنى قوله (فعتب الله عليه) لم يرض قوله شرعاً وديناً ، وقد

عتب الله عليه إذا لم يرد رد الملائكة (لا علم لنا إلاّ ما علمتنا) ..

وقيل ، جاء هذا تنبيهاً لموسى ، ﷺ .. وتعليماً لمن بعده ، ولئلا يقتدي به غيره في تزكية نفسه والعجب بحاله فيهلك ..

وإنما أُلجِئَ موسى للخضر ، للتأديب لا للتعليم ..

(فجعل الله له الحوت آية) اي علامة لمكان الخضر ولقائه .

وذلك انه لما قال موسى : اين اطلبه ؟ قال الله له : على الساحل عند الصخرة .. قال : يا رب كيف لي به ؟ قال : تأخذ حوتاً في مكتل فحيث فقدته فهو هناك ..

فقيل : أخذ سمكة مملوحة .. قال لفتاه : إذا فقدت الحوت فاخبرني ..

وكان يمشي ، ويتبع أثر الحوت ، اي ينتظر فقدانه .

فرقد موسى ، صلى الله عليه وسلم .. فاضطرب الحوت ، ووقع في البحر ..

قيل : ان يوشع حمل الخبز والحوت في المكتل ، فنزلا ليلة على شاطىء عين ، تسمى (عين الحياة) ، فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ..

قوله (نسيت الحوت) : اي نسيت تفقد أمره ، وما يكون منه ، مما جعل امارة على الظفر بالطلبة من لقاء الخضر ، عليه

السلام ..

قوله (فارتدا) : اي رجعا على آثارهما ، يقصان قصصاً ، اي يتبعان آثارهما اتباعاً ..

قوله (من شانهما) اي شان الخضر وموسى ، عليهما السلام ، والذي قص الله تعالى في كتابه ، إشارة إلى قوله تعالى ﴿ هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً ﴾ إلى قوله ﴿ ويسالونك عن ذي القرنين ﴾ !.

رواية اخرى للبخاري

حدّثنا أبيّ بن كعب ..

عن النبيّ ، ﷺ ، قال :

« قام موسى النبيّ خطيباً في بني إسرائيلَ ..

« فسُئل : أيّ الناسِ أعلم ؟

« فقال : أنا أعلم ..

« فعتب الله عليه إذْ لم يردَّ العلمَ اليه ..

« فاوحى الله اليهِ ..

• أنّ عبداً من عبـــادي بمجمعِ البحرينِ هو أعلم منك ..

• قال : يا ربّ وكيف لي بهِ ؟

• فقيل له : احملْ حوتاً في مِكتَل فإذا فقـدْته فهو ثَمّ ..

• فانطلقَ وانطلقَ بفتاهُ يُوشع بن نُونٍ وحمَلا حوتـــاً في مكتـلٍ ..

• حتى كانا عند الصخرةِ وضعَا رؤوسهما وناما ..

• فانسلّ الحوت من المِكتَلِ .

• فاتخذَ سبيلهُ في البحرِ سَرَباً ..

• وكان لموسى وفتاهُ عَجَباً ..

• فانطلقا بقيّةَ ليلتهما ويومِهما ..

• فلمّا أصبح قال موسى لفتاهُ : آتنا غداءنا لقد لقينـــا مِن سفَرِنا هذا نصباً ..

• ولم يَجِدْ موسى مسّاً من النّصَب حتى جاوز المكانَ الذي أُمِر به ..

• فقال له فتاه أرأيت إذ أوَينا إلى الصخرةِ فــإني نسيت الحـوت .

• قال موسى ذلك ما كنّا نبغي فارتدّا على آثارهما قَصَصاً ..

« فلمّا انتهيا إلى الصخرةِ إذا رجلٌ مسجّى بثوبٍ ..

« او قال : تسجّى بثوبه ..

« فسلّم موسى ..

« فقال الخضِر وأنى بارِضك السلامْ ؟!

« فقال : أنا موسى ..

« فقال : موسى بني إسرائيل ؟

« قال : نعم ..

« قال : هل أتّبعك على ان تعلمني مما علّمت رشداً ؟

« قال : إنك لن تستطيع معي صبراً ..

« يا موسى .. إني على علم مِن علمِ اللهِ علّمنيـــهِ .. لا تعلمه انتَ ..

« وأنت على علمٍ علمكَه .. لا اعلمه ..

« قـال : ستجدُني إن شاء اللهُ صابراً ، ولا أعصى لك أمراً ..

« فانطلقا يمشيانِ على ساحـــل البحر ، ليس لهما سفينةٌ ..

« فمرّتْ بهما سفينةٌ ، فكلموهمْ أن يحملوهما ..

« فعُرفَ الخضِرُ ، فحملوهما بغير نَوْل .

« فجاء عُصفورٌ ، فوقعَ على حرْف السفينة ..

« فنقرَ نقرةً أو نقرتين في البحر ..

« فقال الخضرُ : يا موسى ، ما نقصَ علمي وعلمُك من علم الله ، إلاّ كنقْرةِ هذا العصفور في البحر ..

« فعمدَ الخضر إلى لوْحٍ من ألواحِ السفينةِ فنزعه ..

« فقال موسى : قومٌ حملونا بغير نوْلٍ عمدْتَ إلى سفينتهم فخرقْتها لتغرقَ اهلها ؟

« قال : ألمْ أقلْ إنكَ لن تستطيع معي صبراً ؟

« قال : لا تؤاخذْني بما نسيت ..

« فكانتِ الأولى من موسى نِسْياناً .

« فانطلقا ، فإذا غلامٌ يلعب مع الغلمان .

« فاخذ الخضر برأسه مِن اعلاه ، فاقتلع رأسه بيدهِ ..

« فقال موسى : أقتلت نفْساً زكيّةً بغيرِ نفسٍ ؟!

« قال : ألم اقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ؟

« قال ابن عُيينةَ وهذا اوكد ..

« فانطلقا .. حتى إذا أتيا اهل قريةٍ استطْعما اهلها فأبَوْا ان يضيّفوهما ، فوجدا فيها جداراً يريد ان ينقضّ فاقامَهُ ..

« قال الخضر بيدِهِ فـاقامَه ..

« فقال له موسى : لَوْ شئْتَ لاتخذْتَ عليهِ أجراً .

« قال هذا فراق بيني وبينكَ ..

« قال النبيّ .. ﷺ يَرحمُ الله موسى ، لوَدِدْنا لو صبر حتى يقصّ علينا من امرهمـا .. »

[اخرجـه البخاري]

بدائـع .. تفسير .. الحديث ؟!

(في مِكتل) وهو القفة ..

(فانسلّ الحوت) في رفق وخفّة ..

(سرَباً) اي ذهاباً .. يقال سرب سرباً في المـاء ، إذا ذهب فيه ذهاباً ..

وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق ، معجزة لموسى او للخضر ، عليهما الصلاة والسلام .. فجعـل الماء لا يلتئم حتى صار كالكوة .. والكوة الثقب في البيت .

(نصباً) تعباً ..

(فارتدا) رجعا ..

(مسجّى) مغطى كله ، كذا جاء في البخــاري .. قد جعل طرفه تحت رجله ، وطرفه تحت رأسه ، فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه ..

(بغير نَول) بغير أجر ..

(فعمد) من عمدت للشيء ، قصدت له .

(زكية) طاهرة لم تـذنب ..

(قال الخضر بيده) اشار اليه بيده فاقامه .

(فهو ثَمّ) فهو هنــاك ..

(لوددنا) والله لوددنا صبر موسى ، اي لأنه لو صبر لأبصر اعجب الأعاجيب .

(فسئل : اي الناس اعلم ؟ قال : أنا أعلم) .. وفيما تقدم : هل تعلم أحداً أعلم منك ؟ قال : لا .. وفي مسلم : ما أعلم في الأرض رجلا خيراً مني .. فاوحى الله اليه : إني أعلم بالخير عند من هو .. ان في الأرض رجلاً هو أعلم منك ..

ولعل موسى ، عليه السلام .. لو قــال : انا والله اعلم .

لكان جواباً ، وإنما وقعت المؤاخذة على الاقتصار على قوله (انـا اعلم) ..

وكان موسى أعلم على العموم ، والخضر اعلم منه على الخصوص .

(فعتَب الله عليه) لم يرض قوله شرعاً وديناً ..

(حتى كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما فناما) ، وفي طريق للبخاري : وفي أصل الصخرة عين يقال لها « الحياة » لا يصيب من مائها شيء إلاّ حيي . فاصاب الحوت من ماء تلك العين ، فتحرك وانسل من المكتل ، فدخل البحر ..

وفي بعضها .. فقال فتاه : لا اوقظه ، حتى إذا استيقظ نسي ان يخبره ..

(فاتخذ سبيله في البحر سرباً) قال ابن عباس ، رضي الله عنهما أحيى الله الحوت فاتخذ سبيله في البحر سرباً ..

وجاء : فجعل لا يلتئم عليه الماء حتى صار كالكوة .

والضمير في (اتخذ) يجوز أن يكون للحوت كما هو الظاهر ..

ويجوز أن يكون لموسى ، على معنى : فاتخذ موسى سبيل الحوت في البحر سرباً ، اي : مذهباً ومسلكاً .. كما ياتي انهما اتبعا أثر الحوت وقد يبس الماء في ممره فصار طريقاً . لكن ما جاء في الحديث يضعفه وهو قوله (فكان للحوت سرباً ولموسى عجباً) ..

(ذلك) اي فقدان الحوت هو الذي كنا نبغيه ، اي نطلبه لأنه علامة وجـدان المقصود ..

(فارتدا على آثارهما قصصاً) اي يقصان قصصاً ، يعني رجعـا يقصان آثارهما حتى أتيا الصخرة ، فاراه مكان الحوت فقال : ههنا وصف لي ..

ويروى أن موسى ويوشع اتبعا اثر الحوت وقد يبس المـــاء في ممره ، فصار طريقاً ، فأتيا جزيرة .. فوجدا الخضر قـائماً يصلي على طنفسة خضراء ، على كبد البحر ، اي وسطه .

(إنك لن تستطيع معي صبراً) سترى شيئاً ظاهره منكر فـلا تصبر عليه ..

(ما نقص علمي وعلمك) معنـاه ان علمي وعلمك بالنسبة إلى علم الله تعالى ، كنسبة ما نقر العصفور إلى ماء البحر ، وهـذا على التقريب إلى الأفهام ، وإلاّ فنسبة علمهما اقل .

وجاء في البخاري (ما علمي وعلمك في جنب عـلم الله تعالى إلاّ كما اخذ هذا العصفور) ..

(فعمد الخضر إلى لوح من الواح السفينة) .. قـال المفسرون : قلع لوحين مما يلي المـاء ..

وفي البخاري

فوتد فيها وتداً ، وفيه .. فعمد إلى قدوم فخرق به ..

ويقال اخذ فاساً فخرق لوحاً ، حتى دخلها الماء ، فحشاهـــا موسى بثوبه .

وقال ابن عباس لمـــا خرق الخضر السفينة ، فنحى موسى .. عليه الصلاة والسلام ، بناحية ، ثم قال في نفسه : مـــا كنت أصنع بمصاحبة هذا الرجل ، كنت اتلو في بني إسرائيل كتـاب الله غدوة وعشية ، وآمرهم فيطيعوني ؟

فقال له الخضر يا موسي ، اتريد ان اخبرك بمـــا حدثت به نفسك ؟

قال نعم ..

قال قلت كذا وكذا ؟

قال : صدقت .

ثم انطلقا يمشيان فإذا غلام يلعب مع الغلمان .. وكانوا عشرة ، وهو أظرفهم وأوضؤهم ..

قال ابن عباس : كان غلاماً لم يبلغ الحنث .

واختلفوا في اسمه .. فقال الضحاك : جَيْسون .. وقال شعبة :

جيسور ..

فاخذه الخضر برأسه من اعلاه فاقتلعه ، كذا في البخاري ..

وجاء فيه .. في بدء الخلق .. فاخذ الخضر برأسه فقطعه بيده هكذا .. ـ وأوما سفيان باطراف أصابعه كأنه يقطف شيئاً ..

فإن قلت : في اين كان قضية قتل الغلام ؟

قلت : أيْلاء .. مدينة كانت على ساحل البحر الأحمر ، على طريق حجاج مصر ..

(حتى إذا أتيا اهل قرية) كانوا من اهل قرية لئام ، فوافياها بعد غروب الشمس ، فاستطعما أهلها ، واستضافاهم .. فأبوا ان يضيفوهما ، ولم يجدا في تلك الليلة في تلك القرية قِرى ولا مأوى ، وكانت ليلة باردة .. فالتجآ إلى حائط على شاطىء الطريق ، يريد أن ينقض ، اي يكاد ان يسقط .. وفي البخاري : مائل ، وكان اهل القرية يمرون تحته على خوف .

(قال الخضر بيده فاقامه) معناه أشار بيده فأقامه ، وفي رواية قال (فمسحه بيده) .. وذكر الثعلبي إن سمك الجدار مائتا ذراع بذراع تلك القرى ، وطوله على وجه الأرض خمسمائة ذراع .. وعرضه خمسون ذراعاً ..

قيل أنه مسحه فاستوى ..

فقال له موسى : لو شئت لاتخذت عليه اجراً : فيكون لنا قوتاً وبلغة على سفرنا ، إذ استضفناهم فلم يضيفونا ..

فقال الخضر : هذا فراق بيني وبينك !!

من ..

لطائف ..

ابن عباس ؟!

ننتقل

من سورة الكهف ، وثباً ، إلى سورة النور .. لننظر ماذا أثبت البخاري عن ابن عباس ..

فنجد امامنا هذا المشهد الخالد بين ام المؤمنين ، وابن عم رسول الله .. صلى الله عليه وسلم !!

انت بخير !؟

« حدّثني ابنُ أبي مُلَيْكَة ، قال :

« استأذَن ابنُ عباسٍ ، قبْل مَوتِها ، عَلى عائشةَ .. وهي مغلوبةٌ ..

« قالت : اخشى أنّ يُثْني عَليّ ..

« فقيلَ ابنُ عَمِّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ..

« ومِنْ وُجوه المسلمينَ ..

« قالتْ : أئذَنوا لهُ ..

« فقال : كيف تجدينك ؟

« قالت : بخيرٍ إن اتقيتُ الله ..

« قال : فأنت بخير إنْ شاءَ اللهُ ..

« زوْجةُ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ..

« ولَمْ يَنكِحْ بِكْراً غيرك ..

« ونزَلَ عُذرُك مِن السّماء ..

« ودَخل ابنُ الزُّبير خلافهُ .

« فقالتْ : دَخل ابن عباسٍ ، فأثنى عَليَّ ، ووَددْتُ أني كنتُ نِسْياً مَنسياً . »

[أخرجه البخاري]

(وهي مغلوبة) اي مغلوبـــة من كرب الموت ..

(فقيل ابن عم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ..)

أي هو ابن عم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. وإنما قال ذلك لأنه فهم منها أنها تمنعه ، فدخل عليها هذا القائل في الاذن له بالدخول ، وذكرها منزلته .. وهذا القـــائل هو عبدالله بن عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق ، رضي الله تعـالى عنهم ، والذي استأذن هو ذكوان مولى عائشة ..

(كيف تجدينك) الخطاب لعائشة ، اي كيف تجدين نفسك ..

(إن اتقَيتُ) اي كنت من اهل التقوى ..

(ونزل عذرك من السماء) أشار بـــه إلى قصة الإفك ..

(خلافه) اي ودخل عبدالله بن الزبير على عـائشة ، بعده متخالفين ذهاباً وإياباً ، اي وافق رجوعه مجيئه .

(نسياً منسياً) معناه ليتني لم اك شيئاً .

★

اقول :

واضح تمام الوضوح من سياق الحديث، مكانة ابن عباس ..

انظر : ابنُ عَمّ رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

ومن وجوه المسلمين ؟!

ومَن القائل ؟! عبد الله .. بن عبد الرحمن .. بن أبي بكر ؟!

ثم انظر إلى عظمة عائشة ..

أخشى أن 'يثني عليّ ؟!

تواضع عجيب .. وسمو رفيع !!

فلمّا اثني عليها ابن عباس ..

قالت . دخل ابن عبـــاسٍ فأثنى عليّ .. ووددتُ اني كنت نِسْيا مَنسيًا ؟!

ما هذا ؟! هذه مقامات مَن قال الله فيهنّ :

﴿ يَا نِساءَ النَّـبيِّ ..

﴿ لسْتنّ كأَحدٍ مِنَ النساء ..

﴿ إنِ اتقَيْتنّ .. ﴾ !!

*

ابن عباس.. يُفتي في اخطر قضية؟!

عن سَعيد بنْ جبيرٍ ، قال :

« قال ابنْ أبزي . سُئلَ ابنْ عباسٍ ، عَن قوله تعالى

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤمِناً مُتعَمّداً فجزَاؤهُ جَهَنَّمُ ﴾ ..

وقوله ﴿ وَلا يَقْتلونَ النَّفْسَ التي حَرّمَ اللهُ إلا بالحَقّ ﴾

حتى بلغ ﴿ إلاّ مَنْ تابَ وَآمَنَ ﴾ فسألتُه ..

« فقال . لما نزَلتْ قال اهلُ مَكّة فقَد عَدلنا بالله وقتلنا النَّفْسَ التي حَرّمَ اللهُ إلا بالحقّ وأتينا الفواحِشَ ، فأنزلَ اللهُ

﴿ إلاّ مَنْ تابَ وآمَنَ وعَمِلَ عمَلا صَالحاً ﴾ ..

إلى قوله ﴿ غَفُورا رَحِيماً ﴾ . »

[أخرجه البخاري]

(عدلنا) اي اشركنا به وجعلنا له مثلا ..

عن سعيد بن جُبَيرٍ ، قال .

« سألتُ ابنَ عباسٍ ، رضي الله عنهما ، عن قوله تعالى

﴿ فجزاؤه جهنم ﴾ ..

« قال . لا تَوبَةَ لهُ ..

« وعن قوله جَلّ ذكرُهُ

﴿ لا يدعون مع الله إلهاً آخر .. ﴾

« قال . كانتْ هذه في الجاهليّة . »

[اخرجه البخاري]

قوله (في الجاهلية) يعني في حق اهل الشرك من أهل مكة ..

(واما الآية الأخرى ففي حق الرجل الذي عرف الاسلام ثم قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم لا توبة له .

(وهذا مشهور عن ابن عباس .

(وقد حمل جمهور السلف ، وجميع اهل السنة ما ورد من ذلك على التغليظ والتهديد ، وصححوا توبة القاتل كغيره .)

*

اقول ..

الذي يعنينا هنا هو تمكن ابن عباس من الفتوى .. وسرعة بداهته .. وما آتاه الله من فَصْل الخطاب ..

انظر :

سألت ابن عباس عن قوله

﴿ فجزاؤه جهنّم ﴾ ..

قال : لا توبة له !!

لا توبة له ؟!!

جملة قصيرة سريعة فاصلة في أخطر قضية ، هل لمن قتل مؤمناً متعمداً توبة ؟!

لا توبة له ؟!!

لقد أوتي ابن عباس فصل الخطاب !!

وأخرى يستفتونه فيها ..

وعن قوله ..

﴿ لا يدعون مع الله إلهاً آخر ﴾ ..

الجواب .. كانت هذه في الجاهلية ..

هكذا فصل الخطاب !!

لا ثرثرة .. لا سخافات من فصول المقال .

ولكن فصل الخطاب !!

من روائع ...

ابن عباس ...

في التفسير !؟

لو

تتبعنا ما سجّله البخاري في صحيحه عن ابن عبّاس في تفسير القرآن ، لضاقت صفحات هذا الكتاب عن احصائها ..

ولكن نختتم هذا الأمر بمختارات قليلة ، من روائع بدائع ابن عباس في تفسير الآيات ، ومختارات معدودة من الفتاوى الخالدة !!

هل في سورة صَ سجدة ؟!

« حدثنا شُعْبةُ عن العوّام ، قال :

« سالتُ مُجاهداً عن السجْدةِ في صَ ..

« قال : سُئلَ ابن عباسِ فقال : أولئكَ الذينَ هَدىَ الله

فبهُداهمُ اقتَدهْ ..

« وكان ابن عباسٍ يَسجد فِيها . »

[أخرجه البخاري]

باب قولهُ تعالى ﴿ يا عِبادِي الذينَ أسرَفوا على انفُسهمْ لا تَقنطُوا من رحمةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغفرُ الذُّنوبُ جَميعاً انهُ هو الغفورُ الرَّحيمُ ﴾

« عن ابن عباسٍ . رضي الله عنهما ، أنَّ ناساً مِنْ اهل الشّرك كانوا قد قتّلوا واكثروا وَزنوْا واكثرُوا ..

« فأتوا مُحمداً . ﷺ .. فقالوا : إنّ الذي تقول وتدْعو اليه لحَسَنٌ .. لو تُخبرُنا أنّ لِما عَملْنا كفّارةَ ..

« فـنزل

﴿ وَالذينَ لا يَدْعونَ مَعَ اللهِ إلهاً آخرَ ولا يَقتُلونَ النّفْسَ التي حَرّمَ اللهُ إلا بالحَقّ ولا يَزْنونَ ﴾ ..

« ونزَل

(قُلْ يا عبادِيَ الذينَ اسْرَفُوا على انفُسِهِمْ لا تَقْنطوا مِن رَحْمَةِ اللهِ إنّ اللهَ يَغْفِرُ الذُنوبَ جَمِيعاً) .. »

[أخرجه البخـاري]

(اخرج الطبراني – من وجه آخر – عن ابن عباس .. أن السائل عن ذلك هو وحشيّ بن حرب .)

عبقرية ابن عباس .. في الردّ على الأسئلة ؟!

عن سعيد[1] قـــال :

« قال رجلٌ لابن عباسٍ :

« إنِّي أجدُ في القرآنِ أشياء تختلفُ عَليّ ؟!

« قال : ﴿فَلا أنسَاب بَينهُم يَومَئذٍ ولا يَتساءلون﴾ .. ﴿واقبل

(١) هو سعيد بن جبير .

بعضهم على بعضٍ يَتساءلون ؟!

﴿ ولا يَكْتمون اللهَ حديثاً﴾ .. ﴿ واللهِ ربّنا ما كنّا مشركين ﴾ فقد كتموا في هذهِ الآية ؟!

• وقال : ﴿أم السماءُ بَنَاها .. إلى قولهِ دَحاها ﴾ .. فذكر خَلْق السماء قبل خلْق الارض ؟!

• ثمّ قال . ﴿ أئنكمْ لتَكْفرون بالذي خلَق الأرض في يومين إلى طائِعين ﴾ .. فذكر في هذهِ خلْق الأرْضِ قبل السماء ؟!

• وقال تعالى . ﴿ وكان اللهُ غفُوراً رحيماً .. عزيزاً حكيماً .. سميعاً بصيراً ﴾ فكأنهُ كان ثمّ مضى ؟!

• فقال . فلاَ أنساب بيْنَهمْ في النفخـــةِ الأولى .. ثم ينْفَخ في الصُّورِ فصعق من في السماواتِ ومن في الأرضِ إلا من شاء اللهُ .. فلا أنساب بينَهم عند ذلك ولا يتساءلون .. ثمّ في النفخةِ الآخرة أقبلَ بعضهم على بعضٍ يتساءُلون ..

• وأمّا قولهُ ﴿ ما كُنّا مشركين ﴾..﴿ولا يكْتمون الله حديثاً ﴾ فإنَ الله يغفر لأهل الاخلاص ذنوبَهم .. وقال المشركون تعـالَوا نقول لَمْ نَكنْ مشركين .. فختمَ على أفواهِهم فتنطق ايديهم .. فعند ذلك عرف أنّ اللهَ لا يكْتم حديثـاً .. وعندَه يودُّ الذين كفَروا الاية ..

« وَخلق الأرض في يومين ثمّ خلَق السماءَ .. ثمّ استوَى إلى السماءِ فسوّاهنّ في يوَمين آخرَين .. ثمّ دَحا الأرض ودَحوهـا أنْ أخرَج مِنها الماء والمرعى وَخلَق الجبال والجمـال والآكام وما بَينهما في يوَمين آخرَين .. فذلِك قولهُ دحـاها .. وقوله خلق الأرض في يَومين .. فجُعلت الأرض وما فِيهـا من شيء في أربعة أيامٍ .. وخلِقت السماواتُ في يوَمين ..

« وكان الله غفـوراً ، سمى نفْسه بذلكَ ، وذلِك قوله .. أي لَم يَزل كذلك .. فإنّ الله لم يُرد شيئاً إلاّ اصاب بهِ الذي أراد ..

« فلا يختلف عليك القُرآن ، فإنّ كلاّ مِن عِندِ الله . »

[أخرجه البخاري]

(قال رجل) الظاهر انه نافع بن الأزرق الذي صار بعـد ذلك رأس الازارقة من الخوارج ، وكان يجالس ابن عباس بمكة ، ويسأله ويعارضه ، وحاصل سؤاله في اربعة مواضع ..

(يختلف عليّ) اي يشكل ويضطرب عليّ ، إذ بين ظواهرها تناف وتدافع ، أو تفيد شيئاً لا يصح عقلاً ..

(الأول من الأسئلة قـال : فلا أنساب بينهم ، إلى قوله ولا

يتساءلون .. فإن بين قوله ولا يتساءلون ، وبين قوله يتساءلون تدافعاً ظاهراً ..

(الثاني : قوله ولا يكتمون الله حديثاً فإن بينه وبين قوله ما كنا مشركين تدافعاً ظاهراً .. لأنه علم من الأول انهم لا يكتمون الله حديثاً ، ومن الثاني انهم يكتمون كونهم مشركين ..

(الثالث : قوله أم السماء بناها ، إلى قوله قبل خلق السماء ، فإن في الآيتين تدافعاً ، لأن في احداهما خلق السماء قبل الأرض وفي الأخرى بالعكس ..

(الرابع : قوله وكان الله غفوراً رحيماً ، إلى قوله ثم مضى ، فان قوله وكان الله غفوراً رحيماً ، سميعاً بصيراً ، يدل على أنه كان موصوفاً بهذه الصفات في الزمان الماضي ، ثم تغير عن ذلك .. وهو معنى قوله فكأنه كان ثم مضى ..

(فقال فلا أنساب ، إلى قوله ولا يتساءلون) جواب عن سؤال الأول .. أي قال فقال ابن عباس .. رضي الله تعالى عنهما في الجواب ما ملخصه ..

(وأما قوله ما كنا مشركين ، إلى قوله يود الذين كفروا) فهو جواب عن السؤال الثاني .. وملخصه ان الكتمان قبل انطاق الجوارح ، وعدمه بعده ..

(قوله فعند ذلك) اي عند نطق أيديهم .

(وعنده يَوَدّ الذين كفروا) اي وعند علمهم إن الله لا يُكتم حديثاً يود الذين كفروا ..

(قوله وخلق الأرض في يومين) إلى قوله وخلق السماوات في يومين .. جواب عن السؤال الثـــالث ، ملخصه أن خلق نفس الأرض قبل السماء ، ودحوها بعده ..

(قوله وكان الله غفوراً رحيمـــا) الخ جواب عن السؤال الرابع .. وملخصه انه سمى نفسه بكونه غفوراً رحيمـاً ، وهذه التسمية مضت لأن التعلق انقطع ، وأما معنى الغفورية والرحيمية فلا يزال كذلك لا ينقطع .. وإن الله إذا أراد المغفرة او الرحمـة او غيرهما من الأشياء في الحال او الاستقبـــال فلا بد من وقوع مراده قطعاً ..

(فلا يختلفْ) اي قال ابن عَباس السائل المذكور لا يختلف عليك القرآن ، فانه من عند الله .. ولو كان من عند غـير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .)

★

اقول :

ماذا أقول في هذا المقام ؟!

لا ينبغي أن أتقدم بين يَدَيْ ابن عبـــاس . ولا بين يَدَيْ الامام العيني شرحاً على الحديث !!

اربعة اسئلة ..

كل سؤال منها لا يستطيع الاجابة عليه إلا ابن عباس !!

لقد فزع الرجل إلى ابن عباس : إني أجد في القرآن اشيـــاء تختلف عليّ ؟!

وقصّ الرجل على حَبر الأمة مسائله ..

وتلقّاها ابن عباس ..

وأجابه عليها سؤالا سؤالا .. في إحاطة وشمول وإحكام ..

ثم كان مِسْكُ الختام .. نصيحة غالية أهداها إلى السائل :

فلا يختلف عليك القرآن ..

فانه كُلاًّ مِنْ عندِ الله !!

أقول : هل يستطاع هذا الأفُق الأعلى إلاّ لابن عباس ؟!

الاّ المودّة في القربى ؟!

« عن ابن عباس .. رضي الله عنهما .. أنه سُئلَ عن قولهِ ﴿ إلاّ المودّةَ في القربى ﴾ ..

« فقال سعيد بن جُبيرٍ :

« قُربى آل محمدٍ .. صلى الله عليه وسلم .

« فقال ابن عباسٍ : عَجِلْتَ !

« إنّ النبي ، صلى الله عليه وسلم .. لم يَكن بَطْنٌ من قريش إلاّ كان له فيهمْ قرابةٌ ..

« فقال : إلاّ أن تَصلوا ما بيني وبَينَكم مِن القَرابَةِ . »

[أخرجه البخاري]

(وحاصل كلام ابن عباسٍ .. ان جميع قريش اقارب النبي ، ﷺ .. وليس المراد من الآية بنو هاشم ونحوهم كما يتبادر الذهن إلى قول سعيد بن جبير .)

اقول :

نلتقط من الحديث ان ابن عباس أفُقُ اعلى من أفُق سعيد ابن جُبير ..

أراد سعيد أن يُضيِّق الأمر ..

وذهب ابن عباس إلى الأفُق العام .. انَّ قريشا كلها قُرْبى للنبيّ صلى الله عليه وسلم ..

وفي ذلك دلالة على ان ابن عباس مؤهل ليكون إماماً عالمياً ..

آتاه الله النظرة الأعلى .. من الافُق الاعلى !!

قُلتُ لابنِ عباس ؟!

« عن سعيدِ بن جُبيرٍ .. قال :

« قلت لابن عباس : سورة التَّوبَة ؟

« قال : التوبة هِي الفاضِحة .. ما زالت تنزل ومِنهم ومنهم حتى ظنُّوا انها لم تُبقِ احداً مِنْهم إلا ذُكرَ فيها ..

« قال : قُلْت : سورَةُ الأنفال ؟

« قال : نَزَلَتْ في بَدرٍ ..

« قال : قُلت : سورة الحشْرِ ..

« قال : نَزلتْ في بَني النّضر . »

[أخرجه البخاري]

(هي الفاضحة) لأنها تفضح الناس ، حيث تبين معـائبهم ..

(ما زالت) اي سورة التوبة تنزل ..

(ومنهم ومنهم) واشار بــه إلى قوله : ومنهم الذين يؤذون النبيّ ، ومنهم مَن يلمزك في الصدقـات ، ومنهم من يقول ائذن لي .. ومنهم من عاهد الله ..

(في بني النضير) قبيلة اليهود ..

* * *

اقول .

بالتأمل في هذا الحديث .. تلمس تمكننا تاما في تأويل الآيات ..

واسباب النزول .. واسماء السُّوَر ..

إنه حقاً تُرجمان القرآن !!

ابن عباس .. يشهد صلاة الفطر ..
مع رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ؟!

• عن ابن عباسٍ .. رضي الله عنهما قال :

• شَهِدْتُ الصلاةَ يومَ الفِطْر ، مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ..

• وأبي بكْرٍ ..

• وعمرَ ..

• وعثمان ، رضي الله عنهم ..

• فكلهمْ يصلِّيها قبلَ الخطْبَةِ ..

« ثمَّ يَخطُب بَعدُ ..

« فنزلَ نَبيُّ الله ، ﷺ ..

« فكأني أنظرُ اليهِ حينَ يُجلِّسُ الرجالَ بِيَدِهِ ..

« ثمَّ اقبل يَشقُّهُم حتى أتى النساءَ مع بِلالٍ ..

« فقال

﴿ يَا ايها النبيُّ إذَا جاءَكَ المؤمناتُ يُبايِعْنَكَ على أن لا يُشركْنَ باللهِ شيئاً ولا يَسرِقنَ ولا يَزْنِينَ ولا يَقتُلْنَ اولادهن ولا يَأتينَ ببُهتَانٍ يَفترينَهُ بين ايديهِنّ وارجُلِهِنّ ﴾ ..

« حتى فَرَغَ من الآية كلها .

« ثم قال حين فرغ : أنتنَّ على ذلك ؟

« وقالتِ امرأةٌ واحدةٌ لَمْ يُجبْهُ غيرُها : نعمْ يا رسول اللهِ .

« لا يَدْري الحسَن مَن هِيَ ؟

« قال : فَتَصدّقنَ ..

« وبَسطَ بلالٌ ثوبَه .. فجعلْن يُلقِينَ الفتَخَ والخواتيم في ثوب بلالٍ . »

[أخرجه البخاري]

(الفتحَ) الخواتيم العظام .

* * *

اقول :

نستنبط من هذا الحديث أن ابن عباس كان غلاماً عبقرياً .. وشاباً عبقرياً .. ثم رجلا عبقرياً ..

فقد كان غلاماً لم يبلغ الثالثة عشرة بعد حين شهد صلاة الفطر مع رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

ومع هذا هو يصفها وصفاً بليغاً رائعاً « فكأني انظر اليه حين يجَلّسُ الرجال » !!

المنظر لم يغب عن عينيه ..

ثم هو شهدها مع أبي بكر ، اي في خلافته ..

وشهدها في خلافة عمر ..

وشهدها في خلافة عثمان ..

فكلّهم يصليها قبل الخطبة ؟!

يتلألأ هنا ابن عباس المجتهد الفقيه .. ما دام رسول الله ﷺ .. وخلفاؤه الثلاثة داوموا على ذلك .. إذن فالحكم أن صلاة عيد الفطر تكون قبل الخطبة !!

في حديث واحد .. يتلألأ ابن عباس المجتهد .. وابن عباس الفقيه .. وابن عباس المحدّث .. وابن عباس العبقري بعد ذلك !!

ابن عباس .. يسأل عُمر :

مَنِ المرأتان ؟!

« سمعتُ ابن عباس ، يقول :

« أرَدْتُ أنْ أسالَ عُمرَ عَن المَرأتينِ اللتَينِ تظــاهرَتا على رسول اللهِ ، صلى الله عليه وسلم ..

« فمَكَثْتُ سَنةً ، فَلمْ أجِدْ لهُ مَوْضعاً ..

« حتى خَرَجتْ معهُ حــاجاً ..

« فلمّا كُنّا بظَهْرَان ذَهبَ عُمر لحاَجتهِ .

« فقال : أدْركني بالوَضوءِ ..

« فادْركتُه بالادَاوَةِ ، فجعلْت أسكُب عليهِ الماء ..

« ورأيتُ مَوْضِعاً .

« فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين مَن المرأتان اللتان تظاهرَتا ؟

« قــال ابن عباس :

« فما أتمَمْتُ كلامي حتى قال : عائشة وحفصةُ . »

[أخرجه البخاري]

(بظهران) بقعة بين مكة والمدينـــة ..

(بالوضوء) وهو الماء الذي يتوضؤ بـه ..

(بالإداوة) وهي المطهرة .

*

اقول ..

ها هنا مفتاح من مفاتيح شخصية ابن عباس ..

مكث سنة يحبس السؤال في صدره حتى يجد مناسبة يستطيع فيها سؤال امير المؤمنين !!

يقول في رواية اخرى للبخاري :

« مكثتُ سنة اريدُ ان اسألَ عُمرَ بن الخطاب عن آيةٍ فما استطيعَ ان أسألهُ هيبةً له .. » !!

انظر . مشغول سنة بأكملها بسؤال يتعلق بـآية من آيات كتاب الله !!

إنه يريد أن يعلم علم اليقين مِن عملاق الحق والحقيقة ، الفاروق عمر بن الخطاب ..

« يا أميرَ المؤمنينَ ..

« مَن اللتان تظاهَرتا على النبيّ .. صلى الله عليه وسلم .. مِنْ أزواجِهِ » ؟!!

عقلية عالم .. عميق العِلم ..

مشغول بأمر لا يلتفت اليه اكثر الشباب الذين هم في مثل سنّه ..

ولكن ابن عباس .. موهوب ، ومؤهل .. ليكون اعظم علماء التأويل ..

فما له لا ينشغل بتفسير آية ..

وكيف لا يشغله ذلك سنة بأكملها ؟!

ولو لم يظفر بعمَر ، في طريقه إلى مكة ، لمكث سنين ينتظر هـذه الفرصة مِن عُمر !!

﴿ لا تُحرِّكْ بِهِ لِسانكَ ؟!﴾

« عن ابن عباس ..

« في قوله

﴿ لا تُحرِّكْ بهِ لسَانكَ لِتَعجَل بهِ ﴾ ..

« قال : كانَ رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم . إذا نَزَل جبريلُ عليــــه بالوحي ..

« وكان مِما يُحرِّكُ بهِ لسانَه وشفتيهِ ، فيشتَدُّ عليْه ، وكان يعرَفُ مِنه .

« فانزَل اللهُ الآيةَ التي في لا أقسِمُ بيَوْمِ القيامَة ..

﴿ لا تُحرِّكْ بهِ لسَانَكَ لتَعْجَلَ بهِ . إنَّ علَيْنــــا جمْعَهُ وقُرْآنَهُ ﴾ ..

« قال : علينا أن نجمَعهُ في صدرِكَ ..

﴿ وَقُرْآنَهُ فإذا قَرَأْنَاهُ فاتَّبِعْ قُرآنَهُ ﴾ ، فـــاذا أنزلناه فاستَمِعْ ..

﴿ ثم إنَّ عَلينا بَيانَهُ ﴾ ، علينا أن نُبيِّنَه بِلسانِك ..

« قال : فكانَ إذا أتاهُ جبريل أطرقَ .

« فاذا ذَهبَ قَرأَهُ ، كما وَعدهُ الله تعـــالى . »

[أخرجه البخاري]

(فاذا قرأناه) اي فـــاذا قرأه عليك الَملَك ..

(أطرق) يقال اطرق الرجل إذا سكت ، واطرق اي ارخى عينيه ينظر إلى الأرض ..

* * *

اقول :

هذا هو ابن عباس .. حَبر الامة .. يُفَصّل لنـــا تفصيلا دقيقا امرا من أهم أمور نزول الآيات القرآنية .. على رسول الله .. صلى الله عليه وسلم !!

إن ابن عباس مؤهل لتلك الرسالة ..

مؤهل ان يكون ترجمان القرآن !!

فَصل الخطاب ؟!

« وسُئلَ ابنَ عباسٍ .. عن قولْهِ ..

﴿ هَذا يومْ لا يَنطِقونَ ..

﴿ واللهِ ربنا ما كُنا مُشركينَ ..

﴿ اليومْ نختمْ على أفوَاهِهم ﴾ ..

« فقالَ : إنهْ ذو ألوان

« مَرّةً يَنطقونَ ..

« ومرْةً يُختمُ عَليهم . »

[أخرجه البخاري]

(حاصل الجواب ، إن يوم القيامة ذو الوان ، يعني يوم طويل ذو مواطن مختلفة ، فينطقون في وقت ومكان ، ولا ينطقون في آخر .)

* * *

أقول :

نلتقط من الحديث قول ابن عباس :

« إنّهُ ذو الوان » ..

تعبير رائع .. فيه بلاغة عجيبة !!

إنه فصل الخطاب .. الذي مَنَّ الله بـه على بن عباس !!

﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبقاً عَنْ طَبق ؟! ﴾

قال ابن عباس :

﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبقاً عَنْ طَبقٍ ﴾ ..

« حالاً بَعدَ حالٍ ..

« قال : هذا نَبيُّكمْ .. ﷺ . »

[أخرجه البخاري]

(حالاً بعد حال) اي حال مطابقة للشيء قبلهـــا في الشدة ..

(وقال اكثرهم حالاً بعد حال ، وامراً بعد أمر ..

(وعن عكرمة ، حالاً بعد حال ، رضيـع ، ثم فطيم ، ثم غلام ، ثم شاب ، ثم شيخ ..)

(هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم) اي الخطاب في لتركبن للنبي صلى الله عليه وسلم ..)

*

اقول :

هذا مثال من تفسير ابن عباس لآيات القرآن ..

ونجد فيه إصابة المعنى الصحيح .. ثم صياغة المعنى في إيجاز بليغ ..

طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ = حالا بَعْدَ حال !!

هكذا وضوح يتوهج كما تتوهج الشمس !

كانَ عُمرُ يُدْخِلني .. مَعَ أشياخِ بَدْر ؟!

« عن ابن عباسٍ ، قال :

« كانَ عُمرُ يدْخِلُني مَعَ أشياخ بَدرٍ ..

« فكانَّ بعْضُهم وَجدَ في نَفسِه .. فقال : لِمَ تُدخِل هـذا معنا ولنا أبناءٌ مِثْلهُ ؟!

« فقال عمر : إنه مِن حيث علمتمْ ..

« فدَعا ذَات يَوْمٍ فادْخله معهم ..

« فما رئيتُ أنه دَعاني يومئذٍ إلاّ لِيرَيهم ..

« قال : ما تقولونَ في قوْل اللهِ تعالى

﴿ إذا جَاءَ نصْرُ اللهِ والفَتْحُ ﴾ ؟.

« فقال بعضهم : أمِرنا أن نحمدَ الله ونستغفرَه إذا نصرنا وفُتح علينا .

« وسكت بعضهم ، فلمْ يقُل شيئاً .

« فقال لي : أكذاكَ تقول يا ابن عباس ؟

« فقلت : لا ..

« قال : فما تقولُ ؟

« قلتُ : هوَ أجلُ رسول الله .. ﷺ .. اعلمهُ له .. قال ..

﴿ إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ ﴾

وذلك علامة اجلك .

﴿ فسبِّح بحمدِ ربِّكَ واستغفِرهُ إنهُ كانَ توّاباً ﴾ ..

« فقال عمر : ما أعلمُ منها إلا ما تقولْ »

[اخرجه البخاري]

(مع أشياخ بدر) يعني من المهاجرين والأنصار ..

(فكأن بعضهم) هو عبد الرحمن بن عوف ..

(وَجدَ) غضب ..

(إنه من حيث علمتم) أي ان عبد الله بن عباس ، ممن علمتم فضله ، وزيادة علمه ، وعرفتم قدمه ..

(فما رئيت) وفي رواية فما أريته .

(إلا ليريهم) من الاراءة ..

(قلتُ : لا) اي لا اقول مثل ما يقول هؤلاء .. قال عمر : فما تقول يا عبدالله ؟

*

اقول :

هذا هو ابن عباس يُكْشَفُ له من الآية .. غير ما يعلم اجلّة الحاضرين ..

ومِثْل ما كُشِفَ للفاروق .. عمر !!

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء !!

نموذج ...

من التفسير المنسوب ...

الى ابن عباس ؟!

من

كتاب « تنوير المقبـــاس .. من .. تفسير ابن عباس » ..

نقدم مثالاً لمـــا يُنسب إلى ابن عباس في تفسير القرآن العظيم ..

وهو تفسير سورة « محمـــد » صلى الله عليه وسلم .. من ذلك التفسير ..

(٤٧) سُورَةُ مُحَمَّد مَدَنِيَّة

إلا الآية ١٣ فنزلت في الطريق أثناء الهجرة
وآياتها ٣٨ نزلت بعد الحديد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ
كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ
ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ
تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن
لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ
أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ
﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟

نصف الحزب

كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ
أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ
﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ
ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً
مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ
عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾
مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ
مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ
مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ
كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾
وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟
أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾
فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا

فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ١٨ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ
لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ١٩
وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ
وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ
الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ٢٠ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ
الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ٢١ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن
تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ٢٢ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ٢٣ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ
أَقْفَالُهَا ٢٤ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى
الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ٢٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا
مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ٢٦ فَكَيْفَ إِذَا
تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ٢٧ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ
اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ٢٨ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ٢٩ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ
فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ٣٠

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ * إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾
فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ
أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ
أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ
أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن
يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ
وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

ثلاثة أرباع الحزب

بسم الله الرحمن الرحيم

وباسناده عن ابن عباس .. في قوله تعالى :

(الذين كفروا) بمحمد عليه الصلاة والسلام والقرآن .

(وصدوا عن سبيل الله) صرفوا الناس عن دين الله وطاعته وهم المطعمون يوم بدر عتبة وشيبة ، ابنا ربيعة ومنبه ونبيه ابنا الحجاج وأبو البحتري بن هشام وأبو جهل بن هشام واصحابهم .

(اضل أعمالهم) ابطل حسناتهم ونفقاتهم يوم بدر .

(والذين آمنوا) بالله ومحمد والقرآن ..

(وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم وهم أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام ..

(وآمنوا بما نزل على محمد) بما نزل الله به جبريل على محمد عليه

الصلاة والسلام ..

(وهو الحق من ربهم) يعني القرآن .

(كفر عنهم سيئاتهم) ذنوبهم بالجهاد .

(وأصلح بالهم) حالهم وشانهم ونياتهم وعملهم في الدنيا ، ويقال أظهر أمرهم في الاسلام ..

(ذلك) ثم بين الشيء الذي أحبط أعمال الكافرين وأصلح أعمال المؤمنين ، فقال ذلك الإبطال .

(بأن الذين كفروا) بمحمد عليه الصلاة والسلام والقرآن .

(اتبعوا الباطل) يعني الشرك بالله ..

(وأن الذين آمنوا) بمحمد ﷺ ، والقرآن ..

(اتبعوا الحق من ربهم) يعني القرآن ..

(كذلك) هكذا .

(يضرب الله) يبين الله ..

(للناس) لأمة محمد ، ﷺ ..

(أمثالهم) امثال من كان قبلهم كيف أهلكهم الله عند تكذيب الرسل ، ثم حرض المؤمنين على القتال ..

(فاذا لقيتم الذين كفروا) يوم بدر .

(فضرب الرقاب) فاضربوا أعناقهم .

(حتى إذا أثخنتموهم) قهرتموهم وأسرتموهم ..

(فشدوا الوثاق) فاستوثقوا الأسير .

(فاما منـا بعد) يقول تمن على الأسير فترسله بغير فداء .

(وإما فداء) وإما أن يفادي المأسور نفسه .

(حتى تضع الحرب) الكفار .

(أوزارها) أسلحتها ، ويقال حتى يترك الكفار .

(ذلك) العقوبة لمن كفر بالله .

(ولو يشاء الله لانتصر منهم) لانتقم منهم من كفار مكة بالملائكة غيركم ، ويقال من غير قتالكم .

(ولكن ليبلو بعضكم ببعض) ليختبر المؤمنين بالكافرين ، والقريب بالقريب ..

(والذين قتلوا في سبيل الله) في طاعة الله يوم بدر وهم أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام .

(فلن يضل أعمالهم) فلن يبطل حسناتهم في الجهاد .

(سيهديهم) يوفقهم للأعمال الصالحة .

(ويصلح بالهم) حالهم وشأنهم ونياتهم ، ويقال سيهديهم : سينجيهم

في الآخرة ويصلح بالهم ، يقبل أعمالهم يوم القيـــامة .

(ويدخلهم الجنة عرفها لهم) بينها لهم يهتدون اليها كما يهتدون في الدنيا الى منـــازلهم .

(يا أيها الذين آمنوا) بمحمد عليه الصلاة والسلام والقرآن .

(إن تنصروا الله ينصركم) إن تنصروا نبي الله محمداً عليه الصلاة والسلام بالقتال مع العدو ينصركم الله بالغلبة على العدو .

(ويثبت أقدامكم) في الحرب لكي لا تزول .

(والذين كفروا) بمحمد عليـــه الصلاة والسلام والقرآن وهم المطعمون يوم بدر .

(فتعساً لهم) فنكساً لهم وبعداً لهم .

(وأضل أعمالهم) أبطل حسناتهم ونفقاتهم يوم بدر .

(ذلك) الإبطال .

(بانهم كرهوا) جحدوا .

(ما أنزل الله) به جبريل على محمد عليه الصلاة والسلام .

(فاحبط أعمالهم) فأبطل حسناتهم ونفقاتهم يوم بدر .

(أفلم يسيروا) يسافروا كفـار مكة .

(في الأرض فينظروا) يتفكروا .

(كيف كان عاقبة) جزاء .

(الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أهلكهم الله .

(وللكافرين) لكفار مكـــة .

(أمثالها) أشباهها من العذاب .

(ذلك) النصرة للمؤمنين .

(بان الله مولى) ناصر .

(الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن .

(وأن الكافرين) كفار مكة .

(لا مولى لهم) لا ناصر لهم .

(إن الله يدخل الذين آمنوا) بمحمد عليه الصلاة والسلام والقرآن

(وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم .

(جنات) بساتين .

(تجري من تحتها) من تحت شجرها ومساكنهـــا .

(الأنهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن .

(والذين كفروا) بمحمد عليـــه الصلاة والسلام والقرآن ، أبو

سفيان وأصحابه .

(يتمتعون) يعيشون في الدنيا .

(ويأكلون) بشهوة انفسهم بلا همة مـــا في غد .

(كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) مـــنزل لهم في الآخرة .

(وكأين من قرية) وكم من أهل قرية .

(هي أشد قوة) بالبدن والمنعة .

(من قريتك) مكة .

(التي أخرجتك) أخرجك أهلهـــا إلى المدينة .

(أهلكناهم) عنـد التكذيب .

(فلا ناصر لهم) لم يكن لهم مـــانع من عذاب الله .

(أفمن كان على بينة) على بيان ودين .

(من ربه) وهو محمـــد صلى الله عليه وسلم ..

(كمن زين له سوء عمله) قبيح عمله ، وهو أبو جهل .

(واتبعوا أهواءهم) بعبادة الأوثان .

(مثل الجنة) صفة الجنة .

(التي وعـد المتقون) الكفر والشرك والفـواحش .

(فيها أنهار من ماء غير آسن) آجن ريحه وطعمه .

(وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، إلى الحموضة وزهومة زبده لم يخرج من بطون اللقاح .

(وانهار من خمر لذة للشاربين) شهوة للشاربين لم تعصر بالأقدام .

(وأنهار من عسل مصفى) بلا شمع لم يخرج من بطون النحل .

(ولهم) ولأهل الجنة .

(فيها) في الجنة .

(من كل الثمرات) من ألوان الثمرات .

(ومغفرة من ربهم) لذنوبهم في الدنيا .

(كمن هو خالد في النار) لا يموت فيها ولا يخرج منها ، وهو ابو جهل .

(وسقوا ماء حميماً) حاراً .

(فقطع أمعاءهم) مباعرهم .

(ومنهم) من المنافقين .

(من يستمع اليك) إلى خطبتك يوم الجمعة .

(حتى إذا خرجوا من عندك) تفرقوا من عندك .

(قالوا) يعني المنافقين .

(للذين اوتوا العلم) أعطوا العـــلم ، يعني عبدالله بن مسعود .

(ماذا قال) محمد عليه الصلاة والسلام.

(آنفاً) الساعة على المنبر استهزاء بما قال محمـد ﷺ .

(أولئك) المنافقون هم .

(الذين طبع الله) ختم اللـه .

(على قلوبهم) فهم لا يعقلون الحق والهدى .

(واتبعوا أهواءهم) بكفر السر والنفاق والخيـانة والعـداوة مع رسول الله ، صلى الله عليـه وسلم .

(والذين اهتدوا) بالايمان .

(زادهم) بخطبتـك .

(هدى) بصيرة في أمر الدين وتصديقاً في النيات .

(وآتاهم تقواهم) ألهمهم تقواهم ، يقول أكرمهم بترك المعـــاصي واجتناب المحارم ، ويقال : والذين اهتدوا بالناسخ زادهم هدى بالمنسوخ وآتاهم الله تبارك وتعالى تقواهم أكرمهم الله باستعمال الناسخ وترك المنسوخ .

(فهل ينظرون) إذا كذبوك كفـار مكة .

(إلا الساعة) قيام الساعة.

(أن تاتيهم بغتة) فجاة .

(فقد جاء أشراطها) معالمها انشقاق القمر وخروج النبي .. صلى الله عليه وسلم .. بالقرآن من أعلامها أي معالمها .

(فانى لهم) فمن اين لهم .

(إذا جاءتهم) قيام الساعـة .

(ذكراهم) التوبة .

(فاعلم) يا محمـد .

(أنه لا إله إلا الله : لا ضار ولا نافع ولا مانع ولا معطي ولا معز ولا مذل إلا الله ، ويقال فاعلم أنه ليس شيء فضله كفضل لا إله إلا الله .

(واستغفر لذنبك) يا محمد من ضرب اليهودي زيد بن السمين .

(وللمؤمنين والمؤمنات) ولذنوب المؤمنين والمؤمنات .

(والله يعلم متقلبكم) ذهابكم ومجيئكم وأعمالكم في الدنيا .

(ومثواكم مصيركم ومنزلكم في الآخرة .

(ويقول الذين آمنوا) بمحمد عليـه الصلاة والسلام والقرآن وهم المخلصون .

(اولا) هـلا .

(نزلت سورة) جبريل بسورة تمنوا ذلك من اشتياقهم إلى ذكر الله وطاعته .

(فاذا أنزلت سورة) جبريل بسورة .

(محكمة) مبينة بالحلال والحرام والأمر والنهي .

(وذكر فيها القتال) أمر فيها بالقتال .

(رأيت الذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق .

(ينظرون اليك) نحوك عند ذكرك القتال .

(نظر المغشي عليه من الموت) كمن هو في غشيان الموت من كراهية قتالهم مع العدو .

(فأولى لهم) وعيد لهم من عذاب الله .

(طاعة) يقول هذا من المؤمنين طاعة لله ولرسوله .

(وقول معروف) كلام حسن ، ويقال طاعة المنافقين لله ولرسوله وقول معروف كلام حسن لمحمد عليه الصلاة والسلام خير لهم من المعصية والمخالفة والكراهية ، ويقال أطيعوا طاعة الله وقولوا قولاً معروفاً لمحمد .

(فإذا عزم الأمر) جد الأمر وظهر الاسلام وكثر المسلمون .

(فلو صدقوا الله) يعني المنافقين بإيمانهم وجهادهم .

(لكان خيراً لهم) من المعصية .

(فهل عسيتم إن توليتم) فلعلكم يا معشر المنافقين تتمنون إن توليتم أمر هذه الأمة بعد النبي، صلى الله عليه وسلم .

(أن تفسدوا في الأرض) بالقتل والمعاصي والفساد .

(وتقطعوا أرحامكم) باظهار الكفر .

(أولئك) المنافقون .

(الذين لعنهم الله) هم الذين طردهم الله من كل خير .

(فاصمهم) عن الحق والهدى .

(وأعمى أبصارهم) عن الحق والهدى .

(أفلا يتدبرون القرآن) أفلا يتفكرون بالقرآن ما نزل فيهم .

(أم على قلوب أقفالها) أم على قلوب المنافقين أقفالاً لا يعقلون ما نزل فيهم .

(إن الذين ارتدوا على أدبارهم) رجعوا إلى دين آبائهم وهم اليهود

(من بعد ما تبين لهم الهدى) التوحيد والقرآن ، وصفه محمد صلى الله عليه وسلم ، ونعته في القرآن .

(الشيطان سول لهم) زين لهم الرجوع إلى دينهم .

(وأملى لهم) الله أمهلهم إذ لم يهلكهم .

(ذلك) الارتداد .

(بأنهم قالوا) يعني اليهود .

(للذين كرهوا) وهم المنــافقون جحدوا في السر .

(ما نزل الله) به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم .

(سنطيعكم) سنعينكم يا معشر المنـافقين .

(في بعض الأمر) أمر محمد عليه الصلاة والسلام بلا إله إلا الله إن كان له ظهور علينـا .

(والله يعلم إسرارهم) إسرار اليهود مع المنـافقين .

(فكيف) يصنعـون .

(إذا توفتهم الملائكة) قبضتهم الملائكـــة ، يعني اليهود .

(يضربون وجوههم) بمقـامع من حديد .

(وأدبارهم) ظهورهم .

(ذلك) الضرب والعقوبة .

(بانهم اتبعوا ما أسخط الله) من اليهودية .

(وكرهوا رضوانه) جحدوا توحيـده .

(فاحبط أعمالهم) فابطل حسناتهم في اليهودية ، ويقـال نزل من

قوله : ﴿ إن الذين ارتدوا على أدبارهم ﴾ ..

إلى ههنا في شان المنافقين الذين رجعوا من المـــدينة إلى مكة مرتدين عن دينهم ، ويقال نزل في شان الحكم بن أبي العاص المنـافق وأصحابه الذين شاوروا فيما بينهم يوم الجمعة في أمر الخلافـــة بعد النبي .. صلى الله عليه وسلم .. إن ولينـا أمر هـذه الأمة نفعل كذا وكذا ، كانوا يشاورون في هذا والنبي يخطب ولا يستمعون إلى خطبته حتى قالوا بعد ذلك لعبد الله بن مسعود ، ماذا قـــال النبي صلى الله عليـه وسلم .. الآن على المنبر ، استهزاء منهم .

(أم حسب) أيظن .

(الذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق .

(أن لن يخرج الله أضغانهم) أن لن يظهر الله عداوتهم وبغضهم لله ولرسوله ، ويقال نفاقهم للمؤمنين وعداوتهم وبغضهم .

(ولو نشاء لأريناكهم) يا محمد بالعلامة القبيحة .

(فلعرفتهم) فلتعرفنهم .

(بسيماهم) بعلامتهم القبيحة بعد ذلك.

(ولتعرفنهم) ولكن تعرفنهم يا محمد .

(في لحن القول) في محاورة الكلام وهي معذرة المنـــافقين .

(والله يعلم أعمالكم) أسراركم وعداوتكم وبغضكم لله ولرسوله .

(ولنبلونكم) والله لنختبرنكم بالقتال .

(حتى نعلم) حتى نميز .

(المجاهدين) في سبيل الله .

(منكم) يا معشر المنافقين.

(والصابرين) ونميز الصابرين في الحرب منكم .

(ونبلوا أخباركم) نظهر أسراركم وبغضكم وعداوتكم ومخالفتكم لله ولرسوله ، ويقال نفاقكم .

(إن الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن .

(وصدوا عن سبيل الله) صرفوا الناس عن دين الله وطاعته .

(وشاقوا الرسول) خالفوا الرسول في الدين .

(من بعد ما تبين لهم الهدى) التوحيد .

(لن يضروا الله شيئاً) لن ينقصوا الله بمخالفتهم وعداوتهم وكفرهم وصدهم عن سبيل الله شيئاً .

(وسيحبط أعمالهم) يبطل حسناتهم ونفقاتهم يوم بدر وهم المطعمون يوم بدر .

(يا أيها الذين آمنوا) بالعلانية .

(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) في السر.

(ولا تبطلوا اعمالكم) حسناتكم بالنفاق والبغض والعداوة ومخالفة الرسول ، ويقال نزلت هـــذه الآية في المخلصين يقول :

(يا أيها الذين امنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام والقرآن اطيعوا الله فيما امركم من الفرائض والصدقة واطيعوا الرسول فيما أمركم من السنة والغزو والجهاد ولا تبطلوا أعمالكم بالرياء والسمعة)

(إن الذين كفروا) بمحمـد ، صلى الله عليه وسلم والقرآن وهم المطعمون يوم بـدر .

(وصدوا عن سبيل الله) صرفوا الناس عن دين الله وطاعته .

(ثم مـاتوا) أو قتلوا .

(وهم كفار) بالله وبرسوله .

(فلن يغفر الله لهم) لأنهم كفـــار بالله وبرسوله .

(فلا تهنوا) فلا تضعفوا يا معشر المؤمنين بالقتـــال مع العدو .

(وتدعوا إلى السلم) إلى الصلح ، ويقال إلى الإسلام قبل القتال .

(وأنتم الأعلون) الغالبون وآخر الأمر لكم .

(والله معكم) معينكم بالنصر على عدوكم .

(ولن يتركم أعمالكم) ولن ينقص أعمالكم في الجهاد .

(إنما الحياة الدنيا) ما في الحياة الدنيا .

(لعب) باطل.

(ولهو) فرح لا يبقى .

(وإن تؤمنوا) تستقيموا على إيمانكم بالله ورسوله .

(وتتقوا) الكفر والشرك والفواحش .

(يؤتكم) يعطكم .

(أجوركم) ثواب أعمالكم .

(ولا يسألكم أموالكم) كلها في الصدقة .

(إن يسألكوها) كلها في الصدقة .

(فيحفكم) يجهدكم .

(تبخلوا) بالصدقة في طاعة الله .

(ويخرج أضغانكم) يظهر بخلكم .

(ها أنتم هؤلاء) أنتم يا هؤلاء .

(تدعون لتنفقوا في سبيل الله) في طاعة الله .

(فمنكم من يبخل) بالصدقة عن طاعة الله

(ومن يبخل) بالصدقة عن طاعة الله .

(فانما يبخل) بالثواب والكرامة .

(عن نفسه والله الغني) هو الغني عن أموالكم وصدقاتكم

(وانتم الفقراء) إلى رحمة الله وجنته ومغفرته .

(وإن تتولوا) عن طـاعة الله وطاعة رسوله ، وعمـا أمركم من الصدقة .

(يستبدل قومـاً غيركم) يهلككم ويأت بآخرين خيراً منكم وأطوع .

(ثم لا يكونوا امثالكم) بالمعصية والطاعة ولكن يكونوا خيراً له منكم وأطوع لله .

* * *

هذه صفحات قليلة نقلناها من « تنوير المقبـاس من تفسير ابن عبـاس » المنسوب إلى ابن عباس ..

والله أعلم !!

شخصية ..

ابن عباس .؟!

اذا

قــالوا :

• روى ابن عباس .. عن النبيّ .. ﷺ ..

• الف حديث ، وستمائة .. وستين حديثاً ..

• تحتّم علينا أن نسال أنفسنا :

• كيف تيسر له ذلك . ولم يصحب رسول الله ، صــلى الله عليه وسلم .. إلا وهو غــلام ؟!

• كيف ُجمعت الشريعة لابن عباس َجمعاً عجيباً ؟!

• لماذا ابن عباس .. مِن دون َمن رَوَوْا عن النبي .. صــلى الله عليه وسلم .. لماذا هو الذي أُوتي التأويل ، والتفسير ، والفتوى ، وفصل الخطـــاب ؟!

الجواب : هذا هو موضوع هذا الباب !!

عبقرية مبكرة ؟!

«عن سَعيدِ بن جُبَير .. قال :

«إنَّ الذِي تَدْعونَهُ المُفَصلَ هوَ المُحكَمُ ..

« قال . و قال ابن عباسٍ :

«تُوُفِيَ رسول الله .. ﷺ ..

« وانا ابنُ عَشرِ سِنِينَ ..

«وقَدْ قَرَأتُ المُحكمَ . »

[أخرجه البخاري]

فيه (ان ابن عباس .. رضي الله تعـــالى عنهما ، قرأ المحكم من القرآن وعمره عشر سنين ، ويطلق عليه الغلام ..

(قرأ المُحكم) وهو الذي لا نسخ فيه .. ويطلق المحكم على ضد المتشابه في اصطلاح اهل الأصول ..

(وأنا ابن عشر سنين) وقد اختلف فيه ..

(وقال عمرو بن علي : الصحيح عندنا انه لما توفي رسول الله ، ﷺ .. كان قد استوفى ثلاث عشرة ، ودخل في اربع عشرة ..

وقالوا :

(يحتمل أن يكون قوله : وأنا ابن عشر سنين ، راجعاً إلى حفظ القرآن ، لا إلى وفاة النبي ، ﷺ .. ويكون تقدير الكلام .. توفي النبي .. صلى الله عليه وسلم .. وقد جمعت المحكم وأنا ابن عشر سنين .)

* * *

«عن سعيد بنُ جبيرٍ ..

« عن ابن عباسٍ ، رضي الله عنهما .

« جَمعْتُ المُحكمَ في عَهْدِ رسُولِ اللهِ ، ﷺ ..

« فقلْتُ لهُ : ومَا المحكَمُ ؟

« قال : المُفَصَّلُ . »

[أخرجه البخاري]

اقول :

إن ابن عبـــاس غلام موهوب ..

أوتي العبقرية صبياً !!

انه يحفظ الحكم وهو ابن عشر سنين ..

وهناك ملايين من الغلمان في انحاء العالم .. في سن العاشرة .. يرتعون ويلعبون !!

ولكن العباقرة الموهوبين .. تمضي بهم مقاديرهم الى ما ينتظرهم !!

ذو حافظة عجيبة ؟!

إذا تأملتَ .. ثمَّ تأملتَ حديثاً من المطولات التي رواهـــا ابن عباس .. تأخذك الدهشة حين تجد الرجل كانما يقرأ عن ظهر الغيب ما يرويه من احداث ..

مثال ذلك ، ذلك الحديث :

« أنَّ عَبْدَ اللهِ بن عباسٍ أخبرَهُ ..

« أنَّ أَبَا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ اخبرَهُ ..

« أنَّ هِرَقلَ أرسَلَ اليهِ في رَكبٍ مِن قُريشٍ .. »

[من حديث طويل اخرجه البخاري]

ثم يمضي ابن عباس في رواية القصة كأنه شاهد عيـــان ، في تفصيل دقيق ، ونسق بديـع ، ولغـة واضحة بليغـة ..

وهذا هو شانه دائماً في روايته للأحداث التي رواها عن غيره ، أو شهدهـــا بنفسه ..

فما معنى هـذا ؟!

معناه أن الرجل مؤهل موهوب ، عنده استعداد لأخذ العلم وبثه في النـاس ..

ولئن قالوا أنَّ العلم رواية ودراية ..

فإنَّ ابن عباس استوفى الجناحين على الغـــاية ..

فقد كان راوياً بارعاً ، وكان إمـــاماً في الدراية !!

ذو درجة رفيعة ؟!

قال تعالى :

﴿ يَرْفَعِ اللهُ الذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والذِينَ أوتوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ .. ﴾

(جاء في الآثار ، ان درجات العلماء ، تتلو درجات الأنبياء .. والعلماء ورثة الأنبياء ،. ورثوا العلم ، وبينوه للأمة ، وحموه من تحريف الجاهلين ..

(وروى ابن وهب عن مالك قال : سمعت زيد بن أسلم يقول في قوله تعالى :

﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾ ..

قال بالعلم ..

(وقال ابن مسعود في قوله تعالى :

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم ﴾ ..

مدح الله العلماء في هذه الآية ..

(والمعنى يرفع الله الذين آمنوا وأوتوا العلم ، على الذين آمنوا فقط ، ولم يؤتوا العلم ، درجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به ..

(وقيل : يرفعهم في الثواب والكرامة ..

(وقيل : يرفعهم في الفضل في الدنيا والمنزلة ..

(وقيل : يرفع الله درجات العلماء في الآخرة على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم .

(وقيل في قوله تعالى

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي علماً ﴾ ..

اي القرآن .. وكان كلما نزل شيء من القرآن ازداد به النبي عليه السلام علماً ..

(وقيل : ما أمر الله رسوله بزيادة الطلب في شيء إلا في العلم .)

والسؤال الآن : كم تبلغ درجة ابن عباس رفعة وعلواً ؟!

أوْ ما ظنك بدرجة رجل آتاه الله علم الكتاب وسائر علوم هذا الدين ، فعَلِم ذلك كله .. وعَمِل بذلك كله .. وعَلَّم ذلك كله .. كم تبلغ درجة ذلك السعيد ؟!

منابع شخصية ابن عباس ؟!

• وقال إبنُ عباسٍ:

﴿ كونوا ربانيين ﴾ ..

• حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ . •

[اخرجه البخاري]

(فسر ابن عباس الرباني بأنه الحكيم الفقيه ..

(ووافقه ابن مسعود .

(وقال ابو المعاني : الرباني : المتاله ، العارف بالله تعالى .

(وعن ابن الأعرابي : لا يقال للعـالم ربانيّ ، حتى يكون عالمـاً معلّمـاً ..

(ويقال : هو العالي الدرجة في العلم ..

(عن مجاهد .. الربانيون : الفقهاء .. وهم فوق الأحبـار ..

(وفي كتاب الفقيه : إذا كان الرجل عالماً عاملاً معلماً قيل له هذا رباني ، فان خرم خصلة منها لم يقل له رباني ..

(وعن الأزهري : هم أرباب العلم الذين يُعَلِّمون ما يعلمون ..

(حكماء) جمع حكيم .. والحكمة صحة القول والعقد والفعل .. ويقال : الحكمة الفقه في الدين .. وقيل : الحكمة معرفة الأشياء على ما هي عليه .

(فقهاء) الفقهاء جمع فقيه .. والفقه : الفهم لغة .. وفي الاصطلاح : العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية ..

(حلماء) في بعض النسخ .. جمع حليم .. والحلم هو الطمأنينة عند الغضب ..)

* * *

أقول

من تفسير ابن عباس .. لقوله تعالى :

﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ ..

يقوله : حلماء فقهاء ..

او : حكماء فقهاء ..

ندرك أن ابن عباس .. كان حليماً .. يملك نفسه عند الغضب .

وكان فقيهاً .. بل شيخ الفقهاء !!

أمّا الحِلْم .. فهو من الزم اللوازم للعالم المتربع على عرش الفتوى والارشاد .. ليصبر على جهل الجاهلين ..

وأمّا الفقه .. فمن يكون فقيهاً إن لم يكن ابن عباس ؟!

ها هنا .. سر عبقرية ابن عباس؟!

(باب قوْل النبي .. صلى الله عليه وسلم ..

(اللّهُمّ عَلّمْهُ الكِتَابَ ..)

[اخرجه البخاري]

(في هذا الباب إشارة إلى أن علمه الغزير ؛ وفضيلته الكاملة .. ببركة دعاء النبي .. ﷺ .. حيث قال له :

اللهم علمه الكتاب ..

(ووجه آخر أنّ في الباب الأول[1] بيان استفادة موسى عليه الصلاة والسلام من الخِضْر .. من العلم الذي لم يمكن عنده من ذلك شيء .. وفي هذا الباب بيان استفادة ابن عباس علم الكتاب من النبي ، ﷺ .)

« عن عِكْرِمَةَ .

« عن ابن عباسٍ ..

« ضَمّني رسولُ اللهِ . ﷺ .. وقال :

« اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتابَ . »

[أخرجه البخاري]

(عنْ عِكْرِمَةَ) مولى عبد الله بنَ عَباسٍ ، سمع مولاه . وعبدالله بن عمر .. وخَلْقاً من الصحابة .. وكان من العلماء في زمانه بالعلم والقرآن ، واعتمده البخاري في اكثر ما يصح عنه من الروايات ..

(ومات ابن عباس .. وعكرمة مملوك .. فباعه عليّ ابنه ..

(١) يعني الباب السابق على هذا الباب .

من خالد بن معاوية .. بأربعة آلاف دينـار ..

(فقال له عكرمة : بعتَ علم أبيك بأربعة آلاف دينـار ؟!

(فاستقاله فأقـــاله وأعتقه ..

(وكان جوالاً في البلاد .. ومات بالمدينة سنة خمس .. ومائة ..

(فقيل : مات اليوم أفقه الناس ..

(واجتمع حفاظ ابن عباس على عكرمة .. فيهم عطـــاء .. وطاوس .. وسعيد بن جبير ..

(فجعلوا يسألون عكرمـــة عن حديث ابن عباس .. فجعل يحـدثهم ..

(بيان تعدد موضعه ومن أخرجه غيره)[1] .

(أخرجه هنا عن ابي مَعْمَر .

(وأخرجه أيضاً في فضائل الصحابة عن أبي معمر

(وأخرجه ايضاً في الطهارة .

---

(١) أثبتنا تفصيلا من أخرج الحديث . لخطورة هذا الحديث حيث أنه أصل عام في شخصية ابن عباس .

(وأخرجه مسلم .. في فضائل ابن عباس ..

(وأخرجه الترمذي في المناقب ، وقال حسن صحيح .

(وأخرجه النسائي ..

(وأخرجه ابن ماجة ..)

(ضمني) ضمني إلى نفسه أو إلى صدره .. وقد جـــاء بذلك مصرحاً في روايته الأخرى « إلى صدره » ..

(الكتاب) اي القرآن .. أو المراد نفس القرآن .. اي لفظـه أو معـانيه .. أي احكام الدين ..

(ووقع في رواية مسدد « الحكمة » بدل الكتاب ، فيحمـل على أن المراد بالحكمة أيضاً القرآن .. فيكون بعضهم رواه بالمعنى ..

(وقال جماعة من الصحابة والتابعين في قوله :

﴿ يؤتي الحكمةَ من يشاءُ ومن يُؤتَ الحكمة ﴾..

الآية .. إن الحكمة القرآن ..

(فان قلت ، روى الترمذي والنسائي من طريق عطاء عن ابن عباس .. قال :

دعا لي رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. ان اوتى الحكمة .. مرتين ..

قلت : يحتمل تعدد الواقعة ، فيكون المراد بالكتاب القرآن .. وبالحكمـــة السُّنَّة ..

(وقد فسرت الحكمة بالسُّنة في قوله تعالى

﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ ..

(قالوا : المراد بالحكمة هنا السُّنة التي سنها رسول الله عليـــه الصلاة والسلام ، بوحي من الله تعالى ..

(ويؤيد ذلك رواية عبدالله بن أبي يزيد عن ابن عبـــاس رضي الله عنهما .. التي أخرجها الشيخان بلفظ

« اللهم فقهه » ..

(وزاد البخاري في رواية

« في الدين » ..

(وذكر الحميدي في الجمع أن أبا مسعود ذكر في أطراف الصحيحين بلفـظ :

« اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » ..

(قـال الحميدي : هذه الزيادة ليست في الصحيحـين .. وهي في رواية سعيد بن جُبَير .. عند أحمد .. وابن حبان ..

(ووقع في بعض نسخ ابن ماجه .. من طريق عبد الوهـــاب الثقفي عن خالد الحذاء بلفظ

« اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب » ..

(وروى ابن سعد من وجه آخر عن طاوس عن ابن عباس قـــال :

« دعاني رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. فمسح عـــلى ناصيتي وقال :

« اللهم علمهُ الحكمة وتأويل الكتاب » ..

(وقد رواه أحمد عن هشيم عن خالد في حديث الباب بلفظ :

« مسح على رأسي » ..

(فان قلت : ما معنى تسمية الكتاب والسُّنّة بالحكمة ؟

(قلت: أما الكتاب فلأن الله تعالى أحكم فيه لعباده حلاله وحرامه: وأمره ونهيه .

(وأما السُّنة فحكمة .. فصل بها بين الحق والباطل ، وبيَّن بها مجمل القرآن

(وقال الكرماني : فان قلت : هل جاز أن لا يستجـاب دعـاء النبي .. ﷺ ؟

(قلت : لكل نبيّ دعوة مستجابة وإجابة الباقي في مشيئة الله تعالى ..

« وأمّا هذا الدعاء ..

« فمما لا شك في قبوله ..

« لأنه كان عالما بالكتاب ..

« حَبر الامة ..

« بحر العلم ..

« رئيس المفسرين ..

« ترجمان القرآن ..

« وكونه في الدرجة القصوى ..

« في المحل الاعلى منه .. مما لا يخفى .. »

• وقال ابن بطال :

« كان ابنُ عباس .. من الأحبار الراسخين : في علم القرآن .. والسُّنة .. أجيبت فيه الدعوة ..

• فان قلت : ما كان سبب هذا الدعاء لابن عَباس ؟

• قلت : بيّن ذلك البخاري ومسلم في الرواية الأخرى عن ابن

عباس قال :

(دخل النبي .. عليه الصلاة والسلام ، الخلاء .. فوضعت له وضوءاً)

زاد مسلم (فلما خرج) .. ثم اتفقا (قال : من وضع هذا ؟. فاخبر) ..

ولمسلم (قالوا : ابن عباس) ..

• وفي رواية أحمد ، وابن حبان .. من طريق سعيد بن جبير عنه .. أن ميمونة هي التي أخبرته بذلك ، وانّ ذلك كان في بيتها ليلاً .

• قلت : ولعل ذلك في الليلة التي بات فيها ابن عباس عندها ليرى صلاة رسول الله .. ﷺ ..

• وفيه بركة دعائه عليه الصلاة والسلام وإجابته ..

• وفيه فضل العلم والحض على تعلمه وعلى حفظ القرآن والدعاء بذلك .. » !!

* * *

اقول :

ها هنا سر عبقرية ابن عباس !!

دعا له .. رسول اللهِ .. صلى الله عليه وسلم ..

« اللهم عَلِّمْهُ الكتابَ » ؟!

فهل استجيب هذا الدعاء ؟!

الجواب .. حياة ابن عباس .. من أولها إلى آخرها .. ومن ظاهرها إلى باطنها .. هي استجابة هذا الدعاء !!

كيف ؟!

إن رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. حين ضَمَّه إلى صدره الشريف .. ودَعَا له .. إنما دعا للأمة كلها إلى يوم القيامة ..

وإنما اختار .. ﷺ هذا الغلام .. ليكون مهبط هذا العلم .. الذي سوف يبثه أو يُبَثّ عنه إلى يوم القيامة !!

وذلك على قاعدة ، ما أوتيته فلأُمتي ..

فما أُوتي ابن عباس .. إنما هو عطاء للأمة كلها ..

لأن ابن عباس يُعطى ، ليبلغ مَن وراءه !!

هذا .. ولنتأمل الروايات التي ورد فيها الدعاء ..

« اللهم عَلّمْهُ الكتابَ ..

« اللهم فَقّهْهُ في الدين ..

« اللهم فَقّهْه في الدين وعَلّمْه التأويل ..

« اللهم عَلّمه الحكمة وتأويل الكتاب .. » !!

وسوف نجد أن جميع الروايات تؤدي هَدَفاً واحداً ..

هو أن يُؤتى ابن عباسٍ .. الحكمة ، وتأويل الكتــــاب ..

اي السُّنّة .. وتفسير القرآن ..

اي أن يُؤتى ابن عباسٍ .. الدينَ كلَّه .. فِقْهاً .. وسُنَّةً وتفسيراً !!

اي ان يجمع الله له أبواب علوم الدين كلهـــا ..

أي .. اللهم فَقّهْه في الدين ..

ثم ماذا ؟

ثم إشارات جميلة في الدعاء الشريف ..

ففي رواية :

« ضمّني رسولُ الله .. صلى الله عليه وسلم .. وقال : اللهم عَلّمهُ الكتابَ . »

اي ضمّني إلى صدره الشريف ..

والاشارة الجميلة في هذا واضحة ..

إنّ صدر ابن عباس سوف يسع الكثير والكثير !!

وفي رواية :

« دعاني رسول الله .. صلى عليه وسلم .. فمسح على ناصيتي وقال : اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب . » ..

وفي رواية :

« مسح على راسي » ..

والإشارة الجميلة الأخرى من ذلك ، ان رأس ابن عباس .. سوف يكون رأساً عبقرياً ، وعقلاً ألمعياً !!

لقد كان هذا الدعاء منبع الخير العميم الذي صدر عن ابن عباس واستفاض في الأمة كلها إلى يوم القيامة .

وهنا رُبّ قائل يقول : هل معنى هذا ان ابن عباس بدأت شخصيته من لحظة هذا الدعاء ..

ولولا هذا الدعاء لم يكن شيئاً مذكوراً ؟!

اقول .. يحل هذا الوسواس قاعدة . الامداد على قدر الاستعداد ..

خَلَق اللهُ الغلامَ ابن عباس موهوبــاً مواهب لدنية علوية شريفـة ..

ثم كان دعاء النبيّ .. ﷺ لما يعلمه من استعداده لأن يحمـل هذا الغلام مستقبلاً رسالة هذا الدين إلى النــاس ..

فدعا له صلى الله عليه وسلم .. فتباركت مواهب ابن عباس وتلالأت عجائبه !!

نَامَ الغُلَيمُ ؟!

• عن ابن عباس ، قال :

• بِتُّ في بيْتِ خالَتي مَيْمُونَةَ بنتِ الحارثِ ..

• زوج النبيّ .. ﷺ ..

• وكان النبيُّ .. ﷺ .. عندَها في لَيْلَتِهــا ..

• فصلّى النبيُّ .. ﷺ .. العشاءَ ..

• ثمَّ جاءَ إلى منزِلِهِ فصلّى أربَعَ ركَعَاتٍ ..

• ثمَّ نامَ .. ثمَّ قامَ .. ثمّ قالَ : نَامَ الغُلَيّمُ ..

« او كلمةً تُشبهُها ..
« ثمَّ قامْ فقُمْتُ عَنْ يسَارِهِ ..
« فجَعَلَني عن يَمينهِ .
« فصَلى خَمسَ رَكعاتٍ ..
« ثم صَلى ركعتينِ ..
« ثم نامَ حتى سمعتُ غَطيطهُ .. أو خَطِيطهُ ..
« ثمَّ خَرَجَ إلى الصلاةِ . »

[أخرجه البخـاري]

(نام الغُلَيمُ) ارتقاب ابن عباس ، رضي اللهعنهما .. لأحوال النبي عليه الصلاة والسلام ، إذ لا فرق بين التعلم من القول والتعلم من الفعل ..

(جعله على يمينه .. كانه عليه السلام ، قال لابن عباس : قف على يميني . فقال : وقفت .. ويجعل الفعل بمنزلة القول ..

(في ليلتها) اي المختصة بها بحسب قسم النبي عليه الصلاة والسلام بين الأزواج .

(نامَ الغلَيمُ) يحتمل الاخبار لميمونة ، ويحتمل الاستفهام عن

ميمونة ، وهذا اظهر .. والغليم .. تصغير غـلام من باب تصغير الشفقـة نحو يا ُبنيّ .

(وأراد به عبد الله بن عباس ..

(وفيه من فضل ابن عباس وحذقه ، على صغر سنه .. حيث أرصد النبي .. ﷺ .. طول ليلته .

(وقيل . إن العباس اوصاه بمراعاة النبي .. ﷺ .. ليطلـع على عمله بالليل .

(وفيه جواز التصغير على وجه الشفقة ، والذكر بالصفة حيث لم يقل نام عبدالله ..

(وفيه ان موقف المأموم الواحد عن يمين الامام ، فاذا وقف عن يساره يحوله إلى يمينه ..

(وفيه إن صلاة الصبي صحيحة ..)

* * *

اقول :

إنّ الغُلـَيم ابن عباس يقضي الليلة كلها عند خالته .. زوجة النبي .. صلى الله عليه وسلم ..

ليتعلم عليا من رسولُ الله .. ﷺ ..

وإنّ اباه العباس يوصيه بمراعاة النبي .. ﷺ .. ليطلع على عمله بالليل !!

والد حريص على أن يتعلم ولده رأساً من رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

وغُلـَيم .. أشد حرصا على التعلم ..

بينا أقرانه يلعبون ملء جفونهم .. إذا هو يسهر ويتـــابع رسول الله .. ﷺ .. في قيامه .. ويفعل مثل ما يفعل ..

ويقوم عن يساره .. ويجعله .. ﷺ .. عن يمينه !!

يا له مِن غُلـَيم !!

ما أحسنه !!

غاية الذكاء ؟؟

« عن ابن عبّاس .. أنّ النبيّ .. ﷺ .. دَخَلَ الخلاَء ، فوَضَعتُ لَهُ وَضوءاً ..

• قالَ : مَنْ وَضَعَ هذَا ؟

• فاخبرَ ..

• فقال : اللّٰهمّ فَقِّهْهُ فِي الدّينِ . »

[أخرجه البخاري]

(وَضوءاً) هو الماء الذي يتوضأ به ..

(قال من وضع هذا ؟) أي قال النبي عليه الصلاة والسلام بعد الخروج من الخلاء : مَن وَضعَ الوَضوء ؟

(فاخبرَ) اي النبي عليه الصلاة والسلام .. وميمونة بنت الحارث ، خالة ابن عباس ، هي المخبرة بذلك .. لأن وضع ابن عباس الوضوء للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .. كان في بيتها ..

(اللهم فقهه في الدين) مناسبة دعائه عليه الصلاة والسلام لابن عباس بالتفقه في الدين لأجل وضعه الوضوء ..

• لكونه ﷺ .. تفرّس فيه الذكاء والفطنة .

• فالمناسبة أن يدعى له بالتفقه في الدين ..

• ليطلع به على اسرار الفقه في الدين ..

« فينتفع وينفع ..

« وذلك لأنه وضعه عند الخلاء ، لأنه كان أيسر له عليه الصلاة والسلام ..

« لأنه لو وضعه في مكان بعيد منه كان يحتاج إلى طلب الماء وفيه مشقة ما .

« ولو دخل به اليه كان تعرضاً للاطلاع على حاله وهو يقضي حاجته ..

« فلما رأى ابن عباس هذه الحالة أوفق وأيسر ..

« استدل عليه الصلاة والسلام على غاية ذكائه ، مع صغر سنه ..

« فدعا له بما دعا به ..

« وفيه استحباب المكافأة بالدعاء ..

« وفيه دليل قاطع على إجابة دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام ..

« لأنه صار فقيهاً اي فقيه .. » ؟!

شاب عبقري ؟!

عن ابنَ عباسٍ ، رضي الله عنهما ، قال :

• كانَ عُمرُ يُدْخِلني معَ أشياخِ بَدْرٍ .

• فقال بَعضُهم : لِمَ تُدْخِل هَذا الفتى مَعنا .. ولَنا أبناءٌ مِثلُهُ ؟!

• فقال : إنهُ مِمن قَدْ عَلمتمْ ..

• قال . فَدَعاهمْ ذَات يَومٍ ودعاني مَعهمْ .

• قال : ومَا رُئِيتُهُ يَوْمئذٍ إلاّ لِيريَهم مِني ..

• فقال : ما تقُولون ﴿ إذَا جَاء نَصرُ اللهِ والفتحِ • ورَأيت النّاسَ يَدْخلون .. ﴾ .. حتى خَتمَ السورةَ ؟

• فقال بعضهمْ : أُمِرْنا أن نَحمدَ اللهَ ونستَغفرَهُ إذا نُصرْنا وفُتِحَ عَلينا.

• وقال بعضهم : لَا نَدْري ..

« ولمْ يَقُل بَعضهم شَيئـاً ..

« فقال لي : يا ابنَ عبـــاسٍ .. أكذاكَ تقُول ؟

« قلْتُ : لا ..

« قال . فما تَقولُ ؟

« قلتُ . هُوَ أَجـــلُ رسولِ الله ، صلى الله عليه وسلم .. أعلمَـهُ الله لهُ .. إذا جـاء نَصرُ اللهِ والفَتحُ .. فَتحُ مَكـةَ .. فذاك عَلامَةُ أَجلِكَ .. ﴿ فسبحْ بحمدِ ربك واستَغفرْه إنهُ كان توّاباً ﴾ ..

« قال عُمر . ما أعلمُ منها إلا مَا تَعلَمُ . »

[اخرجه البخـاري]

(قال بعضهم) اراد به عبد الرحمن بن عوف ، ولم يقـل ذلك حسداً .. ولكنه أراد ان يكون له ابنـــاء مثله .. واراد بالفتى ابن عباس ..

(إلا ليريهم) إلا لأن يُريهم ..

(مِنِّي) أي بعض فضيلتي ..

(فقال لي) اي قال عمر بن الخطاب .

(أكذاك ؟) أمِثل ما قالوا تقول أنت أيضاً ؟

(قلتُ : لا) اي لا اقول مثل ما قالوا ..

(فما تقول ؟) اي قال : فما تقول أنت يا ابن عباس ؟

(قوله ما أعلم منها) اي من هذه السورة إلا مـــا تعلم أنت يا ابن عبــاس ..

(وفيه فضيلة بينة لعبدالله بن عباس ..)

★

اقول :

لقد تلألأت عبقرية ابن عباس .. في تأويل الكتاب على ملأ من اشياخ بدر .. وعظماء الصحابة !!

قوة ذاكرته ؟!

عن ابن عباس ..

« أنّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كانَ عَبداً يُقال له مُغيثٌ ..

« كأني أنظرُ اليهِ يَطوفُ خَلْفَها يَبْكي ، ودُموعُهُ تَسيل على لِحيتِهِ ..

« فقال النبيّ ، صلى الله عليه وسلم .. لعباسٍ : يا عَباسُ .. ألَا تعجَبُ مِنْ حبِّ مُغيثٍ بَريرَةَ .. ومِنْ بُغضِ بريرَةَ مغيثاً ؟

« فقال النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : لَوْ راجعْتِهِ ؟

« قالتْ : يا رسول الله تأمرُني ؟

« قال : إنما أنا أشفَعُ ..

« قالتْ : لا حاجَةَ لي فيهِ . »

[أخرجه البخاري]

(لعباس) هو ابن عبد المطلب .. عم النبي .. صلى الله عليه وسلم .. ووالد راوي الحديث ..

(قيل هذا يدل على ان قصة بريرة كانت متأخرة في السنة التاسعة أو العاشرة .

(لأن العباس إنما سكن المدينة بعد رجوعهم من غزوة الطائف .

(وكان ذلك في أواخر سنة ثمان ..

(ويؤيد هذا قول ابن عباس أنه شاهد ذلك ..

(وهو إنما قدم المدينة مع أبويه ..

(الا تعجب ؟) محل التعجب هنا هو أن الغالب في العادة أن المحب لا يكون إلا محبوباً وبالعكس ..

(لو راجعتِيهِ) وفي رواية ابن ماجه : لو راجعتيه ..

(تأمرني) أشيء واجب عليّ ؟)

★

اقول ..

لقد كانت ذاكرة ابن عباس قوية .. إنه يقص المشهد كأنه يشهده الآن !!

رجل دولة من الطراز الاعظم ؟!

• عنْ أبي مَعبَدٍ ، مَوْلى ابن عَباسٍ ..

• عن ابن عباس ، رضي الله عنهما .. قال :

• قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. لِمعاذِ بن جَبلٍ ، حين بعثهُ إلى اليمنِ ..

• إنكَ سَتأتي قَوْماً أهلَ كتابٍ ..

• فإذا جِئتَهمْ فادْعهم إلى أنْ يَشهَدُوا أن لا إله إلا الله وان محمداً رسولُ اللهِ ..

• فإنْ هُمْ أطاُعوا لَكَ بِذلِك فأْخبرهم أنّ اللهَ قَدْ فرَض عليهمْ خَمسَ صَلواتٍ في كلّ يَوّمٍ ولَيْلةٍ .

• فإنْ هُم أَطاعوا لَك بِذلِك فاخبرهمْ أنّ اللهَ قَدْ فَرَض عليهم صَدَقةً تُؤخذُ مِن أغنيائِهمْ فترَدّ على فُقرَائِهم ..

• فإنْ هُمْ اطاعوا لَك بذلِك فإياك وكرائمَ أموالهمْ ..

« واتق دَعوَةَ المظلومِ ، فإنهُ لَيسَ بَينَهُ وَبَيـنَ اللهِ حجَابٌ . »

[اخرجه البخاري]

(لا يستبعد حضور ابن عباس لذلك ، لأنه كان في أواخر حياة النبي .. صلى الله عليه وسلم .. وهو إذ ذاك مع أبويه ..

(ستأتي قوماً) توطئة للوصية ، لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة ، فلذلك خصهم بالذكر تفضيلاً لهم على غـيرهم ..

(فان هم أطاعوا لك بذلك) اي شهدوا وانقادوا ..

(فاياك) كلمة تحذير .

(و كرائم) جمع كريمة وهي النفيسة ..

(واتق دعوة المظلوم) اي تجنب الظلم لئـلا يدعو عليك المظلوم ..

(وقد جاء « ان دعوة المظلوم لا ترد وإن كانت من كافر » ..

(وروى أحمد مرفوعاً « دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه » ..

(ومعنى ذلك ان الرب سبحانه لا يرضى ظلم الكافر ، كما لا يرضى ظلم المؤمن ..)

اقول :

من هنا .. ومن مثل هـــذه الأحاديث الشريفة .. تخرّج ابن عباس .. رجل دولة كأعلى ما يكون رجل الدولة ثقافة وعلماً وسلوكاً وخُلُقاً وتربية !!

كما عَلّمَ رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. معاذَ بن جبل .. أصول السياسة .. وقواعد الاخلاق .. وأساس المُلك القائم على العدل ..

فان ابن عباس تَرَبّى في هذا الجو الطاهر الشريف .. المعطر بتوجيهات رسول الله ، ﷺ ..

فكيف لا يكون ابن عباس سياسيا عظيمـــا .. ورجل دولة كريماً ؟!

ابن عباس.. اينما ذهبت ؟!

« عن ابنِ عباسٍ .. رضي الله عنهما ..

« انّ النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ..

« وَقّتَ لأهل المدينةِ ذا الحُلَيفَةِ .

« ولِأهل الشامِ الجحْفَةَ ..

« ولِأهلِ اليمنِ يَلمْلَمَ ..

« ولأهل نَجدٍ قَرْنا .

« فهنّ لهنّ ولِمنْ أتى عَلَيهنّ مِنْ غَير اهلهنّ .

« ممن كانَ يريد الحج والعُمْرَةَ ..

« فمن كانَ دُونهنّ فمنْ أهلهِ حتى إنّ أهلَ مَكّةَ يُهلون منها . »

[أخرجه البخاري]

(وَقّتَ) اي حدّد .

(هنّ لهنّ) هذه المواقيت لهذه البلاد والمراد أهلها .

(ولمن أتي عليهن) اي على هذه المواقيت من غيرهن ، مثلاً إذا أتى الشامي إلى ذي الحليفة يكون مهله ذا الحليفة ..

(ومن كان دون ذلك) يعني من كان بين الميقات ومكة ..

(فمن حيث انشا) فمهله من حيث قصد الذهاب إلى مكة ، يعني يهل من ذلك الموضع ..

(حتى إن أهل مكة يهلون منها) إذا قصد المكي الحج فمهله من

مكة .. اما إذا قصد العمرة فمهله من الحل .. من التنعيم ..)

★

ماذا اريد ان اقول ؟!

اقول ..

اينما ذهبت من شُعَبِ هذا الدين .. هـــذا الاسلام .. وجدت ابن عباس يطالعك بفتاواه .. أو بآرائه .. أو بفقهـــه .. أو بتأويله . أو برواياته . فيمكن ان يُقال .. إذا أردت أي موضوع من موضوعات هذا الدين .. فتّش عن ابن عباس !!

وهذا الحديث نموذج واحد ممـا رُوي عنه في باب فريضة الحج .. فَصّل فيه أمر مواقيت الحج تفصيلا مُحكماً !

وكذلك هو دائماً في كل باب من أبواب هذا الدين العظيم !

وكم له من أحاديث في باب الحجّ .. وكم له من أحـاديث في كل باب !!

الحكمة والتأويل والتشريع ..

في فتوى واحدة ؟!

• عن ابن عباس ، رضي الله عنهما .

• أنّهُ سئلَ عن مُتْعةِ الحجّ .

• فقال :

• أهلّ المهاجرونَ والأنصارُ وأزواجُ النبي ، صلى الله عليه وسلم .. في حجّةِ الوداعِ ..

• وأهللنا ..

• فلما قدمنا مكةَ .. قال رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم : اجعلوا إهلالَكم بالحجّ عُمرَةً إلاّ مَن قلدَ الهَدى ..

• طُفنا بالبيتِ ..

• وبالصفا والمروَةِ ..

• ونَسَكْنا مَناسِكَ ..

« وأتينا النساء ..

« ولبسنا الثيابَ .

« وقالَ : من قلدَ الهدي فانهُ لا يحلُّ له حتى يبلُغ الهدْي مَحِله ..

« ثُمّ أمَرَنا عشيةَ الترويَةِ ان نُهِلّ بالحجّ .

« فاذا فرغنا مِنَ المناسكِ جِئنا فطُفنا بالبيتِ وبالصفا والمَرْوَةِ .

« فقدْ تمّ حجُّنا ..

« وعلينا الهدْيَ ..

« كما قالَ اللهُ تعالى :

﴿ فما استَيسرَ مِنَ الهَدْي فمَنْ لمْ يجِدْ فصِيامُ ثلاثةِ ايام في الحَجّ وسَبْعَةٍ إذا رَجَعْتمْ ﴾ ..

« إلى أمصاركم .

« الشاةُ تجزي ..

« فجمعَوا نُسُكينِ في عامٍ بَينَ الحجّ والعُمْرةِ ..

« فانّ اللهَ تعالى أنزَلَهُ في كتابه ..

« وَسنَّهُ نبيِّه .. ﷺ ..

« وأباَحه للناس غيرَ اهلِ مَكّةَ .

« قال اللهُ ذلك

﴿ لِمن لَم يَكُنْ اهلهُ حاضِري المسجِدِ الحَرَام ﴾ ..

« وأشهُرُ الحجِّ التي ذكرَ اللهُ تعالى ..

« شَوّالٌ . وذُو القَعْدَةِ .. وذُو الحجّةِ ..

« فمن تمتّع في هذه الأشهُرِ فعليهِ دمٌ او صَومٌ ..

« والرَّفث : الجماع .

« والفُسوق : المعاصِي ..

« والجدَال : المِرَاء . »

[اخرجه البخاري]

اقول :

اقرأ هذا الحديث الفذّ .. مرة ومرّات ..

وفكر مرة ومرّات ..

أيمكن ان يصدر هذا كله عن رجل واحد .. يُجيب على سؤال

واحد ؟!

انه يتنقل في كتاب الله كيف يشاء .. يستدل بالآيات .. ثم يكرُّ عليها شارحا ومؤولاً .. ويستدل بالسُنّة .. ثم يشرحها ويفصّلها .. ثم يفسر الكلمات كلمة كلمة في عربية فصحى ..

فهل هي فتوى .. ام تفسير .. ام سُنّة .. ام سيرة .. ام فقه .. ام رواية ؟!

كل اولئك كان في فتواه مسطوراً !!

(وأتينا النساء) وابن عباس غير داخل فيه لأنه حينئذ لم يكن مدركاً.. وإنما هو يحكي ذلك عنهم ..

اقول :

وهذا يزيده عبقرية على عبقرية .. فانه يتحدث عن حجة الوداع .. وقد شهدها غير مدرك .. حيث كان دون الثالثة عشرة . ومع هذا يروي احداثها خطوة خطوة .. ونسُكاً نسُكاً !!

ابن عباس .. في ليلة العيد ؟!

« اخبرني عبيدُ الله بن أبي يزيدَ ..

« سمع ابنَ عبَّاسٍ .. رضي الله عنهما .. يقـول :

« أنا مِمنْ قَــدَّمَ النبيُّ ، ﷺ ..

« ليلةَ المزدَلِفَةِ ..

« في ضَعَفَةِ أهلهِ . »

[أخرجه البخاري]

(في ضعفة اهله ' الضعفة الصبيان والنساء .. ويدخل فيـه المشايخ العاجزون ..

لأنه روي عن ابن عباس ان رسول الله .. ﷺ .. قدم ضعفة بني هاشم وصبيانهم بليل ، والعلة خوف الزحام عليهم .

وعن ابن عباس:

(أرسلني رسول الله ، ﷺ ، في ضعفة اهله .. فصلينا الصبح بمنى ورمينا الجمرة) .

عن ابن عباس قال :

(قدمنا رسول الله .. ﷺ .. ليلة المزدلفة اغيلمة بني عبد المطلب على جمرات ..)

★

اقول

في حجة الوداع .. في ليلة العيد .. عيد الاضحى .. كان ابن عباس ممن بعثهم رسول الله .. ﷺ .. من النساء والغلمان .. بالليل .. قبل الزحام ..

إلا أنه كانت له حافظة واعية ..

فأحاط بكل شيء في حجة الوداع !!

وحسبنا ما ذكرنا من احاديث رواها ابن عباس في الحج .. فلو

ذهبنا نستقصي ذلك ما وسعه سفر عظيم !

لقد كان ابن عباس في حجة الوداع غلاماً قارب البلوغ ..

يروي البخاري عنه :

« اقبلتُ وقَدْ ناهزْتُ الحُلمَ .. اسير على اتانٍ لي .. ورسول اللهِ .. ﷺ .. قائمٌ يصلي بِمنىً .. »

إلى آخر الحديث ..

وقال شارح الحديث :

(ناهزت : قاربت الحلُم .. والحلم : البلوغ) .

ومع حداثة سنّه .. وعى حجة الوداع ، ورواها مفصلة !!

أعجزتم ان تكونوا مثل هذا الغلام ؟!

« قال ابن عباس .. رضي الله عنهما :

« قال رسول اللهِ ، صلى الله عليه وسلم : هِيَ في العَشر ..

« هِي في تِسعٍ يَمضينَ أوْ في سَبعٍ يبقَينَ ..

« يعني ليلةَ القَـدرِ . »

[اخرجه البخاري]

(في تسع) اي في ليلة التاسع والعشرين ..

(او سبع يبقين) اي ليلة السابع والعشرين ..

عن معمر .. عن قتادة وعاصم .. انهما سمعا عكرمة يقول :

قال ابن عباس :

« دعا عمر ، رضي الله تعالى عنه ، اصحـــاب رسول الله ، صلى الله تعالى عليه وسلم ..

« وسالهم عن ليلة القدر ..

« فأجمعوا على انها في العشر الأواخر .

« قال ابن عباس لعمر : إني لأعلم أو أظن أي ليلة هي ؟

« قال عمر رضي الله تعالى عنه : اي ليلة هي ؟

« فقلت : سابعة تمضي ، او سابعـــة تبقى ، من العشر الأواخر ..

« فقال : من اين علمتَ ذلك ؟

« قلت : خلق الله سبع سماوات ، وسبع ارضين ، وسبعة ايام .. والدهر يدور في سبع ، والانسان خلق من سبع ، ويأكل من سبع ، ويسجد على سبع .. والطواف والجمار .. واشياء ذكرها ..

« فقال عمر : لقد فطنت لأمر ما فطنا له . »

وله طريق ، اخرجها اسحاق بن راهويه في مسنده ، والحاكم في مستدركه ، والبيهقي عنه في سننه ، من رواية عاصم بن كليب الجرمي عن أبيه ..

عن ابن عباس قال :

« كان عمر بن الخطاب يدعوني مع أصحاب محمد ، صلى الله عليه وسلم ..

ويقول لي : لا تتكلم حتى يتكلموا .

قال : فدعاهم وسألهم عن ليلة القدر .. فقال : ارأيتم قول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. « التمسوها في العشر الأواخر » .. أيّ ليلة نزولها ؟

« قال : فقال بعضهم .. ليلة ثلاث ..

« وقال آخر : خمس ..

« وأنا ساكت..

«فقال : مالك لا تتكلم ؟

« قال : فقلت احدثكم برأيي ..

« قال : عن ذلك نسالك ..

« قال : فقلت . السبع .. رأيت الله ذكر سبع سماوات ، ومن الأرض سبعاً ، وخلق الانسان من سبع ، ونبات الأرض سبع وذكر بقيته .

« فقال عمر : ما أرى القول إلا كما قلت .

« وقال في آخره .. فقال عمر :

« اعجزتم ان تكونوا مثل هذا الغلام الذي ما استوت شئون رأسه ؟!

ورواه محمد بن نصر في قيام الليل من هذا الوجه ، وزاد فيه

« وإن الله جعل النسب في سبع والطهر في سبع » ..

ثم تلا ..

﴿ حرمت عليكم امهاتكم ﴾ ..

* * *

اقول :

إذا قال عمر .. وهو ما هو ..

« اعجزتم ان تكونوا مثل هذا الغلام » ؟!

كان ذلك دليلاً على امتياز ابن عباس في الفقه والتأويل امتيازاً عظيمـــاً !!

مولى ابن عباس ..

يفتي في اهم الامور ؟!

« وَقَيَّدَ ابن عباسٍ .. رضي الله عنهما ، عِكْرِمَـــةَ ، على تعليم القُرآنِ والسُّنَنِ والفَرائِضِ » .

[اخرجه البخـاري]

(عكرمة .. هو مولى عبدالله بن عبـــاس ..

(اصله من البربر من اهل الغرب ، كان لحصين بن ابي الحر العنبري ..

(فوهبه لعبدالله بن عباس ، حين جاء والياً على البصرة لعلي ابن أبي طالب ، رضي الله تعالى عنه ..

• روى عن جماعة من الصحابة ..

• وأكثر عن مولاه[1] ..

• وروى عنه ابراهيم النخعي ومات قبله .

• والأعمش ، وقتادة ، والامام أبو حنيفة ، وآخرون كثيرون .

• وعن عبد الرحمن بن حسان .. سمعت عكرمة يقول : طلبت العلم أربعين سنة .

• وكنت افتى بالباب .

• وابن عباس في الدار !!

• وعن الشعبي : ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة ..

---

(١) اي عن عبدالله بن عباس

(مات بالمدينة سنة خمس ومائة ، وهو ابن ثمـــانين سنة ..

عن عكرمة قال .

(كان ابن عباس يجعل في رجلي الكَبْل (القيد) يعلمني القرآن ويعلمني السُّنّة .) !!

اقول ..

هذا تلميذ من تلامذة ابن عباس .. اسمه عكرمـة .. كان مولى لابن عباس ..

وهذا شأنه في العلم ..

إنه يفتي بالباب .. وابن عباس في الدار ؟!

فاذا كان هذا حال التلميذ .. فكيف كان عِلم الاستاذ الامام ؟!

ابن عباس يشهد اعظم حوار ..
بين عظماء الصحابة ؟!

عنْ عبد الله بن عباسٍ ..

« ان عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنه ، خرَج إلى الشّام .

« حتى إذا كانَ بسرْغَ لقِيه أمراء الأجنـــاد ، أبو عبيدَة ابن الجرّاحِ وأصحابه ..

« فاخبروه أنّ الوباء قَدْ وَقع بـارض الشامِ ..

« قال ابن عباسٍ .. فقـال عمر . ادْع لي المهاجرين الأوّلين .

« فدَعاهمْ ، فاستشارهم وأخبرَهمْ أنّ الوبَاء قـد وقع بالشامِ .

« فاختلَفوا .. فقال بعضهم . قدْ خرَجت لأمرٍ ولا نرى أن ترجع عنه ..

« وقال بعضهم . مَعكَ بقِيَّةُ الناسِ واصحـــاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. ولا نَرى أنْ تُقدِمهم على هذا الوباء ..

« فقال . ارتفعوا عني ..

« ثمّ قال : ادْعُ لي الأنصار ..

« فدَعوتُهم ، فاستشارَهم ، فسَلَكُوا سَبيل المهاجرين ، واختلفوا كاختلافِهمْ .

« فقال : ارْتفعوا عَني ..

« ثم قال : ادْعُ لي مَن كان هَا هنا مِن مَشيَخةِ قريشٍ من مهاجرةِ الفتحِ ..

« فدَعوتُهمْ ، فلمْ يَختَلف منهمْ عليهِ رجلان ..

« فقالوا نَرى أنْ ترجعَ بالناس ، ولا تُقدِمهمْ على هذا الوباءِ ..

« فنادى عمر في الناس : إني مُصَبِّحٌ على ظهرٍ فاصبحوا عليه ..

« قال أبو عُبيدَة بن الجرّاحِ : أفِراراً مِن قدر اللهِ ؟

« فقال عمر لوْ غَيرك قالَها يا أبا عبيْدةَ ؟!

« نعمْ ، نَفرُّ مِنْ قدَر اللهِ إلى قدَر اللهِ ..

« أرأيتَ لوْ كان لكَ إبلٌ هبَطتْ واديا لهُ عدْوَتان إحداهما خصبةٌ والأخرى جدبَة .. أليسَ إنْ رَعيت الخصبةَ رعيتها

بقدَر اللهِ .. وإنْ رعيت الجدْبَةَ رعيتها بقدرِ الله ؟

« قال : فجاءَ عبدُ الرحمنِ بن عوفٍ وكان متغيباً في بعض حاجتِهِ .. فقال : إنَّ عِندي فِي هـذا عِلماً ، سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول :

« **إذا سمِعتمْ بِهِ بأرْض فلا تقدَمُوا علَيْـهِ .. وإذا وَقعَ بأرضٍ وانتمْ بها فلا تخرُجُوا فِرارا مِنهُ ..**

« قـال : فحمدَ اللهَ عمر .. ثمَّ انصرف . » ..

[أخرجـه البخاري]

(خرج إلى الشام) كان ذلك في ربيع الآخر سنة ثمـان عشرة ..

(بسِرْغ) قرية في طريق الشام مما يلي الحجاز ..

(أمراء الأجناد) هم خالد بن الوليد ، ويزيد بن ابي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، وعمرو بن العاص ..

(فأخبروه) اي أخبروا عمر ، رضي الله تعالى عنه .

(أن الوباء) هو الطاعون ، وهو طاعون عمواس ..

(ادع لي المهاجرين الاولين) وهم الذين صلوا إلى القبلتين .

(ارتفعوا عني). اي فقال عمر : اخرجوا عني .

(من مهاجرة الفتح) اي الذين هاجروا إلى المدينة عام الفتح ، او المراد مسلمة الفتح ..

(إني مُصَبِّح) اي مسافر في الصباح راكباً على ظهر الراحلة راجعاً إلى المدينة ..

(فراراً من قدر الله تعالى) .

وفي رواية

(فقالت طائفة منهم ابو عبيدة : أمن الموت نفر إنما نحن نقدر ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كَتَبَ اللهُ لنا ﴾ ؟

(فإن قلتَ ما الفرق بين القضاء والقدر ؟

(قلت القضاء عبارة عن الأمر الكلي الاجمالي الذي حكم الله به في الأزل .. والقَدَر عبارة عن جزئيات ذلك الكلي ، ومفصلات ذلك المجمل التي حكم الله بوقوعها واحداً بعد واحد في الانزال ..

(قالوا : وهو المراد بقوله تعالى

﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه . ومـا ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ ..

(لو غيرك قالها ؟!) اي لو قال غيرك لأدبته ، وذلك

لاعتراضه على مسألة اجتهادية وافقه عليها اكثر الناس من اهل الحل والعقـــد ..

(أو . لم اتعجب منه .. ولكني اتعجب منك مع علمك وفضلك كيف تقول هذا ؟! او : المعنى ان غيرك ممن لا أفهم له إذا قال ذلك يعذر ..

« نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله » ..

وفي رواية : إن تقدمنا فبقدر الله ، وإن تأخرنا فبقدر الله .. وحاصل الكلام ان شيئاً ما لا يخرج عن القدَر .

(أرأيت) أي اخبرني ..

(له عُدْوتان) طرفان ، والعدوة هو المكان المرتفع من الوادي وهو شاطئه .

يعني الكل بتقدير الله ، سواء ندخل أو نرجع ، فرجوعنـــا أيضاً بقدر الله تعالى .

(فعمر رضي الله تعـــالى عنه استعمل الحذر ، وأثبت القدر معاً ، فعمل بالدليلين اللذين كل متمسك به ، من التسليم للقضاء ، والاحتراز عن الالقاء في التهلكة .

(فحمد الله عمر رضي الله تعالى عنه) يعني على موافقة اجتهاده

واجتهاد معظم أصحابه حديث رسول اللهِ ، صلى الله عليه وسلم ..

(وفي هذا الحديث من الفوائد ، خروج الإمام بنفسه لمشاهدة أحوال رعيته ، وإزالة ظلم المظلوم ، وكشف الكرب ، وتخويف أهل الفساد ، واظهار شعـــائر الاسلام ، وتلقي الأمراء والمشاورة معهم . والاجتماع بالعلماء ، وتنزيل الناس منازلهم ، والاجتهاد في الحروب ، وصحة القياس ، واجتناب اسباب الهلاك .)

*

ماذا اقول ؟!

اقول :

كان ابن عباس وهو يشهد هذا المشهد الخالد الخطير ابن احدى وعشرين سنة .. حيث خرج عمر إلى الشام سنة ثمان عشرة ..

إلا انه رغم حداثة سنه كان عُمر به حفيّاً !!

انه يكلفه بدعوة المهاجرين ، ثم الأنصار ، ثم مشيخة الفتح ، فوجاً في إثر فوج ..

وابن عباس كلّ مرة يدعو من طلبهم أمير المؤمنـــين .

ثم يصرفهم عمر ، ويقول لابن عبـاس : ادْع لي الأنصار ..

يقول ابن عباس : فدعوتهم ..

ثم يصرفهم عمر ويقول لابن عباس للمرة الثالثة : ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ..

يقول : فدعوتهم !!

إذن كان ابن عباس .. ابن الواحـد والعشرين ، هو كوكب ذلك المشهد الخطير !!

لماذا ابن عباس بالذات ، وهناك من الفتيان والشيوخ الكثـير أمام عمر ممن يصلحون لهذا الأمر؟!

لأن عمر وهو الذي جعل الله الحق على لسانه وقلبـه ، آنس من جانب ابن عباس استعداداً لتلك المهام السياسية فوق استعداده العلمي الفائق !

لقد كان ابن عباس في تلك المهمة في رحلة مكوكية بلغـة اليوم بين عمر والمهاجرين الأولين ، وعمر والأنصار ، وعمر ومشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، يتنقل بينه وبينهم ، يدعوهم طائفـة بعد طائفة .

إذن هو موضع ثقة عمر .. وثقة الجميع .. قد أجمعوا كلهم عليه ، وارتضوه سفيراً من امير المؤمنين اليهم ..

وطبيعي ان ابن عباس قد شهد المشهد من اوله إلى آخره ..

وسمع مناقشات عمر مع المهاجرين ، ومع الانصار ، ومع شيوخ مسلمة الفتح .

وشهد من قبل عظماء القادة ، وعلى رأسهم أبو عبيدة ابن الجراح .

يستقبلون امير المؤمنين !!

ماذا شهد ابن عباس ؟!

شهد عمر .. الرجل الذي فتح العالم كله .. وحكم العالم كله ، وعدل فيه كله !!

وشهد أبا عبيدة بن الجراح .. أمين الأمة ..

ثمّ امين !!

وشهد خالد بن الوليد ، سيف الله المسلول !!

ويزيد بن أبي سفيان ..

وشرحبيل بن حسنة ..

وعمرو بن العاص ، أطربون العرب ، وفاتح إفريقيا ..

أبطال وأي أبطال ، وعلى رأسهم عملاق الحق والحقيقة ..

الرجل الذي أفرع أهل الباطل وطاردهم مهما كانوا من أنحاء الأرض ..

عُمر .. وما أدراك ما عمر ؟!

وشهد كبار المهـــاجرين وهو يدعوهم إلى عمر ..

وشهد كبار الأنصار ..

ثم كبار مشيخة الفتح .

إذن كان المشهد يشهد عظماء الصحابة ، وكبار الأبطـــال .. يتلألأ عمر بينهم ..

وابن عباس هو الكوكب المتنقل بينهم جميعـاً ..

وتحاور عظماء الصحابة في أمر هذا الطـــاعون ..

وقال أمين الأمة رأيه .

وقال الفاروق رأيه ..

والقى ابن عباس بمسامعه وعقله وقلبه إلى ما يدور أمامه من عظائم الأمور .

فارتقى الفتى ابن عباس رُقياً عظيماً .

وارتفع علمه درجات ودرجـات ..

إنه على استعداد عظيم ليتفقه ويتعلم .

وها هى فرصة عظمى تاتيه..

فما له لا ينهل منها ؟!

اقول .. مِن هنا .. مِن مِثْل هذه المشاهد.. تكونت شخصية ابن عباس !!

فليس الأمر محض صدفة .. كلا وإنمـــا هو عبقرية فذّة .. شارك في الأحداث العظمى .. التي اجتمع لها مئـــات من عظماء الصحابة ..

في عهد الخلفاء الأربعة ومَن وراءهم من الخلفاء ..

فكيف لا يكون رجل دولة ، وسياسياً عظيماً ، فوق مـــا هو فقيه الفقهاء .. وعالم العلماء ، ورئيس المفسرين !!

ائتِ ابن عباس .. فَسلهُ ؟!

عن عِمرانَ بنِ حِطّان ، قال :

• سالتُ عـــائشةَ عن الحرير ..

• فقالتْ : ائتِ ابنَ عباسٍ فسَلهُ .

« قال : فسالتُه ..

« فقال : سَل ابنَ عمرَ ..

« قال : فسالتُ ابن ُعمر ..

« فقال : اخبرني أبو حَفْصٍ - يَعني ُعمرَ بن الخطـــاب - أنّ رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم .. قال :

« إنمـــا يَلبسُ الحريرَ في الدُّنيا مَنْ لا خلاقَ لهُ في الآخرةِ ..

« فقلتُ ، صَدَقَ وما كذَبَ أبو حَفْصٍ على رسولِ اللهِ ، صلى الله عليه وسلم . »

[أخرجه البخاري]

(من لا خلاق له) اي لا نصيب له في الآخرة ..

(فقلتُ صدق إلى آخره) القائل هو عمران بن حِطـــان المذكور ..

* * *

اقول .

نلتقط من هذا الحديث أن ابن عبـــاس كان الجميع يقرون له بالامامة في الفتوى ..

وها هي ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها تحيـــل السائل الى ابن عباس ..

فماذا كان من الامام ابن عباس ؟!

قال : سَلْ ابنَ عُمَر !!

هكذا .. لم يك حريصاً على الفتوى .. وإنه لخُلقٌ عظيم !!

غلام ذكي ؟!

عن ابنِ عباسٍ .. رضي الله تعالى عنهما .. قال :

« بتُّ ليلةً عندَ مَيمُونَةَ بِنتِ الحارثِ خالتي ..

« وكان رسولُ اللهِ ، ﷺ .. عِندَها في ليلَتها ..

« قال : فقامَ رسولُ الله ، صلى الله عليـــه وسلم ، يُصلي منَ الليـــل ..

« فقُمتُ عن يَسارهِ ..

« قال : فَأخذَ بِذُؤابتي ، فجَعَلني عن يَمينهِ . »

[أخرجه البخاري]

(فأخذ بذُؤابتي) الذؤابة ما يدلى من شعر الرأس.. وإنما يجوز اتخاذ الذؤابة للغلام إذا كان في رأسه شعر غيرها .. وأما إذا حلق شعره كله وترك له ذؤابة فهو المنهى عنه ..

* * *

اقول :

كان ابن عباس نبيها وذكيا وواعيا ..

إنه يذكر ان كانت له ذؤابة !!

اسلوبه في الفتوى ؟!

• سَمِعتُ النَّضْرَ بن أنس بن مَالِكٍ..

• يُحدّثُ قَتادةَ .. قال :

• كُنْتُ عِنْدَ ابن عباسٍ وهُمْ يَسألُونه .

• ولا يَذْكرُ النبيّ ، ﷺ ..

• حتى سُئِلَ ..

• فقال : سمعتُ محمداً ، ﷺ .. يقول :

• مَنْ صوّر صُورَةً في الدُّنيا كلّفَ يومَ القيامةِ أنْ ينفُخَ فيها الرُّوحَ وليسَ بنافِخٍ. •

[أخرجه البخاري]

الحديث أخرجه مسلم :

(كنت جالساً عهد ابن عباس ، فجعل يفتي ولا يقول .

قال رسول الله ، صلى الله تعـــالى عليـه وسلم .. حتى ساله رجل فقال : اني رجل أصور هذه الصورة .. فقال له ابن عباس : أدنه .. فدنا الرجل .. فقال ابن عبـــاس : سمعت رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. يقول : من صور صورة ..)

* * *

أقول ..

احكم وأرقى أسلوب في الفتوى ..

إنه ُيسال .. وُيفتي متدفقا كالبحر ..

حتى إذا ساله هذا الرجل .. ذكر له نصّ حديث رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. زجراً له عمّا هو فيه !!

ابنِ عباس يضع دستور
الدعوة الى الله ؟!

• عن عِكْرمةَ .

• عن ابن عباس ، قال :

• حدِّثِ الناس كلَّ جمعةٍ مرّة ..

• فإنَ أبيتَ فمرّتينِ ..

• فإن اكثرْتَ فثلاَث مِراراً .

• ولاَ تُملّ الناس هذا القرْآن ..

• ولا أُلفينّكَ تاتي القَوْمَ وهُمْ في حديثٍ مِن حديثهم .. فتقُصُّ علَيهمْ .. فتقطَع عليهم حديثهم ، فتُملهم ..

• ولكنْ أنصتْ فإذَا أمروك فحدِّثهمْ وهم يشتَهونه ..

• فانظرْ السَّجع مِن الدُّعاء فاجتنبْه .

• فإني عهدْت رسول اللهِ ، صلى الله عليه وسلم ، وأصحابهُ ،

لا يفعلون إلاّ ذَلِك ..

« يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب . »

[أخرجه البخاري]

(حدِّث الناس) أمر ارشاد وقــد بيّن حكمته ..

(ولا تُملّ الناس) من الاملال ، أي لا تملهم عن القرآن .

(ولا الفينك) اي لا اصادفنك ، ولا أجدنك .

(أنصت) أمر من الانصات ، وهو السكوت مع الاصغاء .

(أمروك) اي فإذا التمسوا منك ، والحال أنهم يشتهونه ، اى الحديث .

(فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه) اي اتركه ، فيه بيان كراهة السجع في الدعاء ، والسجع كلام مقفى من غير مراعـــاة وزن ، ومنه سجعت الحمامة إذا رددت صوتها .

وقيل إنما نهى عنه في الدعاء لأن طلبه فيه تكلف ومشقة وذلك مانع من الخشوع واخلاص التضرع فيه .

(لا يفعلون إلا ذلك) فسره بقوله ، يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب ..

(وفيه من الفقه ، انه يكره الافراط في الأعمال الصالحة خوف الملل عنها والانقطـاع .

(وكذلك كان النبي ، صلى الله عليـه وسلم ، يفعـل ، كان يتخول أصحابه بالموعظة كراهية السآمة عليهم ، وقال : أكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا

(وفيه أنه ينبغي أن لا يحدّث بشيء من كان في حديث حتى يفرغ منـه .

(وفيه انه لا ينبغي نشر الحكمة والعلم ولا التحديث بها ، من لا يحرص على سماعها وتعلمها ، لأن في ذلك اذلالاً للعلم وقد رفع الله قدره .)

*

اقول ..

وَضع ابن عباس هنا آداب الدعوة إلى الله .

اولاً .. التقليل من الثرثرة ، لأن الانسان سريـع الملَل ، يكفي

في الأسبوع مرّة !!

ثانياً ، البعد عن كل شيء يُبغّض الناس في القرآن ، وهــذا لا يتأتى إلا بالتقليل من الوعظ والارشاد ، ومحـاولة التعالم على الخَـلْق !!

ثالثاً ، احترام مشاعر الناس ، فلا يُقطع عليهم حديثهم ، فاذا آنس الداعية منهم شوقاً إلى العلم أعطاهم !!

رابعاً ، (وهُم يشتهونه) ؟ فيها مفتاح خطير يجب أن يفهمه كل من قام مقام الدعوة إلى هذا الدين .

كما ان الانسان لا يُقْبل على الطعام إلا إذا اشتهاه ، كذلك العلم لا يقبل عليه إلا إذا اشتهاه .

وعلى هذا فخير الدعاة ، أو خير الخطباء ، من فرغ من كلامه ، وترك الناس (وهُمْ يشتهونه) ، اي يودون لو زادهم من علمـه ، لحلاوة الأداء ، وقصر وقت الالقـاء !!

خامساً ، اجتناب السجع من الدعاء ، اجتناب التكلف والتقعر ومحـــاولة الظهور بمظهر القدرة على لَيِّ الكلام كيف يشاء .

وكأن فقيه الفقهاء ، ابن عباس ، يعلِّم في كلماته هذه ، كلّ من قام مقاماً يرشد الناس فيه إلى أمر من أمور هذا الاسلام .

أن يقِلوا من الكلام .

وأن يبتعدوا عما يؤدي إلى املال الناس من القرآن

وأن يكونوا طبيعيين ، لا سجع ولا سخافات من زخرف القول !

وإنما كلمات قليلات ، تمضي مع مشاعر الناس ، ومفاهيم زمانهم !!

ألا إن إمام الفقه ، وإمام التفسير ، يتحدث

ألا فانصتوا !!

السجود على سبعة اعضاء ؟!

عن ابن عباس ..رضي الله عنهما قال :

« قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : أُمِرْتُ أن أسجُد عَلى سَبعة أعظمٍ .

« على الَجبهةِ ـ وأشار بيدِه على أنفِه ـ واليدَين والرُّكبتين وأطرافِ القدَمين .

« ولا نكْفِتَ الثيابَ والشعرَ . »

[أخرجه البخاري]

(واشار بيده على أنفه) جملة معترضة ، والغرض منها بيان انهما عضو واحد .

(واليدين) المراد بهما الكفّان .

اقول :

إن ابن عباس يأخذ الدين راساً من رسول الله . صلى الله عليه وسلم !!

فهو يروي عنه .. ﷺ .. أعضاء السجود !!

هل كان ابن عباس .. يصلي خلف النبي .. صلى الله عليه وسلم ؟!

عن ابن عبـــاس .. رضي الله عنهما ، قــال :

« كُنْت أعرفُ انقِضاء صَلاةِ النبيّ ، ﷺ .. بالتّكْبـير . »

[أخرجه البخاري]

(واختلف في كون ابنِ عباسٍ قال ذلك ..

(فقال عياض : الظاهر أنه لم يكن يحضر الجماعة ، لأنه كان صغيراً ممن لا يواظب على ذلك ولا يلزم بـه ، فكان يعرف انقضاء الصلاة بما ذكره ..

(وقال غيره : يحتمل ان يكون حاضراً في اواخر الصفوف .. فكان لا يعرف انقضاءها بالتسليم ، وإنما كان يعرفه بالتكبير ، أي بالتكبير في ختام الصلاة ..

(قالوا : استدل بعض السلف على استحبـاب رفع الصوت بالتكبير والذكر عقيب المكتوبة ، وممن استحبـه من المتاخرين ابن حزم .

(وقال ابن بطال : أصحاب المذاهب المتبعة وغيرهم متفقون على عدم استحباب رفع الصوت بالتكبير ..)

اقول :

والآن : هل كان الغلام ابن عباس يصلي خلف النبيّ صلى الله عليه وسلم ؟!

الجواب ..

« لم يكن يحضر الصلاة بالجماعة في بعض الاوقات لصغره » ..

ويحتمل أن يكون حاضراً في اواخر الصفوف مع الغلمان !!

بلاغته في وصف صلاة الخوف ؟!

عن ابن عباسٍ ، رضي الله عنهما ، قال :

« قامَ النبيُّ ، صلى اللـه عليه وسلم .. وقامَ الناس مَعـــهُ ، فكبرَ وكبرُوا مَعـــهُ .. ورَكع وركع ناسٌ مِنْهم ، ثم سجد وسَجدوا مَعه ..

« ثمّ قام للثانيةِ ..

« فقامَ الذين سَجدُوا وَحرسوا إخوانهم ..

« وأتتِ الطائفَة الأخرى فركعوا وسجدوا مَعه ..

« والناس كلهم في صَلاةٍ ..

« ولكنْ يحرُس بَعضهم بَعضاً . »

[أخرجه البخاري]

اقول ..

هذا مثال من بلاغة حبر الامة ..

إنه يشرح صلاة الخوف في وضوح وإيجاز عجيب !!

عظيم ابن عظيم؟!

« عن أنس ..

« أنّ عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه .. كان إذا قحطوا استسْقى بالعباس بن عبد المطلب .

« فقال : اللهمّ إنا كنّا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا .

« وإنا نتوسلُ اليك بعمّ نبينا فاسقِنا ..

« قال : فيُسقَوْن . »

[أخرجه البخاري]

(عن أبي سلمة : كان ابو بكر الصديق إذا بعث جنداً إلى اهل الردة خرج ليشبعهم ، وخرج بالعباس معه ..

قال : يا عباس استنصر وأنا اؤمن ، فإني أرجو أن لا يخيب دعوتك لمكانك من نبي الله ، ﷺ ..

(عن عكرمة .. عن ابن عباس :

(إن العباس قال ذلك اليوم : اللهم إن عندك سحاباً ، وإن عندك ماء ، فانشر السحاب ، ثم انزل منه الماء ، ثم انزله علينا ، واشدد به الأصل ، وأطل به الفرع ، وادر به الضرع ..

اللهم شفعنا اليك عمن لا منطق له من بهائمنا وانعامنا ..

اللهم اسقنا سقياً وادعة بالغة طبقاً مجيباً .

اللهم لا نرغب إلا اليك وحدك لا شريك لك ..

اللهم انا نشكو اليك سغب كل ساغب ، وعدم كل عادم ، وجوع كل جائع ، وعري كل عار ، وخوف كل خائف) .

وفي حديث ابي صالح

(فلما صعد عمر ومعه العباس المنبر .

قال عمر ، رضي الله تعالى عنه ، اللهم انا توجهنا اليك بعم نبيك ، وصنو أبيه ، فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ..

(ثم قال : قل يا ابا الفضل ..

فقال العباس : اللهم لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولم يكشف إلا

بتوبة ، وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك ، وهذه أيدينا اليك بالذنوب ، ونواصينا بالتوبة ، فاسقنا الغيث .

قال فارخت السماء شآبيب مثل الجبال ، حتى أخصبت الأرض ، وعاش الناس ..)

* * *

اقول ..

إن ابن عباس ، عظيم ابن عظيم .. حقاً !!

هذا فضل ابيه ، وها هو يروي لنا ماذا قال ابوه !!

العبّاس يستسقون به .. فيمدّ يديه إلى الله ، فيقول له : لبيك عبدي ..

وابن عباس .. يرث هذه الموجات العليا عن ابيه .. ومن اشعاعاتها تتكون خلاياه !!

هذه هي أصول ابن عباس ، أو درجة والده عندالله ..

إلا أنّ الأعجب ، انه كان لابن عباس ابنٌ فيه من موجات أبيه العليا كذلك .

فمن هو هذا الابن العظيم ؟!

يسجد كل يوم الف سجدة ؟!

« وَجَمَّعَ عليٌّ بن عَبدِ اللهِ بن عباسٍ..

« وصلى ابن عُمرَ ..

«رضي الله عنهم »

[اخرجه البخاري]

اي جمع الناس (عليّ بن عبد الله) لصلاة الكسوف .

(وعليّ بن عبدالله ، تابعي ، ثقة ..

(روى له مسلم والأربعة وروى له البخـــاري في الأدب ..

(وكان اصغر ولد أبيه سنا ..

(وكان يدعى السجّاد ..

(وكان يسجد كل يوم الف سجدة ..

(وُلد ليلة قتل عليّ بن ابي طالب ، في شهر رمضان ، سنة أربعين

(فسمي باسمه ، وكني بكُنيته ، أبا الحسن ..

(وفي ولده الخلافة[1] .

(مات سنة أربع عشرة ومائة بالحميمة من أرض البلقاء في ارض الشام ، وهو ابن ثمان أو تسع وسبعين سنة ..)

* * *

اقول .. لئن كنت تعجب من صفات والد ابن عباس العليا .. فإن الأدعى للعجَب ، صفات ابن .. ابن عباس العُليا ..

فقد يقال : العباس صحابي جليل ، وعم رسول الله ، ﷺ ..

ولكن ماذا نقول في هذا التابعي الجليل ، اصغر ابناء ابن عباس ؟!

الف سجدة .. كل يوم ؟!

لا تفسير لذلك إلا قوله تعالى :

﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . ﴾

(١) يعني كان من نسله الخلافة العباسية بعد ذاك .

ابن عباس .. يسأل ام المؤمنين ؟!

• عنْ كُرَيبٍ ..

• أنّ ابن عَباسٍ ..

• والمِسْوَرَ بن مَخرَمةَ ..

• وعبد الرحمن بن ازهَرَ ، رضي الله عنهم ..

• ارْسلوهُ إلى عائشةَ ، رضي الله عنها ..

• فقالوا : اقرَأ عَليها السلام مِنا جميعاً ، وَسَلْها عن الرّكعتين بعدَ صَلاةِ العصر . وقُلْ لها إنا أخبرْنا أنك تُصليهما وقد بلغنا أنّ النبيّ .. ﷺ .. نَهى عَنهما !

• وقال ابن عباس وكُنت أضرب الناس مَع عمر بن الخطاب عنها

• قال كرَيبٌ : فدَخلتُ على عائشةَ ، رضي الله عنها ، فبلّغتها ما ارسلوني به .

• فقالت سَلْ أمَّ سَلمةَ ..

• فخرَجتُ اليهم فاخبرتهم بقولها ..

« فردُّوني إلى أمّ سلمةَ بمثل مـــا ارسلوني به إلى عائشةّ .

« فقالتْ أمُّ سَلمةَ ، رضي الله عنها : سَمعتُ النبي ، ﷺ .. يَنْهي عنها ، ثمّ رأيته يصلِّيها حِين صلى العصر ، ثمّ دَخـل عليَّ وعنْدي نِسْوةٌ مِن بني حرامِ مِن الانصار ..

« فارْسلْتُ اليه الجاريةَ فقُلْتُ : قومي بجنْبهِ قولي له : تقُول لكَ أمُّ سَلمَـة يا رسول الله سمعتُكَ تنهي عن هـــاتَين وأراكَ تصليهما ؟ فانْ اشار بيدِهِ فاستاخري عنه ..

« ففعلتِ الجاريةُ ..

« فـــاشار بيدِه .. فاستاخرّت عنهُ .

« فلما انصرف قال : يا بنْت أبي أمَيَّةَ ، سالتِ عن الركعتين بعْد العصْر ، وإنهْ أتاني ناسٌ مِن عبْدِ القيسِ فشغلوني عن الركعتين اللتين بَعْد الظهر ، فهما هاتان . »

[اخرجه البخـاري]

(ارسلو ه) اي ارسلوا كُريَباً إلى عائشة .

(يا بنت ابي أمية) ام سلمة ام المؤمنين واسمها هند بنت أبي أميّة .

اقول .. كل فِكر ابن عباس ، مستغرق في احكام الدين ..

إنه يريد ان يعلم لماذا تصلي أم المؤمنين عائشة ركعتين بعد صلاة العصر ؟!

فأرسل ابن عباس وصاحباه ، رسولاً إلى أم المؤمنين ، وهو كرَيب ، وقالوا له : سَلْها عن الركعتين بعد صلاة العصر ؟!

ماذا اريد أن أقول ؟!

أريد ان أقول ان الدين كان غضاً طرياً ، يأخذ على الناس اهتمامهم كلهم يبحثون عن احكام الدين ، وكلهم ينزلون على احكامه ..

انظر .. الثلاثة يبعثون كريباً ، إلى عائشة رضي الله عنها ..

وعائشة تقول له .. سلْ أمَّ سلمةَ !!

كلٌّ يبحث عن الحقّ ، لوجه الله !!

كانوا يضربون به المثل وهو اعمى ؟!

(باب شهادةِ الاعمى ..)

اي هذا باب في بيان حكم شهادة الأعمى ..

• وقال الزُّهريُّ . ارأيتَ ابن عباسٍ ، لوْ شهدَ على شَهادةٍ ،

أكنت تردُّه .) !؟

[أخرجه البخاري]

اي قال محمد بن مسلم الزهري إلى آخره .

وهذا يؤيد ما قاله الشعبي في الأعمى (تجوز شهادته إذا كان عاقلاً) وقلنا أن معناه كان فطناً كيساً .

وهذا ابن عباس ، رضي الله تعالى عنهما ، كان افطن الناس ، واذكاهم ، وأدركهم بدقائق الأمور ، في حال بصره ، وفي حال عماه ، ولذلك استبعد رد شهادته بعد عماه ..

(وكان ابن عباس يبعث رجلاً إذا غابت الشمس افطر ، ويسأل عن الفَجر فاذا قيل له طَلَع ، صلى ركعتين .)

[أخرجه البخاري]

اي كان عبدالله بن عباس يبعث رجلاً يفحص عن غيبوبة الشمس للافطار ، فاذا أخبره بالغيبوبة أفطر ، ووجه تعلقه بالترجمان كون ابن عبّاس قبل قول الغير في غروب الشمس أو طلوعها وهو أعمى ولا يرى شخص المخبر وإنما يسمع صوته ..

، اقول :

انهم يضربون المثل باعظم رجل في نظرهم :

أرايت ابن عباس لو شهد على شهادة اكنتَ تردهُ ؟!

ابن عباس .. يوجّه الاجيال ؟!

عن ابن عبّاسٍ، رضي الله عنهما .. قال :

« يا مَعشرَ المسلمين ..

« كيفَ تَسْألون أهْل الكتاب .. وكتابكم الذي أنزل على نبيهِ، صلى الله عليه وسلم .. أحدثُ الأخبار بالله ؟!

« تقرَؤونهُ لم يُشبْ .

« وقد حدّثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله وغيّروا بأيديهم الكتاب ..

« فقالوا هو مِن عِندِ اللهِ لِيشتروا به ثمناً قليلاً ؟!

« أفلا ينهاكم ما جاءكمْ مِن العلم عنْ مُسائلَتهم ؟!

« ولا واللهِ ما رأينا مِنهم رجلاً قطّ يسألكم عن الذي أنزل عليكم.»

[أخرجه البخاري]

(كيف تسالون أهل الكتاب ؟) انكار من ابن عبّاس عن سؤالهم من اهل الكتاب ..

(وكتابكم) اي القرآن .

(احدث الأخبار) ومعناه أنه أقرب الكتب نزولا اليكم من عند الله.

(لمْ يشب) من الشوب وهو الخلط ، اي لم يخلط ولم يبدل ولم يغير ، وفي مسند أحمد رحمه الله من حديث جابر مرفوعاً

« لا تسالوا أهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا » الحديث.

(بدلوا) من التبديل ، قال الله تعالى في حق اليهود

﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا ﴾ ..

(ولا واللهِ) يعني هم لا يسالونكم ، فانتم بالطريق الأولى أن لا تسالوهم ..

وفيه أن اهل الكتاب بدّلوا وغيروا كما أخبر الله تعالى عنهم في القرآن الكريم

وسال محمد بن الوضاح ، بعض علماء النصارى فقال : ما بال كتابكم معشر المسلمين لا زيادة فيه ولا نقصان ، وكتابنا بخلاف ذلك ؟

فقال : لأن الله تعالى وكل حفظ كتابكم اليكم ، فقال :

﴿ استحفظوا من كتاب الله ﴾ ..

فلما وكله إلى مخلوق دخله الخرم والنقصان ، وقال في كتابنا :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ..

فتولى الله حفظه ، فلا سبيل إلى الزيادة فيه ولا النقصان منه .

*

اقول ..

هذا المنطوق من كلام ابن عباس راساً .. فيه اشعاع خطير .. يكشف عن درجة ابن عباس العليا في العلم والمعرفة والفقه !!

كيف تسألون اهل الكتاب ..

وكتابكم .. أحدث الاخبار بالله ؟!

سؤال عبقريّ ، صادر عن عقلية جبارة هدّارة فوّارة !!

لم تغرره تلك الكنوز المقنطرة من الأسفار والبحوث التي سطرها الأحبار والرهبان على مرّ العصور في فلسفة اللاهوت والناسوت .

لم يغرره ذلك كله ، وإنما سلّط إشعاعه القاهر عليها .. فرآها

تخاليط من الحقائق والاوهام .

فصاح في هذه الأمة إلى يوم القيامة : كيف تسألون أهل الكتاب ؟!

وكتابكم .. أحدث الاخبار بالله !

عبقرية أخرى .. فان آخر الاخبار العالمية في الصحافة ـ مثلاً ـ يبطل الاخبار القديمة .. كذلك هذا القرآن هو آخر خبر نزل من عند الله ، فكيف نلتفت إلى أخبار قديمة نسختها اخبار جديدة نزلت من بعدها ؟!

تقرؤنه لم يشب !

ها هنا العبقرية العظمى من نظرية ابن عباس الكبرى !

لو أنّ ما عند اهل الكتاب بقِيَ كما أنزله الله اليهم ، فلا مانع من سؤالهم .. ولكن المصيبة أنهم بدّلوا وغيروا ، وهذا ما يمنع من سؤالهم !!

لانهم هم أنفسهم حائرون ..

والحيارى لا يهتدون ولا يَهدون !!

ثم أنظر إلى عبقرية ابن عباس حين يقول :

« ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قطُّ يسألكم عن الذي أُنزِلَ عليكم ..

هم يستكبرون أن يسألوكم .. ظنّاً منهم أنّ ما عندهم هو غاية العلم ، فعاملوهم معاملة المِثْل .. واحترموا أنفسكم ، ولا تتهالكوا على ما عندهم فانهم ليسوا على شيء !!

وهكذا ابن عباس !!

موهوب مؤهل .. ان يُرْفَع إلى أعلى درجات الفَهْم لحقائق الامور !!

جِبريل سماه حَبر هذه الامة !

عن سعيدِ بن جُبيرٍ .. قال :

« سألَني يَهوديٌّ مِن أهلِ الحِيرةِ : أيُّ الأجَلَين قضى موسى .

« قلْت : لا أدري .. حتى أقدَم على حَبرِ العرَبِ .. فأسأله ..

« فقَـدِمت ..

« فسالت ابن عباس ..

« فقال : قَضى اكثرَهما وأطيبهما .. إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. إذا قال فعلَ . »

[أخرجه البخاري]

(من اهل الِحيرَة) مدينة بالعراق قريب الكوفة ..

(ايّ الاجلين) اى المشار اليهما في قوله :

﴿ ثماني حجج فان اتممت عشراً فمن عندك ﴾ ..

(حتى اقدم) اى على ابن عباس بمكة ..

(على َحبر العرب) هو العالم من علماء الديانة مسلماً كان أو ذمياً ، والجمع أحبار .. يقال للعالم َحبر ..

(وقال ابن الاثير : وكان يقال لابن عباس الحَبر ، والبحر .. لعلمه وسعته.

(واختلفوا فيمن سماه بذلك ..

(فذكر أبو نعيم الحافظ .. انتهى يوماً إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وعنده جبريل عليه السلام ..

فقال له :

« إنه كائن حَبر هذه الامة فاستوص به خيراً » ..

وفي المنثور لابن دريد الازدى ..

إن عبدالله بن سعد بن أبي سرح لما أرسل ابن عباس رسولا ، إلى جرجير ملك المغرب ، فتكلم معه ..

فقال له جرجير :

« ما ينبغي إلا ان يكون حَبر العرب .. »

فسمي عبدالله من يومئذ الحَبر ..

(قضى أكثرهما واطيبهما) كذا رواه سعيد بن جبير موقوفاً ، وهو في حكم المرفوع .. لان ابن عباس كان لا يعتمد على اهل الكتاب ..

وقد صرح برفعه عكرمة عن ابن عباس ، ان رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم .. سأل جبريل عليه السلام :

« اي الاجلين قضى موسى ؟ قال : اتمهما واكملهما » ..

وفي حديث ابي سعيد ، اتمهما واطيبهما عشر سنين .. والمراد بالاطيب ، اى في نفس شعيب عليه السلام ..

(ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم .. إذا قال فعل)

اى موسى عليه السلام .

أو اراد جنس الرسول فيتناوله تناولاً اوليا ..

*

اقول .. اى شرف ناله ابن عباس ، حين قال جبريل عليه السلام :

« انه كائن حبر هذه الامة فاستوص به خيرا . » ؟!

وشبّ الغلام السعيد ، وتحقّق ما نبأ به جبريل عليه السلام ..

فشاع وذاع في المشارق والمغارب انّ ابن عباس حَبر العرب ، وحَبر هذه الامة ..

وسوف يظل ابن عباس إلى ما شاء الله حَبر هذه الامة ..

لان الأُمة لا غنى لها عن كتاب ربها وسُنَّة نبيّها .

لانهما لها كالماء والهواء للكائن الحيّ ..

إذن لا غنى لها عن ابن عباس ، لانه الذى أوتي تأويل الكتاب وأوتي الحكمة اى السُّنَّة !!

إلا انّ ما هو اعجب ان يكتشف جرجير ملك المغرب من ابن عباس هذه العبقرية .

لقد أرْسِل ابن عباس اليه رسول مفاوضات .

فآنس من جانبه عبقرية سياسية لم يشهدها من أحدٍ سواه .

فقال له جرجير ، ملك المغرب آنذاك : ما ينبغي إلا أن يكون حبر العرب !

والفضل ما شهدت به الاعداء !!

لو كنتُ أنا لم أحرِقهم !

عن عكرمة ، قال :

« أتِيَ عليٌّ ، رضي الله عنه ، بزنادِقةٍ .. فأحرَقهم ..

« فبلغَ ذلِك ابن عباس فقال :

« لو كنتُ أنا لمْ احرِقهم ..

« لِنهي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. لا تُعَذّبوا بعذابِ اللهِ .

« وَلَقَتَلتُهم ..

« لقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. مَنْ بَدّل دينه فاقتلوه . »

[أخرجه البخاري]

(عكرمة) مولى عبدالله بن عباس .

(بزنادقة) جمع زنديق ، والاسم الزندقة .

(واختلف في تفسيره ، فقيل : هو المبطن للكفر المظهر للاسلام المنافق ، وقيل : قوم من الثنوية القائلين بالخالقَين ..

(وقيل : من لا دين له .. وقيل : هم طائفة من الروافض تدعى السبئيـة .

(ادعوا ان علياً .. رضي الله تعالى عنه .. إله ا وكان رئيسهم عبدالله بن سَبَأ .. وكان اصله يهوديا ..

(فـأحرقهم) .. روى الطبراني في الأوسط ، من طريق سويد ابن غملة ، أن علياً .. رضي الله تعالى عنه ، بلغه أن قوماً ارتدوا عن الاسلام ، فبعث اليهم فاطعمهم ، ثم دعاهم إلى الاسلام ، فأبوا .. فحفروا حفيرة ، ثم أتى بهم ، فضرب أعناقهم ، ورماهم فيهـا ، ثم القى عليهم الحطب فأحرقهم ، ثم قال . صدق الله ورسوله .

(فبلغ ذلك ابن عباس) أي بلغ ما فعله عليّ من الاحراق بالنار ..

« وكان ابنْ عبّاسٍ حينئذ أميراً على البصرة .. من قِبَل عليّ .. رضي الله تعالى عنه ..

(لنهي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. لا تُعذّبوا بعذابِ اللهِ) أي لنهيه عن القتل بالنار بقوله لا تعذبوا .

(واختلف في الزنديق .. هل يستتاب ؟

(فقال مالك والليث وأحمد واسحاق : يُقتل ولا تقبل توبته ..

(روي عن أبي حنيفة انه قال : إن أتيت بزنديق استتيبه فإن تاب وإلا قتلته ..

(وقال الشافعي : يستتاب كالمرتد ..)

اقول :

نلتقط من هذا الحديث .. انّ ابن عباس .. كان يرى رايه .. في ضوء قال الله وقال الرسول .. غاية الحرية الفكرية !!

حتى ولو خالف رأيه .. ما رآه امير المؤمنين .. عليه السلام !!

ذو الجلال ؟

.. قـال ابن عباسٍ :

(ذُو الجلالِ : العَظَمَةِ ـ البرُّ : اللطِيفُ .)

[أخرجه البخاري]

(قال ابن عباس) أي قال عبد الله بن عباس .. تفسير الجلال : العظمة .. وفي رواية ذو الجلال : العظيم .

(قوله البَرُّ اللطيف) أي قال ابن عباس البرُّ : اللطيف .)

*

اقول :

مثال من تأويل ابن عباس لكلمات القرآن !

لا اله الا الله ؟

عن ابن عباسٍ ، رضي الله عنهما ، قال :

« كانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم .. يَقول عِند الكَرْبِ ..

« لا إلهَ إلاّ اللهُ العليمُ الحَليمُ ..

« لا إلهَ إلاّ اللهُ ربُّ العَرْش العظيمِ ..

« لا إلهَ إلاّ اللهُ ربُّ السماواتِ وربُّ الأرضِ وربُّ العرْش الكريمِ . »

[اخرجه البخاري]

(وهذا الذكر من جوامع الكلم .) !!

وأخيراً اقول :

هل استوفينا الكلام عن شخصية ابن عباس ؟!

اللهم لا .. ولكن خطوطاً عريضة .. تشير الى ملامح الصورة .

والآن .. هلمّ الى حقيقة ابن عباس !!

حقيقة ...

ابن عباس .؟!

لكلٍّ

ظاهر باطن ..

والظاهر مرآة الباطن .

فما حقيقة ابن عباس ؟!

اصول كريمة !

فهو عبدالله .. ابن مَن ؟.

ابن العباس .. عمّ رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

ومَن العباس ؟!

هو الذي عندما رفع يديه إلى السماء ، اللهم اسقنا .. انهمر الماء من السماء ..

إذن هو غلام هاشمي قرشي ..

في أعلى مراتب النسَب الشريف ..

خالته زوجة مَن !

زوجة ، سيد الخَلْق .. سيد البشَر .. سيد الأولين والآخرين .. محمد .. صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ..

ابن عمّ مَن !

ابن عمّ .. نبيّ الله .. وخاتم رسل الله ، محمد ، بن عبد الله ، ابن عبد المطلب ، ﷺ ..

وهو عبدالله .. بن عباس .. بن عبد المطلب !!

ترعرع في النور !

حتى إذا امتاز بالأصول الكريمة ، فهو القرشيّ ابن القرشيّ ..

ترعرع غلاماً ، ثلاث سنين بمكة ، ثم هاجر ﷺ إلى المدينة ..

فمكث الغلام مع أبيه العباس بمكة .

حتى هاجر مع أبيه في أثناء غزوة فتح مكة .

ونزل المدينة ليستفتح عهداً مباركاً ميموناً في حيـــاته .

وشهد المشاهد التي تناسب سنّه الصغير ..

وصلى ليلة عن يمين رسول الله ، ﷺ .. وهو في بيت خـالتـه أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنهـــا ..

وشهد صلاة العيد .

وشهد حجة الوداع .

وكان يشهد صلاة الجمـــاعة أحياناً مع الصبيان في الصفوف الخلفية.. خلف رسول الله ﷺ .

إلى غير ذلك من المشاهد التي تناسب سنه الصغير .

فهو نبت طيب يترعرع في أحسن مجتمع على الاطـــلاق ، مجتمع النبي ﷺ ، والذين معـه !!

عاصر عصر الخلفاء الاربعة ..

وبدء ابن عباس بعد وفاة النبي ، ﷺ ، في السنة العـاشرة . يستقبل حياته في عهد أبي بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم عليّ ، رضي الله تعالى عنهم .

وكان له نشاطه المبارك في عهد كل خليفة من الخلفاء الأربعة .

ثم عاصر عهد معاوية بن أبي سفيان كاملاً .

ثم عاصر عهد يزيد بن معاوية كله .

ثم عاصر عهد معاوية بن يزيد بن معاوية .

ثم عاصر عهد مروان بن الحكم .

ثم عاصر عهد عبد الملك بن مروان .

وفي عهده مات ابن عبـاس !

اخذ الاسلام من منابعه رأساً ..

فما معنى هذا ؟!

ما معنى أنّ ابن عباس عـــاش الاعوام السبعين الاولى من الإسلام ؟!

معناه كبير جداً ..

إنه هو الشخصية التي أوتيت الاسلام نظرياً وتطبيقيـــاً .

أوتي الإسلام نظرياً ، تاويل الكتاب ، ومعرفـــة السُّنن .

وأوتي الاسلام تطبيقياً ، في خير قرون الإسلام على الاطلاق ، القرن الاول .

ولا يتصور أكمل ولا أشمل من هذا الذي احتمع لابن عباس ، أسلوباً يؤدي بالشخصية أن تكون على دراية تامة بكل صغير وكبير من أمور هــذا الدين .

وعلى هـذا يُعتبر ابن عباس مثـــالاً نادراً ، من الامثلة التي يتحقق فيها ظهور الاسلام كبنيان كامل غير منقوص .

فإن سبعين عاماً ، هي عمر ابن عباس ، عاشها ممتدة من عهد النبي ﷺ ، ثم إلى أبي بكر ، ثم إلى عمر ، ثم إلى عثمان ، ثم إلى عليّ ، ثم إلى معاوية ، ثم إلى يزيد ، ثم إلى معاوية بن يزيد ، ثم إلى مروان بن الحكم ، ثم إلى عبد الملك بن مروان .

إن سبعين عاماً كانت هي الإسلام ، والاسلام هي .

كان يعيشها ابن عباس عبقرياً موهوباً ، يعي كلّ ما حوله من وقائع ، ويُفتي فيما يُسأل من مسائل ، ويُؤَمَّن فيما يُولَّى من مناصب ..

الجماهير تفد اليه تستفتيه .

والامراء يرجعون اليه فيما أشكل عليهم

وحسبك أن أمير المؤمنين ، عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام ، ولاّه البصرة.

واختاره في قضية التحكيم ممثلاً شخصياً له في التحكيم .

لولا أن الخوارج أبَوْا إلا أبا موسى الاشعري !!

الذي اريد ان أقوله ، محصلة الخبرة الطويلة ، في التطبيق الاسلامي الصحيح ، التي كانت عند ابن عباس ، يستخرجها إلى ذاكرته إذا أفتى ..

ويحشدها دلائل لرأيه إذا رأى رأياً !!

وهـذا ما ينفرد به ابن عبـاس .

فان قيل : ألم يكن عبد الله بن عمر كذلك ، عاصر مـا عاصر ابن عباس ، بل مات بعده ؟!

اقول :

صحيح ان ابن عمر مات سنة ثلاث وسبعين ، وهو ابن ثـلاث وثمانين سنة .

اي بعد ابن عباس بنحو خمس سنين .

ولكن ابن عمر لم يُؤتَ ما أوتيَ ابن عبـاس .

لقد أوتي ابن عباس الفقه والتـــأويل .. والاستعداد لذلك تكوينـــاً .

« اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » !!

فاذا كان ابن عمر ، رضي الله عنهما ، عاش اكثر .. إلا أنـ ابن عباس أوتي اكثر !!

وهذا فضل الله يُؤتيه من يشاء !!

مثال رائع للمسلم الصحيح

كان ابن عباس مثالاً رائعاً ، للمسلم الصحيح الذي يمثل الاسلام تمثيلاً صحيحاً

وإنما جاءه هذا التكامل من منبعين .

فقهه الكامل للإسلام . .

تطبيقه الكامل للإسلام .

أما فقهه فمشهور ومعلوم على مستوى العالم .

وأما تطبيقه للإسلام ، فمأثور عنه متفق عليه ..

فاذا رأيتَ ..

ثمّ رأيتَ ، ابن عباس إماماً جليلاً ، وفقيهاً على الغاية من الفقه .. يصول ويجول في أنحاء الكتاب والسُّنّة كيف يشاء ، في غير التواء ولا تعقيد ..

ثمَّ هو أوّل من يأخذ نفسه بهذا الدين أصولاً وفروعاً ، وفروضاً ونوافل .

فخرج من هاتين مثالاً جميلاً جليلاً للعالم العامل !!

ما كان ابن عباس ثرثاراً بفتاواه ذات اليمين وذات الشمال ..

ثم يذهب بعد ذلك إلى فراشه يتمطّى ..

لا يعنيه من أمر الحقّ قليلاً أو كثيراً .

كلا ولكن كان كثير البكاء من خشية الله .

﴿ إنما يَخشَى اللهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ ﴾ ..

ومَن يكون عالماً إن لم يكن ابن عباس ؟!

فكان بذلك أحسن قدوة للجماهير ، يرون فيه العالم الخاشع الراكع الساجد ، لا يهاب أحداً إلا الله !!

ابن عصره

كثير من الناس اليوم يقولون : لماذا فقد علماء الدين اليوم مهابتهم وتأثيرهم على النفوس. وقد كانوا إذا تكلموا خشعت الأصوات ، وإذا نهوا عن منكر زُلزل الحاكمون ؟!

الجواب . السبب يرجع إلى أمرين ..

الأمر الاول : أنّ كثيراً من العلماء ، أقبلوا على الدنيا .. وأعرضوا عن الآخرة ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، فلم يعدْ لهم من التأثير ما كان لاسلافهم العظام ..

وآية ذلك ان القلة القليلة من العلماء الذين ما زالوا على الحق ، يعملون لوجه الله ، ما زالوا موضع تقدير الجماهير ، ومهابة الحاكمين !!

الامر الثاني : أن العصر نفسه قد تغير ، قد فَسَد ، ولا كرامة لعالِم في قوم فاسدين ، لأنه يضاد غرائزهم ، غرائز البهائم ، فأنّى يلتقيان ؟!

وهذا ما ينبغي أن نفهمه من شخصية ابن عباس ، حتى لا نشطِط في الفَهْم والإدراك ..

ابن عباس ، كان عظيماً .

نعم باتفاق ..

وابن عباس ، كان فقيهاً افقه الفقهاء ..

وعالماً مرجع العلماء .

ومفسّراً رئيس المفسرين .

وبَحر الامة ، اوسع البحار .

وحبر الامة ، حبر الاحبار ..

نعم ، نعم .. كل هذا صحيح .

ولكن : هل إذا كان ابن عباس هذا ، بكل صفاته العليـــا هذه ، قائماً في عصرنا هذا ، في ايامنا هذه ، كان يمكن ان يبلـغ هذا المقـام ؟!

الجواب : كلاّ ..

فهذه الفاتحة ، ولكن أين عُمر !

هـذا هو ابن عباس ، بكل مزاياه ، ولكن ابن القرن الاول بكل ظروفه ؟!

لأن ابن عبّاس نال ما نال ، لأن هنـــاك أمير مؤمنين مثل عليّ بن أبي طالب يسمع له ويأخذ برأيه .

وهناك أمير مؤمنين مثـل عُمر بن الخطاب ، يفرح فرحـاً شديداً ، حين شهد له ابن عباس بالخير ، فيقول له عمر وهو يحتضر : أتشهد لي بهذا يا بن عباس ؟!

هناك تفاعل بين القمة والقاعدة ، يقوم على قيم الاسلام .

وهناك تفاعل بين الامراء والعلماء ، يقوم على علم الاسلام وفقه الاسلام

وهناك اجماع من الامة كلها ، حكامها ومحكوميها ، على الاسلام ، والتحاكم إلى الاسلام ، وإقامة الحياة كلها على شرائع الاسلام .

هنالك يُوَقِّرون علماءهم ، ويحترمون أحبارهم .

لان الانسان يحترم دائماً مَن يُعبّر عمّا في نفسه .

فابن عباس كان ابن عصره .

وعصره كان خير عصر ، عصر القرن الاول ، خير القرون قرني ثم الذي يليه ثم الذي يليه .

فهو من هنا ترعرع في البيئة الصالحة لنمو مواهبه إلى أقصى غاياتها !!

مجاهد جميل الطلعة ؟!

وأخيراً ، ما هي صورة ابن عباس ؟!

• كان جميلاً

• أبيض طويلاً

• جسيماً

« وسيماً

« صبيح الوجه

« فصيحاً » !!

تلك صورته ، فما حقيقته ؟!

« كان ابن عباس قد فات (سَبقَ) الناس بخصال :

« بعلم ما سَبقَه .

« وفقهٍ فيما احتيج اليه من رأيه .

« وحِلْم .

« ونَسَب

« وتأويل

« وما رأيت أحداً كان أعلم بما سَبقه ، من حديث رسول الله ﷺ ، منه !

« ولا بقضاء أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، منه !!

« ولا أفقه في رأي منه !!

« ولا أعلم بشعر ، ولا عربية ، ولا بتفسير القرآن ، ولا بحساب ، ولا بفريضة منه !!

« ولا أثقب رأياً فيما احتيج اليه منه !

« ولقد كان يجلس يوماً ، ولا يذكر فيه إلا الفقه !!

« ويوماً التأويل !!

« ويوماً المغـازي !!

« ويوماً الشعر !!

« ويوماً أيام العرب !!

« ولا رأيت عالماً قط جلس اليـه إلا خضع له !!

« وما رأيت سائلاً قط سأله إلا وجد عنده علماً . » !!

أعظم دولة في الاسلام ...

تؤسس بانتسابها الى ...

أصغر ابناء ابن عباس ؟!

مات

ابن عباس ، سنة ثمان وستين ..

وترك من ورائه ذريته ..

وهذا شيء طبيعي يحدث كل يوم وليلة ..

إلا أنّ أمراً عجَباً حدث منه أعجب شيء .

أنّ ابنه .. هو :

« عليّ .. بن عبد الله .. بن عباس » ..

وكان عليّ هذا أصغر أبناء ابن عباس ..

انتسب اليه شيعة بني العبـاس ، وتجمعوا ودّبروا .. حتى كان لهم ما أرادوا ، وأسسُوا أعظم دولة في الاسلام .. بــــل في التاريخ كله ..

الدولة العباسية !!

فكيف كان ذلك ؟

الاثر الذي رواه البخاري ..

نعيد هنا مختصراً للأثر الذي رواه البخـــاري وذكرناه عن قريب ، تحت عنوان :

« **ويسجد كل يوم الف سجدة ..** »

« وَجَمّعَ عليٌّ بنُ عبدِ اللهِ بن عبّاسٍ .. وَصلى ابن ُعمرَ .. رضي الله عنهم . »

[أخرجه البخاري]

(اي جمع الناس .. عليّ بن عبـــدالله .. لصلاة الكسوف ..

(وعليّ بن عبدالله .. تابعي ثقة : روى له مسلم والأربعة .. وروى له البخاري في الأدب ..

« وكان أصغر ولد أبيه سنّاً ..

• وكان يُدعى السجّاد ..

• وكان يسجد كل يوم الف سجدة ..

• ولِد ليلة قتل عليّ بن أبي طالب، في شهر رمضان، سنة
بعين ..

• فسمي باسمه، وكني بكُنيته، أبا الحسَن.

• **وفي ولده الخلافة !!**

• مات سنة أربع عشرة ومائة بالحميمة من أرض البلقاء في
ض الشام، وهو ابن ثمان وسبعين سنة ..»

★

اقول ..

إنما اعدنا ذكر هذا التعليق للبخاري وشرحه لتتكون عند القارىء
كرة عن بداية القصة !!

ابتداء الدعوة العباسية ؟

« ثم دخلت سنة مائة ..

« ذكر ابتداء الدعوة العباسية ..

« في هذه السنة وّجه .. محمد .. بن عليّ .. بن عبـــدالله ابن عباس .. الدعاة في الآفاق .. »

ولادة ابي العباس السفاح ؟

« ثم دخلت سنة أربع ومائة ..

« وفيها وُلد أبو العبّاس ..

« عبدالله .. بن محمد .. بن عليّ ..

« في ربيع الآخر ..

« وهو السفّاح .. »

حال دُعاة بني العباس !

« ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة .

« في هذه السنة أخذ أسد بن عبدالله ، جماعة من دُعـــاة بني العباس بخراسان ، فقتل بعضهم ، ومثّل ببعضهم ، وحبس بعضهم .

شيعة بني العباس !

« ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة ..

« في هذه السنة وجه إبراهيم بن محمد ، الامام أبا هاشم بُكير ابن ماهـان إلى خراسان ..

« وبعث معه بالسيرة والوصيّة ..

« فقدم مروَ ، وجمع النقباء والدّعـاة ..

« فنعى اليهم محمدَ بن عليّ ..

« ودعاهم إلى إبنه إبراهيم ..

« ودفع اليهم كتابه ..

« فقبلوه .. ودفعوا اليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة ..

« فقدم بها بُكير على إبراهيم .. »

ابو مسلم الخراساني ..

« ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة ..

« في هذه السنة وجــه إبراهيمُ الإمام ، أبا مسلم الخراساني .. واسمه عبـد الرحمن بن مسلم ، إلى خراسان ، وعمـره تسع عشرة سنـة ..

« وكتب إلى أصحابه : إني قد أمرته بامري فـاسمعوا له وأطيعوا .

« فاني قد أمّرته على خراسان ، وما غلب عليه بعد ذلك . »

اظهار الدعوة العباسية بخراسان ..

• ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة .

• قدم أبو مسلم مرو ، فدفع كتاب الامام إلى سليمان بن كثير ، يأمره فيه باظهار الدعوة .

• فنصبوا أبا مسلم وقالوا : رجل من أهل البيت ..

• ودعوا إلى طاعة بني العباس ..

• وأرسلوا إلى مَنْ قَرُب منهم أو بعُد ممّن أجابهم .

• فأمروه باظهار أمرهم والدعاء اليهم ..

• وقدم على أبي مسلم الدّعاة بمن اجاب الدعوة ..

• فلمّا حضر عيد الفطر أمر أبو مسلم ، سليمانَ بن كثير أن يصلّي به وبالشيعة .

• ونصب له منبراً بالعسكر ..

• فلمّا قضى سليمان الصلاة .. انصرف أبو مسلم والشيعة إلى طعام قد أعده لهم فاكلوا مستبشرين ..

« وبثَّ الدّعاةَ في أقطار خراسان .

« فدخل الناسُ أفواجاً وكثروا ..

« وفشت الدعاة بخراسان كلها .. »

دخول ابي مسلم مَرْوَ والبيعة بها ..

« ثم دخلت سنة ثلاثين ومائة .

« وفي هذه السنة دخل أبو مسلم مدينة مرو ، في ربيع الآخر ..

« وكانت البيعة :

« أبايعكم على كتاب الله .. وسنة رسوله محمد ، ﷺ .

« والطاعة الرضا من أهل بيت رسول الله ، ﷺ ..

« وعليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، والطلاق والعتاق ، والمشي الى بيت الله الحرام ، وعلى أن لا تسألوا رزقاً ولا طعماً حتى يبتدئكم به وُلاتكم . »

ابتداء الدولة العباسية .. وبيعة ابي العباس ..

• ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومـائة ..

• انقضت الدولة الأموية ..

• ذكر ابتداء الدولة العباسية ، وبيعة أبي العباس ..

• في هذه السنة بويـع أبو العباس ..

• عبد الله

• ابن محمد

• ابن عليّ

• ابن عبدالله بن عباس ..

• بالخلافة في شهر ربيـع الأول ..

• وأصبح الناس يوم الجمعة ، فلبسوا السلاح ، واصطفوا لخروج ابي العباس ، وأتوا بالدوابّ ..

• فركب بِرْذَوناً أبلق ..

« وركب مَنْ معه من أهل بيته فدخلوا دار الامارة ..

« ثم خرج إلى المسجد فخطب وصلى بالنـاس ..

« ثم صعد المنبر حين بويع له بالخلافة ، فقـــال :

« .. وثب بنو حرب ، وبنو مروان فابتزّوها ، وتداولوها ، فجاروا فيها ، واستأثروا بها وظلموا أهلَها بما أملى الله لهم حيناً حتى آسفوه ، فلما آسفوه انتقم منهم بايدينا ، وردّ علينا حقّنـا ، وتدارك بنا أمتنا ..

« يا أهل الكوفة أنتم محلّ محبتنـا ..

« وقد زدتكم في اعطياتكم مائة درهم ..

« فاستعدّوا ، فانا السفّاح المبيح ، والثائر المنيح .. »

« وقام عمه وقال :

« .. ألا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعـد رسول الله ، ﷺ ، إلا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، وأمير المؤمنين عبدالله ابن محمد ..

« وأشار بيده إلى أبي العباس ، السفّـاح .

« ثم نزل أبو العباس ، حتى دخل القصر .

« واجلس أخاه ابا جعفر المنصور ، يأخـذ البيعة على النـــاس في المسجد . »

موت السفاح ..

« ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة .

« في هذه السنة مات السفّاح بالأنبار ، لثلاث عشرة مضت من ذي الحجة .

« وكان له يومَ مات ثلاث وثلاثون سنة .

« وكانت ولايته من لدن بويع له بالخلافة إلى أن مات اربع سنين وثمانية أشهر ، منها ثمانية اشهر يقاتل مروان . »

خلافة المنصور ..

« في هذه السنة عقد السفّاحُ ، عبد الله بن محمد بن علي بن عبدالله ابن عباس لأخيه ابي جعفر ، عبدالله بن محمد بالخلافة من بعده ، وجعله وليّ عهد المسلمين ..

« فلما توفيّ السفّاح كان أبو جعفر بمكة .

« فاخذ البيعة لأبي جعفر ، عيسى بن موسى ، وكتب اليه يُعلمه وفاة السفّاح والبيعة له .

انتقال المنصور الى بغداد ..

« ثم دخلت سنة ست واربعين ومائة .

« ذكر انتقال المنصور إلى بغداد ، وكيفية بنائها .

« وفيها في صفر تحول المنصور من مدينة ابن هُبيرة إلى بغداد ، وبنى مدينتها .. » !!

★

والآن اقول :

اضطررنا إلى التسلسل وراء الاحداث بدءاً من وفاة ابن عباس ، وانتهاء ببناء مدينة بغداد في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، والتي اصبحت فيا بعد عاصمة العالم .. واكبر مدينة في الدنيا اجتمعت فيها أسباب المدنية والحضارة آنذاك ..

اضطررنا إلى ذلك .. ليتبين القراء كيف تحــوّل الابن الاصغر لعبد الله بن عباس .. وهو «عليّ» فيما بعد .. إلى قصة تاريخية عريضة غيرت مجرى التاريخ ؟!!

وكيف تمكّن الدُّعاة من اجتذاب الجماهير .. بذكرهم أنهم يدعون لاهل البيت .. ولمن ينتسبون الى .. عليّ .. بن عبدالله بن عباس !

والاشارة في هذه الاحداث وما انتهت اليه .. من قيام اكبر دولة في التاريخ الاسلامي .. بل أكبر دولة في التاريخ كله ..

ان ابن عباس .. عاش عظيماً في حياته ..

وبقي عظيما بعد مماته ..

يتشرف خلفاء الدولة الأعظم .. الدولة العباسية ..

بالانتساب اليه !!

وإلى ابيه العبّاس !!

— تم —

فهرس

صفحة

ماذا في هذا الكتاب ؟!

فيه حياة من دعا له النبيّ.. ﷺ : « اللهمّ علّمه الكتاب » !!

وحياة مَن قال :
« ضمّني رسولُ الله.. ﷺ وقال : « اللهُمّ علّمْه الكتابَ » !!

ومن قالوا عنه : كان يُسمّى البحر.. لسعة علمه.. ويُسمّى حَبْر الأمّة.. وترْجمان القرآن.. ورئيس التفسير !!

فيه حياة.. عبدالله بن عبّاس !!